الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique
قسم الحضارة الإسلامية



الإفتاء في الجزائر العثمانية

918-1245ه/1512-1830م

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ و الحضارة الإسلامية

إعداد الطالب:

محمد لعباسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د.سلطاني الجيلالي

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د. بن نعيمة عبد المجيد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	وهران
أ.د. سلطاني الجيلالي	أستاذ التعليم العالي	مقررا	وهران
أ.د. بن معمر محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	وهران
أ.د. دوب رابح	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	قسنطينة
أ.د. حساني مختار	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	الجزائر 2
د. بوشنافي محمد	أستاذ محاضر "أ"	عضوا مناقشا	سيدي بلعباس

السنة الجامعية: 1433-1434ه/2012-2013م

اقتباس

عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

" ... أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النّار ..."

رواه الدارمي في سننه، باب: الفتيا وما فيه من الشدة

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ وَمَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ وَمَنْ اسْتَشَارَ أَخَاهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ وَهُوَ يَرَى الرُّشْدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ خَانَ".

رواه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند أبي هريرة

الإهداء:

إلى الوالدين الكريمين

إلى الزوجة والإبنين: عماد، نذير

إلى أخي، وأخواتي

إلى جميع أصهاري

إلى كل من علمني في مختلف المراحل التعليمية

إلى كل مشايخ العلم وأساتذته وطلبته

التشكرات

بادئ ذي البدء أشكر الله عزّ وجلّ على فضله ونعمه التي لا تعدّ وتحصى، والشكر لله لا يكتمل دون شكر أولئك الذين بهم كان هذا العمل، فهم الذين حرصوا على إنجازه، وإتمامه بنصائحهم وتوجهاتهم.

وأخصّ بالذّكر أستاذي المشرف **الأستاذ الدكتور: سلطاني الجيلالي،** الذي رعى هذا البحث، بتوجهاته السّديدة، ونصائحه القيّمة، التّي لم يبخل بها عليّا يوما، فله منّي جزيل الشكر على تجشمه عناء الإشراف، وما أولاه من لطف حرصه على إخراج هذا العمل إلى المناقشة العلمية.

كما أشكر الأستاذ **الدكتور: عبد المجيد بن نعمية،** الذي فتحه صدره، ومخبره، لنا في كل الأوقات، مع نصائحه المستمرة، وتوجيهاته المتواصلة.

والشكر موصول إلى **الأستاذ الدكتور: محمد بن معمر،** الذي لا يملّ في إجابة السائل من طلبة العلم، فصدره رحب لكل الاستفسارات.

وأشكر كذلك باقي أعضاء اللجنة العلمية لمناقشة هذه الرّسالة، وهم على التوالي: **الأستاذ الدكتور: رابح دوب،** و**الأستاذ الدكتور: حساني مختار،** و**الدكتور: بوشنافي محمد،** على تخصيص حيز من وقتهم الثمين لقراءة هذه الرسالة.

ولا أنسى شكر **الدكتور بوركبة محمد،** الذي فتح لي صدره وبيته، وخصص لي من وقته الثمين، حيزا لمراجعة هذا العمل، كما سخّر لي سيارته في كل التنقلات، حتى خارج مدينة وهران. وكذلك **السّيد بحري أحمد** ريس قسم الحضارة الإسلامية، و**الدكتور الحمدي أحمد،** و**الدكتور عبد الغفار بن نعمية،** و**الدكتور صافي حبيب،** و**المهندس بلهزيل ناصر،** على تقديمهم يد المساعدة كلما اضطررت لذلك، والشكر نفسه **للسّيد: بلقاسم ضيف** الموظف ببلدية حاسي بحبح، على استقبالنا في بيته أكثر من مرة، زتمكينه لنا من بعض المخطوطات، والاطلاع على فهارسها.

المختصرات

ص: الصفحة

ص و: صدر الورقة

ظ و: ظهر الورقة

ج: الجزء

د.ت: دون تاريخ الطبع

د.ط: دون ذكر اسم المطبعة

R.A : Revue Africaine

P : page

N : Numéro

T :tomes

المقدمة

لقد شهد القرن التاسع الهجري الموافق للخامس عشر الميلادي حدثين مهمين، فتح القسطنطينية في الشرق على أيدي العثمانيين سنة857هـ/1453م، وضياع الأندلس، وسقوطها في أيدي النصارى الإسبانيين سنة 897هـ/1492م، وكان حوض البحر الأبيض المتوسط مسرحا للصراع بين هاتين الدولتين، ممّا أثّر بشكل مباشر في الأوضاع في الشمال الإفريقي فاحتلت بعض مدنه من طرف الأسبان في الوقت كانت حكومات هذه الجهة من الرقعة الإسلامية تعيش الضعف في جيشها، والفوضى السياسية والاضطرابات وغيرها، ممّا جعلها غير قادرة على حماية ترابها.

وفي هذه الظروف سطع نجم الأخوين خير الدين بربروس وأخيه عروج في تونس، فسعى علماء الجزائر في ربط الاتصالات بهما، ودعوتهما لإنقاذ البلاد من وطأة المحتل الأسباني فلبيّا النداء، وكان لهما الفضل في الوجود العثماني في الجزائر، وإلحاقها بالخلافة سنة 926هـ/1520م، ومنذا هذا التاريخ والجزائر إيّالة عثمانية، تُسير تسيرا عثمانيا، تطبق فيها قوانينها، وتنظيماتها الإدارية، فقد قسمت البلاد إلى بايلكات ثلاثة: قسنطينة في الشرق، التيطري في المدية، أمّا في جهة الغرب، فكانت عاصمته في البداية مازونة، ثم انتقلت إلى معسكر، وبعد فتح وهران الأخير سنة 1206هـ/1792م، أصبحت هذه الأخيرة عاصمة لبايلك الغرب.

ويُقسَّم التاريخ الجزائر العثماني إلى أربع مراحل: البلربايات، الباشوات، الأغاوات، ثم الدايات، وخلا ل مدة الوجود العثماني في الجزائر الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، كانت السلطة العثمانية مهتمة بأمرين إثنين، هما: الدفاع عن القطر الجزائر من التحرشات الأوربية، فكوّنت جيشا قويا له صولات وجولات في عرض البحر الأبيض المتوسط، أكسب للجزائر هيبة بين الأمم والدول.

أمّا الأمر الثاني الذي اهتمت به السلطة العثمانية في الجزائر هو كسب طاعة المجتمع الجزائري، ووده، عن طريق استغلال العلماء الذين لهم نفوذ في مجتمعهم، فأغدقت عليهم بالمناصب منها منصب الإفتاء، القضاء، وكيل الأوقاف، الخطابة، الإمامة وغيرها من المناصب، مقابل مساعدة الحكام في استخلاص الضرائب، التي تمثل مظهرا من مظاهر التبعية للسلطة.

لقد نظام كان الحكم العثماني في الجزائر مسايرا لما هو متبع في اسطنبول، فكان قائما على الاهتمام بالجيش، وبالتوسعات من جهة، واستخلاص الضرائب من جهة أخرى، كما كان أيضا تنظيم المجال الديني يتشابه في كل من أيّالة الجزائر وعاصمة الخلافة، فقد استحدثت مؤسسة شيخ الاسلام، وأوكلت لها مهمة الاشراف على القضاء، والإفتاء وغيرها من الوظائف الدينية.

ولكن للجزائر بعض الخصوصيات، تمثّلت في قوة جيشها، وبعدها عن مركز الخلافة، ممّا جعل الدولة العثمانية تراعي هذه الحالة، فكانت قوانينها وتنظيماتها تأخذ هذه الخصوصيات في الحسبان، فعلى سبيل المثال: كانت التعيينات في الوظائف الإدارية تمنح من طرف السلطان العثماني، وترسل إلى الولايات، حتى بداية عهد الدايات، حيث أصبحت الجزائر شبه مستقلة عن دولة العثمانية، فكان الداي هو من كانت له سلطة التعيين في المناصب.

ومن المؤسسات التي شملها التسيير وفق النظام العثماني في الجزائر، المؤسسات الدينية: الإفتاء،والقضاء، والوقف، ومن أجل تسليط الضوء على تنظيم الإفتاء، جاءت هذه الرسالة بعنوان:" الإفتاء في الجزائر العثمانية 918 ـــ 1245هـــ /1512 ــــ 1830م"، لتبين كيف كان نظام الإفتاء في الجزائر العثمانية؟ كيف كان تنظّيم العثمانيين لهذا الإفتاء خلال وجودهم في الجزائر؟ ما هي مكانة المفتي في مجتمعه؟ وما هو دوره فيه؟ ماهي مجالات الإفتاء، التي أفتى فيها علماء الجزائر العثمانية؟

ولعلّ من الأسباب التي دفعت بالباحث إلى اختيار هذا الموضوع، هو أنّه أنجز مذكرة ماجستير حول موضوع الأعمال العسكرية لخير الدين بربروس، من خلال مخطوطة " خبر قدوم عروج وأخيه خير الدين .." وهذا في الفترة العثمانية بالجزائر، وخلال بحثه تعامل مع مجموعة من المصادر والمراجع، لاحظ عليها أنها لم تعط الوظائف الدينية حقها من البحث والدراسة، فكان العزم على اختيار موضوع الإفتاء لكونه موضوعا لم تفرد له دراسة خاصة في حدود ما أعلم، على غرار موضوعي القضاء والوقف، الذين حظيا ببحوث ودراسات من قبل الباحثين والدارسين.

يُضاف إلى ذلك أنّ موضوع الفتوى له أهمية بالغة في المجتمعات الإسلامية، فالمسلم يريد أن يحي حياة تسير وفق شرعه الحنيف، وفي كل عصر من العصور، يلجأ الناس إلى العلماء لاستفساراتهم عن قضايا شرعية متعلقة بدينهم وعقيدتهم.

وهنا تكمن المعضلة في إجابة العالم عن هذه الاستفسارات، فإذا كان أهلا لهذه المهمة، يكون قد أدى واجبه الديني، أمّا إذا أخطأ المفتي في فتواه، فالضرر سيلحق بالمستفتي وقد يتعدّاه إلى المجتمع، فيُخرب بقصد أو غير قصد، فللفتوى أهمية كبرى، ومنصبها ذو خطورة، ولذا كان الدافع الآخر لهذا البحث هو حبّ معرفة حال الإفتاء خلال العهد المذكور، والذي أبتدأته من سنة 918هـ/1512م لكون أول ظهور رسمي للأخوين خير الدين وعروج الذين شاركا ضمن أهل منطقة القبائل في محاولة تحرير مدينة بجاية الأولى في هذه السنة الأولى، علما أن إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية كان في سنة 926هـ/1520م، إلى غاية نهاية الحكم العثماني بالجزائر سنة 1245هـ/1830م.

وللإجابة عن الأسئلة السّابقة، اُختير المنهج الوصفي التحليلي لإنجاز هذه الدراسة، التي جاءت خذتها على الشكل التالي: حيث قُسم هذا البحث إلى مقدمة، ومدخل وستة فصولوخاتمة، ذُكر في المدخل أسباب الوجود العثماني في الجزائر، مع الإشارة إلى أنّ العلماء

كانوا من الذين استنجدوا بعروج وخير الدين بربروس، ذاكرا في الوقت نفسه المؤسسات التي كانت ضمن التنظيمات الإدارية العثمانية في الجزائر.

وأفردت الفصل الأول الذي عنوانه الإفتاء: تعريفه وتاريخه وأهميته، وتمّ التطرق فيه إلى تعريف الإفتاء لغة واصطلاحا، ثم بيان إلى الفرق بينه وبين القضاء، كما ضمّ هذا الفصل أيضا تاريخ الإفتاء موجزا، لتكون أهمية الإفتاء آخر مبحث في هذا الفصل، وفيه تمّ التطرق إلى مكانة الإفتاء، وتوضيح خطورته.

أمّا الفصل الثاني فوسمته بالإفتاء الرسمي، وخُصص للتعريف بهذا النوع من الإفتاء في الجزائر العثمانية، كما ذكرت شروط التعيين والعوامل التي تتدخل فيه، وكذلك أسباب عزله من منصبه، إضافة إلى مدة التوظيف في هذا المنصب.

وخصصت الفصل الثالث للإفتاء الحر، فبينه فيه هيئات هذا الإفتاء، بدءا بأعلام الصوفية والزوايا، وعلماء الجزائر الذين لم ينالوا هذا المنصب، سواء كانوا في الجزائر أو خارجها، وكذا العلماء الأجانب، الذين زاروا الجزائر، ثمّ ذكرت الإفتاء عند بني ميزاب، وفي المبحث الأخير من هذا الفصل تطرقت إلى السلطة وتعاملها مع هؤلاء الفقهاء الذين أفتوا للناس دون الحصول على منصب رسمي.

أمّا الفصل الرابع المعنون بمكانة المفتي في مجتمعه، فقد قسمته إلى خمسة مباحث، هي: واجباته في مجتمعه، ثم ذُكرت حقوقه المادية والمعنوية، وبيان علاقاته المختلفة في المجتمع، حيث تمّ التركيز عفي هذا المبحث على علاقته بالسلطة، ثمّ بالمفتين ببعضهم البعض، فعلاقة المفتي بالقضي، فعلاقته بعامة النّاس، أمّا المبحث الرابع: فتمّ الرمطرق فيه إلى المستوى المعيشي، وإبراز الغنى والفقر في وسط المفتين، والمبحث الأخير خُصص للمناصب الأخرى التي كان المفتي مكلفا بها، أو كان يقوم بها موازاة مع منصبه الرسمي.

والفصل الخامس الموسوم بدور المفتي في مجمتع، تناول فيه نشاطه السياسي، من حيث مشاركته في الديوان، وكذلك إبراز دوره في توطيد الحكم العثماني في الجزائر، ومساهمته في غخماد الثورات التي تقام ضدّ السلطة، وكذلك مشاركته في الجهاد، والعمل الدبلوماسي، ووفادته نحو البلدان العربية للصلح بين الجزائر وغيرها، أو لشراء الأسلحة، ودوره الاجتماعي فتمثّل في الصلح بين النّاس، وحلّ مشاكلهم، كما تمّ إبراز كذلك الدور الثقافي للمفتي في المبحث الثالث، الذي تناول مساهمته في نشر الوعي الديني بين النّاس، وقيامه بمهمة التدريس، وتعليم الطلبة، مع ذكر تآليف بعض الفقهاء الجزائريين خلال العهد العثماني، وأمّا دوره الاقتصادي، فشمل اهتمام بعض شيوخ الزوايّا بالزارعة في حياتهم، كما اهتمّ بعض المفتين بالتجارة.

وعنونت الفصل السادس بمجالات الإفتاء، فاحتوى على خمسة مباحث حسب موضوعات النوازل والأسئلة التي أجاب عنها المفتون في الجزائر العثمانية، وهي تصنيف للفتاوى والنوازل التي تمكن في هذا الفصل الباحث من الحصول عليها، فهي مرتبة كالآتي: العقيدة، العبادات، المعاملات، الأحوال الشخصية، السياسة الشرعية، الحدود، المستجدات، مع العلم أنّه لم يتم التطرق إلى المرجعية الدينية للفتاوى، خلال هذه المرحلة، بل الإكتفاء فقط ببعض النماذج عن تلك الإجابات التي وصلت المستفتي الجزائري سواء من عالم جزائري أو غيره، أو تلك الفتاوى التي أفتى بها فقهاء الجزائر في الداخل والخارج.

أمّا الخاتمة فشملت النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث، أتبعتها بمجموعة من الملاحق تُبين بعض ما جاء في متن البحث، مثل الوثائق التاريخية، وصور لبداية ونهاية كل مخطوط خاص بالنوازل الفقهية.

ولأجل إنجاز هذا العمل، تمّ الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، وبعض الدراسات السابقة، منها على سبيل المثال: كتب النوازل متمثلة في نوازل الخنقي محمد بن

محمد الطيب المبارك، بعنوان " مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي أو عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام"، وهي عبارة عن مجموعة من النوازل، التي أفتى بها الخنقي، وبعض معاصريه في مجال الأحكام، وكتاب عبد القادر الراشدي بعنوان " تحفة الإخوان في تحريم الدخان" ومثل هذه النوازل كانت أفادتنا في معرفة مجالات الإفتاء، ومستوى المفتي الذي أجاء على النازلة المعينة، ولكن على الرغم من أهمية هذه المصادر، فإنها لم تستطع الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بحياة المفتي مثلا، أو تنظيم الفتوى من طرف الإدارة العثمانية.

كما تمت الاستعانة بكتب التراجم التي كانت تمد الباحث ببعض جوانب من حياة المفتي، ككتاب " تعريف الخلف برجال السلف" لصاحبه الحفناوي، وكتاب " منشور الهداية " للفكون الذي أعطى ترجمة لبعض المفتين سواء كان راضيا عنهم أم لم يرض عنهم، وقد مدّنا هذا الكتاب بمعلومات مفيدة ومهمة في هذا البحث، إذ استطاع أن يُبين طريقة اعتلاء المنصب من طرف بعض المحسوبين على أهل العلم، ولكن هذا الكتاب معلوماته محددة في إطار جغرافي متمثل في الشرق الجزائري عامة وقسنطينة خاصة، فقد أغفل حياة العلماء في المدن الأخرى.

وفي الجانب التاريخي اعتمد على المصادر التي اهتمت بتاريخ الحكم العثماني في الجزائر، مثل: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن سحنون، وكتاب" طلوع سعد السعود" للمزاري، هذا الأخير الذي أعطى معلومات مهمة عن ثورة درقاوة ضدّ السلطة العثمانية.

وأمّا المراجع التي اعتمدت عليها في انجاز هذا البحث، فمنها كتب أبي القاسم سعد الله، ككتاب:" تاريخ الجزائر الثقافي" وكتابه:" أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر"، وكتب ناصر الدين سعيدوني، منها كتابه :" دراسات في الملكية والوقف".

أمّا الدّراسات الأكاديمية السابقة، فقد استفدت من رسالة دكتوراه للأستاذ بوشنافي محمد المعنونة بـــ" القضاء والقضاة في الجزائر العثمانية" كانت رفيقة لهذه الدراسة على طول البحث، لّما في الموضوعين : القضاء والإفتاء، من تشابه كبير، خاصة في العوامل التي تتدخل في التعيين، وأسباب العزل، وتبقي لكل من موضوع القضاء أو الإفتاء خصوصيته، مثل مجالات الإفتاء، وفي نوعيه الرسمي والحر، في حين لا يمكن أن يكون القضاء كذلك حرا ورسميا.

ومن الدّراسات السّابقة أيضا رسالة "العلماء والسلطة في االجزائر العثمانية"، هذه الرسالة التي ذكرت حالة تقارب العلماء مع السلطة وأسبابها ونتائجها، وعن القطيعة معها وأسبابها ونتائجها، وقد أشار فيها الباحث إلى مكانة المفتي وعلاقته بالسلطة، وهناك رسالة أخرى، بعنوان: " أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك "، التي قدمت معلومات قيمة حول الزوايا والأضرحة، وأوقافهما، وعقيدة الناس حول الضريح وغيرها، فهذه الرسالة قدمت معلومات للباحث في مجال دور المفتي في مجتمعه إذ بيّن دوره في محاربة بعض مظاهر الشرك من خلال الحرب على بعض العادات والتقاليد التي لا صلة لها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.

أما العراقيل التي صادفت الباحث في طريقه هو جهله للغة التركية والعثمانية، إذ فوّت على نفسه الاستفادة من وثائق أرشيفية بمركز الأرشيف الوطني باسطنمول، إضافة إلى الصعوبات التي يتلقّاه الباحث داخل هذا المركز المزود بالأجهزة والوسائل، التي تتطلب استعمال اللغة التركية، مثل أجهزة الإعلام الآلي، والفهارس، وكذا طريقة التعامل مع الوثيقة التي لا يمكن للباحث الحصول عليها بسهولة في طرف وجيز، بل عليه الانتظار يومين أو أكثر للحصول على نسخة من الوثيقة التي يرغب الاطلاع عليها.

كما لم يستطع الحصول على نوازل وفتاوى لعلماء جزائرين عاشوا في الفترة الزمنية التي اهتمت بها هذه الدراسة، مثل فتاوى البوني الموجودة بمكتبة الزاوية العثمانية، فالبرغم من

الاتصال المباشر بالمشرفين على هذه المكتبة، والقيام بزيارة خاصة إليها، قصد الحصول على نسخة منها، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، كما أنّه لم يكن بالإمكان الحصول على قائمة المفتين لعواصم البايلكات الثلاث (بايلك الغرب، الشرق، التيطري).

المدخل

الوجود العثماني في الجزائر

1 ـ أسباب الوجود العثماني في الجزائر

2 ـ المؤسسات الرسمية في الجزائر العثماني

تعتبر بداية القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن العاشر الهجري نقطة تحول تاريخي عالمي، فقد أصبحت إسبانيا موحدة، وشرعت في احتلال سواحل شمال إفريقيا، لتكون بلادها في مأمن عن خطر مسلمي هذه المنطقة، التي أصبحت تعجّ بهم، والذين فرّوا من ضغط نصارى الأندلس، وبدأت اسبانيا بذلك في سياستها التوسعيّة الاستعمارية، ذات الطابع الصليبي.

وبالفعل فقد احتلوا مناطق عدة في شمال إفريقيا[1]، مثل: سبتة[2]، وهران[3]، بجاية[4]...، في الوقت الذي كانت دويلات هذه المنطقة (الحفصية، الزيّانية، المرينية) غارقة في مشاكلها الداخلية، حيث تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية، بسبب التّنافس على كرسي الحكم في

---

[1] – لمزيد من المعلومات ينظر:

- M.Leon Galibert ;LAlgerie ancienne et moderne ; Paris ; Furnes ‹et Cie éditeur ;1846 ; p90.
- Laugier de Tassy ; Histoire du royaume d'Alger ; paris ; ed Loysel ; 1992 ; p 20.

[2] ـــ **سبتة:** مدينة مشهورة من مدن المغرب الأقصى، بها مرسى من اجود مراسي البحر، هي على برّ البربر، تقابل الأندلس، وهي مدينة محصنة تشبه مدينة المهدية بتونس، بينها وبين مدينة فاس مسيرة عشرة ايّام. ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، ط1، 1986م، ج3، ص: 182.

[3] – **وهران :** مدينة على ساحل البحر، عظيمة ذات مساحة واسعة، وبساتين وأشجار، وبروج وقصور وفنادق وحمامات وشوارع ورياضات، بناها ملوك مغراوة في أيامهم، مقصودة للعلماء والتجار وسائر أرباب البضائع، سكانها معضمهم من الصناع و الحاكة، ظرفاء وكرماء يحبون الغرباء . ينظر، أبو زيد عبدالرحمان الجامعي الفاسي، فتح وهران، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 2521، ظ و: 05. وينظر، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص : 31.

[4] – **بجاية :** مدينة عتقة بناها الرومان في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط، فيها جوامع ومدارس يكثر فيها الطلبة واساتذة الفقه والعلوم، كان أهلها على قدر عظيم من الغنى . ينظر، الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص :50.

الدولة الواحدة من جهة، والتناحر بينها من جهة أخرى، مما أدى إلى غياب دولة قوية ذات سيادة على كامل ترابها، تدافع عن نفسها، وتصون أرضها من أي اعتداء خارجي، قد يهدد كيانها.

وفي ظل هذه الظروف، ظهر رجلان تركيان في تونس، ذاع صيتهما في الجهة الغربية للبحر المتوسط، واشتهرا بالشجاعة والقوة، حيث تمكّن خيرالدين[5] رفقة أخيه عروج[6] أن يفرضا نفسيهما في منطقة المغرب الإسلامي، كرجلين قويين، يستطيعان صدّ الأعداء. فدخلا إلى الجزائر، واستقرا بها، ليصبح حكمها في أيدي الأتراك الذين حكموها أكثر من ثلاثة قرون.

---

[5]ـــ **خير الدين بربروس:** هو خير الدين بن يعقوب بن يوسف أحد العسكريين العثمانيين لجزيرة مدلي، تزوج أبوه بإمرأة من هذه الجزيرة، وأنجبت له أربعة أولاد: عروج، خير الدين، إسحاق، إلياس، اشتهر في بلاد الغرب الإسلامي بالشجاعة والقوة، استطاع أن ينقذ العديد من مسلمي الأندلس من الإضطهاد الإسباني، ونقلهم نحو الشمال الإفريقي، ساهم رفقة أخيه عروج في مساعدة الجزائريين في تحرير المدن الجزائرية من الاحتلال الإسباني، من أهم أعماله: طرد المحتل الإسباني من صخرة البنيون، صد العديد من الهجمات الإسبانية على مدينة الجزائر، هو أول حاكم عثماني في الجزائر تحت ظلّ الخلافة العثمانية. ينظر، الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ج1، ص:251. وللمزيد اكثر على سيرة خير الدين وأهم أعماله العسكرية، ينظر، مخطوط: خبر قدوم عروج وأخيه خير الدين إلى الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم:1622.

[6]ـــ **عروج:** هو أخو خير الدين سالف التعريف، ساهم في محاولة تحرير مدينة بجاية من قبضة المحتل الإسباني سنة 1512م وسنة 1514م، وخلال إحدى هذه المحاولات قطعت يده، ثم استنجد به في تحرير قلعة البنيون في مدينة الجزائر من طرف أهلها، حكم مدينة الجزائر سنة 1516م، ثم بدأ في إخضاع باقي المناطق تحت سيطرته، أستشهد في الغرب الجزائري سنة 1518 بمنطقة المالح بعين تموشنت. ينظر، أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق: محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ج1، ص:337.

1 – أسباب مجيئهم إلى الجزائر: لقد دخل الأتراك الجزائر، وحكموا فيها مدة تفوق ثلاثة قرون، فكانت هناك عوامل، وأسباب ساعدهم على ذلك منها:

أ– الوضع السياسي المتردي للمغرب الإسلامي قبيل دخول الأتراك:

لقد كان المغرب الإسلامي منقسما – كما سلف الذكر - إلى دول ثلاث: الحفصية بالمغرب الأدنى، والزيّانية[7] بالمغرب الأوسط، والوطّاسية[8] بالمغرب الأقصى، وكانت هذه الدول متناحرة فيما بينها، كل واحدة تحاول التوسع على حساب الأخرى[9]، في الوقت نفسه

---

[7] - **الدولة الزيانية** : (1236 ـــ 1550م) عاصمتهم تلمسان، مؤسسها هو أبن تاشفين. لقد شهدت هذه الدولة في أواخرها ضعفا مما ساعد على دخول الإسبان في السواحل التابعة لها كما استولى العثمانيون على ضواحيها. ينظر، أبي زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالحميد حاجيات، المكتبة الوطنية ، لجزائر، 1980، ص : 204. وينظر، محمد بن عبدالله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق : محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص: 111. وينظر، محمد بن عبدالقادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، مصر، ط 02، 1964م، ج : 01، ص : 85.

[8] - **الدولة الوطاسية** : (876هـــ ـــ 961 هـــ) كان أول سلطان لها هو السلطان عبدالله بن محمد الشيخ وآخرهم هو أبو الحسون ، وهم فرع من المرينيين. ينظر، محمد بن عبدالقادر الجزائري، المصدر نفسه، ص : 75.

[9] – لقد احتل أبو فارس عبدالعزيز الحفصي ملك تونس في شهر ماي سنة 1424م مدينة تلمسان، وواصل بعده حفيده أبو عمرو عثمان إلى أسوار هذه المدينة عام 866هـــ /1462م ثم مرة اخرى سنة 870هـــ /1466م ليوطد الأمن فيها حتى مات سنة 893هـــ / 1488م. ينظر، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص: 08. وينظر، محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية: تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص ص:570 –573.

كان الغرب النصراني (اسبانيا مثلا)، يشهد التطور في مختلف المجالات خصوصا في مجال الاستكشاف الجغرافي، الذّي أدّى إلى التوسع الاستعماري .

ورغم الخطر الدّاهم، لم يحاول حكام هذه الدول المتناحرة توحيد جهودهم، للوقوف في وجه هذا الخطر، بل لم يحاولوا تحضير أنفسهم لصد عاصفة الحروب الصليبية، والذّي كان كل شيء ينذر بأن ثقلها سيتحول نحو الغرب الإسلامي، خاصة بعد سقوط الأندلس سنة 898هـ/1492م[10]، ومحاولة تصفية الوجود الإسلامي من منطقة شمال إفريقيا، في إطار حركة الاسترداد[11]، مع ملاحقة مسلمي الأندلس الذين التجؤوا إلى سواحل هذه الدول[12]، حيث بلغ عددهم بمدينة الجزائر وحدها حوالي خمسة عشر ألف نازح[13]، "بعد أن كان الضغط متزايدا عليهم، مما دفعهم إلى المخاطرة بأنفسهم، وأولادهم في سبيل الهجرة إلى شمال إفريقيا ، نجاة بدينهم وحريتهم وأعراضهم رغم ما في هذه المخاطرة من عواقب وخيمة "[14]

.وبذلك كانت هذه المنطقة برمتها مهيأة للاحتلال.

---

[10] – واشنطون ايرقينج، سقوط غرناطة، ترجمة وتعليق : إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص : 467.

[11] – حنيفي هلايلي، المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و17م، إشراف: د. عبدالحميد حاجيات، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 1999م /2000م ، ص: 123.

[12] – محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص:232.

[13] – F. Braudel ;Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577. in Revue Africanne.1928. p : 358.

[14] – محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ،17 ، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م، ص:81.

ب – ضعف الدولة الزيّانية:

لقد كان الوضع الداخلي بالمغرب الأوسط يتصف بالفوضى والتفكك، بسبب انحصار الدولة الزيانية في تلمسان والغرب الجزائري، وتعرضها في تلك الفترة إلى اضطرابات داخلية، وكثرة التنافس بين الطامعين في الحكم، "فلم يهنأ لهم (للزيّانيين) في الملك قرار، ولا استقرت بهم في المملكة دار، فلم يكن للمسلمين حينئذ غناء ولا دفاع، ولم يبق لهم طمع باجتماع لعدم من يجمع كلمتهم"[15]، وفي الوقت الذي غابت فيه السلطة المركزية، كانت المدن الساحلية تكوّن دويلات مستقلة، مثل إمارة كوكو بقيادة الشيخ أحمد بن القاضي[16]، ومدينة الجزائر التي كانت تحت نفوذ الشيخ سالم التومي[17] .

هكذا كانت الوضعية السيّاسية للبيت الزيّاني، وهذا ما جعله حبيس المشاكل الداخلية، التي منعته من صد أي اعتداء خارجي.

ج – سقوط المدن الساحلية:

---

[15] – أبو زيد عبدالرحمن الجامعي الفاسي،المصدر السابق، ظ و :05.

[16] – **أحمد بن القاضي** : المعروف بالزواوي ،كان السبب في دخول الأتراك لمدينة الجزائر ، وقتل من طرف جيش خيرالدين في العشرة الثالثة. ينظر، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، ط3، 2003، ص : 114.

[17] – **سالم التومي** : شيخ مدينة الجزائر، وهو من قبيلة ثعلبة ، استولى على الحكم بالجزائر عند ما احتل الإسبانيون بجاية، واستقر عدة سنوات، إلى أن أتى عروج الجزائر واستقر بها سنة 922هـ– 1516م بطلب من أهالي هذه المدينة، ولما رأى أن أمور الحكم خرجت من يديه، بدأ في تدبير خطة للتخلص من عروج وجماعته ففطن له عروج، فقتله. ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص: 39.

إن هذه الأوضاع السياسية السيئة للمغرب الأوسط، خلال هذه الفترة، شجّعت الأسبان على التوجه نحو السواحل الجزائرية، فاستولت على ميناء المرسى الكبير[18] سنة 911هـ/1505م، وعلى وهران سنة 915هـ/ 1509م[19]، وبجاية سنة 916هـ/ 1510م، بعدما تعرض سكان هذه المدينة لمذبحة شنيعة، اقترفها جند الأسبان، حيث راح ضحيتها ما يقارب أربعة ألاف شخص منهم، وقد تفنّن الأسبان في السّلب، والنّهب والتنكيل[20]، مما جعل بقية المدن الجزائرية تخشى التعرض للمصير نفسه، فسارعت بعضها مكرهة إلى الموافقة على الدخول تحت حمايتهم (الأسبان)، وذلك في انتظار الوقت المناسب

وينظر، محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، 1976م،ج1، ص: 38.

[18]- **المرسى الكبير** : مدينة صغيرة أسسها ملوك بني زيان على ساحل البحر المتوسط بعيدة بضعة أميال عن وهران ،ومعناها الميناء الكبير وهو في مأمن من كل عاصفة وإعصار . ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص : 31.

وينظر، أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص: 81.

[19] – لقد احتل الإسبان مدينة وهران بمداخلة اليهودي الزواي ابن كيسة الذي أتى بجيش النصارى للمدينة وأدخله بها سرا . ينظر، أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص : 142.

[20] – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492، 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص: 122.

لرفع هذا القمع، ومن بين المدن التي أعلنت خضوعها للأسبان : تنس[21]، دلس، مستغانم[22] ومدينة الجزائر التي تعهدت بدفع ضريبة للعرش الإسباني[23].

د – سياسة الأسبان في المدن المحتلة:

و لم يكتف الأسبان باحتلال المدن السابقة الذكر، وفرض الضرائب على السكان فقط، بل شيّدوا قلعة على الصخرة المقابلة لمدينة الجزائر من جهة البحر، وتسمى بقلعة البنيون[24]سنة 916هـ/ 1510م، وذلك لبسط نفوذهم أكثر في البحر المتوسط، وجعل مدينة الجزائر تحت وطأة المدافع الإسبانية المنصوبة في هذه القلعة[25]، بغية "..التضييق عليها،

---

[21]. – **تنس** : مدينة عتيقة بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، سكانها أقوام فظاظ غلاظ، إقليمها ينتج الكثير من القمح والعسل. ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص :35.

[22] – **مستغانم** : مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، بها صناع كثيرون ينسجون الأقمشة، ودورها جميلة، وسقاياها عديدة، وفي خارجها عدة بساتين جميلة، وجميع الأراضي المحيطة بها جيدة للفلاحة وخصبة، وبها ميناء كثيرا ما تقصده السفن الأوربية. ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص : 32.

[23] – لمزيد من المعلومات ينظر:

Colombe .M.L'Algerie Turque in initiation d'Amérique et d'orient. Paris. 1975. p : 102.

Braudel.F. La Méditerranée et le monde mediteraneen à l'époque de Philipe 2.T 2 ; Paris . 1949. p : 224.

[24] – **البنيون** : الصخرة العالية .وهي الصخرة التي أحتلها الإسبانيون وبنوا عليها قلعة، وهي بمرسى الجزائر. ينظر، نورالدين عبدالقادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م، ص :48. وينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص :38.

[25] – الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص :38.

وتفتيش الصادرات والواردات من مينائها، وقطع الصّلات بين الجزائريين وغيرهم..."[26]، كما استعملت إسبانيا الأساليب الاستعمارية، للتدخل والظفر بمناطق جديدة، ومنع حدوث أي تكتل، أو تحالف ضد تواجدها، وذلك بمناصرة قبائل ضد أخرى، وحاكم ضد آخر[27].

كما استعان الأسبان بالسّكان لالتقاط الاستعلامات، ونشر الأخبار الفاسدة، والأقاويل الزائفة، والأنباء المسمومة لخلق البلبلة، والتشويش، والتفرقة في صفوف الجيوش والشعوب، وإغرائهم على الحروب الأهلية[28] .

هـــ – استنجاد السكان بالأتراك:

ولّما ضعفت الدولة الزيّانية، سقطت بعض المدن السّاحلية، وفرضت الضرائب على السكان من طرف المحتّل،حتى ضاقت عليهم سبل عيشهم، ولم يطيقوا صبرا على هذه الأحوال، وأصبحوا في ورطة من أمرهم، وكان عليهم التحرك بسرعة قصد الخروج منها[29]، فحاولوا الخلاص من بطش الأسبان.

---

[26] – نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م، ص : 53.

[27] – عبدالقادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من بني الأعراب كبني عامر، تحقيق : محمد بن عبدالكريم، ص ، ص : 12، 26. وينظر، عبدالرحمان الجامعي، المصدر السابق، ص و: 05.

[28] – أبن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ت، ص : 111.

[29] – محمد الطمار، المرجع السابق، ص :247.

وأمام عجزهم عن ردّهم الخطر المحدق بهم، توجّهت أنظارهم إلى رجال البحر العثمانيين، الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط الغربي، يحاولون إنقاذ مسلمي الأندلس المضطهدين، فأول[30] عمل قاموا به هو الاتصال بالعثمانيين[31] عن طريق أحد شيوخهم، طالبين منهم المساعدة في خلاصهم من قبضة الإسبانيين، مثل الشيخ أحمد بن القاضي – شيخ منطقة القبائل – الذي اّتصل بالإخوة عروج وخيرالدين، حينما كانا بتونس، يمثلان قوة إسلامية عظيمة، يغزوان بلاد أوربا، فأوقع بأهلها وقائع شهيرة، حيث كان بغزوها، ويخرب مدنها، ويأسر منهم، فانتشر خبرهما في المنطقة، فقال لهم:"إنّ بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب، فأقبل الترك نحوه مسرعين"[32]. فحاصروا بجاية على مرتين(سنة 918هـــ/ 1512م و920هـــ/ 1514م) محاولين أخذها من أيّدي الاسبانيين، ولم يفلحوا في ذلك، لكنهم استطاعوا أن يدخلوا جيجل[33]، ويؤسسوا أول قاعدة لهم في بلاد الجزائر.

---

[30]ــ الثابت أن أول اتصال كان بين الإخوة بربرزس قبل محاولتهم تحرير مدينة بجاية سنة هـــ/1512م، ولكن الاختلاف وقع في أول جزائري اتصل بهؤلاء الإخوة، فمنهم من يذكر أحمد بن يوسف الملياني، ومن من يقول أحمد بن القاضي،

[31] – لقد اختلف المؤرخون في كيفية الإيتصال بالعثمانيين، فمنهم من ير أن الشيخ أحمد بن القاضي هو الذي اتصل بالعثمانيين عن طريق اتصاله بعروج وخير الدين لما كاتا بتونس، وهذا ما ذهب إليه مخطوط " خبر قدوم عروج ....خير الدين" ، ص و: 09، ويرى آخرون أن أهل الجزائر اتصلوا بالسلطان سليم الأول مباشرة، وهذا الأخير هو الذي بعث عروج وخير الدين إلى الجزائر. وهذا ما ذهب إليه عبد الله الأعرج السليماني. ينظر، في كتابه زهرة الشماريخ، تحقيق : حساني مختار د.ت ، ص: 193.

[32] – الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري وَ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، 1955م، ج2، ص : 162.

[33]ــ **جيجل** : مدينة صغيرة على ضفة البحر المتوسط، ذات أراضي فلاحية تنتج الكثير من الفواكه مثل التفاح والعنب، وبها الزروع المختلفة،كما تنتج الألبان والسمن والعسل، وكان سكانها يحملون سلعهم إلى بجاية القريبة منهم،على بعد حوالي خمسون ميلا، بها مرسان . ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص : 184.

كما بعث أهل الجزائر إلى عروج يوم كان بجيجل[34]، يشكون له من النصارى قائلين لهم:"سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد، وأخذتم بجاية، وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتم الدين، هنيئا لكم أيها المجاهدون، لابد أن تقدموا إلينا، وتخلصون من أيدي الملاعن الكفرة، لأننا نحن في محنة عظيمة، وذلّة شديدة "[35]، فدخل عروج مدينة الجزائر بمساعدة هؤلاء.

وجاءه أيضا وفد من تلمسان يصف له تعفن الوضع السياسي في العاصمة الزيانية، وما انتابها من فوضى واضطراب من جراء تنازع أفراد الأسرة الزيانية وتطاحنهم على السلطة، ويطلب من عروج نجدتهم من السلطان أبي حمو الثالث، الذي جلس على عرش تلمسان بإعانة الأسبان، وتحت حمايتهم، بعدما أدان لهم بالطاعة، وأعلن لهم بالتبعية، وسجن الملك أبي زيان[36]، فلبى عروج دعوتهم واستقبله الأهالي، وأعاد الملك لهذا الأخير[37] .

هكذا فإن الظروف التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك نتيجة سيطرة الإسبانيين على السواحل، وضعف الدولة الزيّانية، وعدم قدرتها في الدفاع عن البلاد والعباد، كل هذا دفع بسكان البلاد للاتصال بعروج وأخيه خير الدين، ملتمسين منهما يد العون في محاربة أعدائهم الأسبان.

2 ـــ المؤسسات الرسمية في الجزائر العثمانية: للدولة عدة مؤسسات تعتمد عليها في استمرارها، ووجودها، كما تستعملها في التسيير، ومن هذه المؤسسات:

---

[34] – مجهول، خبر قدوم عروج، ظ و: 10.

ينظر، عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ص : 48.

[35] – أبو زيد عبد الرحمان الجامعي، المصدر السابق، ظ و:. 02

[36] – **أبو زيان** : هو السلطان أبو زيان أحمد الثابتي بن عبدالله انتصب على عرش ملك تلمسان سنة 923هـــ/ 1517م. ينظر عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج2، ص :223.

[37] – ينظر، محمد بن عمرو الطمار تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص : 229.

أ ـــ الجيش:

كان الجيش العثماني في الجزائر يتألف من جناحين: جناح يمثله الجيش النظامي، وآخر غير نظامي يتألف من أفراد قبائل المخزن، مهمة هذا الأخير الدفاع عن حدود الأيّالة، ويساهم في استتباب الأمن الداخلي، كما كان يمتاز بالكفاءة الحربية، فعلى سبيل المثال كان بايلك الشرق يتدعم بـــ 23 ألف فارسا من قبائل المخزن، ومقابل هذا العمل، كانت لقبائل المخزن امتيازات منها: الاعفاء من الضرائب، التي يلزم بها غيرهم[38].

أمّا الجيش النظامي فكان عدده في ما بين السنتين: 1632 وبين سنة 1829م يتراوح ما بين 700ألف إلى 900ألف جندي، منهم 3041 جندي في حالة الخدمة بالنوبات، يضاف إليهم عدد من الاحتياطيين، وكذلك الذين هم في عطلة سنوية.

وقد تم تنظيم المجندين في ثلاث مجموعات[39]:

1-مجموعة تشغل في القصور السلطانية وتسمى بـــ " القابي قول " أي عبيد السلطان، ويختارون عادة من بين الأجمل ،والأحسن قامة، للخدمة في القصور السلطانية بعاصمة الدولة، ويكوّنون في مدارس خاصة ، وهي أكثر الفرق ولاء للسلطان.

2- مجموعة تعد لشغل المناصب الإدارية وتهيء لهذا الغرض.

---

[38]ـــ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص: 39.

[39]ـــ جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، إشراف: أ.د.كمال فيلالي، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1428 ـــ1429هـــ/2007 ـــ 2008م ، ص: 05.

3- فرقة المشاة، وهي الأكبر عددا، وتضم معظم المجندين للخدمة العسكرية، وقد أطلق عليها اسم" إنجشايرية "أو" الينجيرية".

ب ـــ الإدراة:

كانت الجزائر خلال العهد العثماني مقسمة إلى أربعة مناطق[40]: وهي مدينة الجزائر التي كانت تسمى بدار السلطان، وكان بها مقر الحاكم، وبايلك الغرب، وكانت عاصمته مازونة ثمّ معسكر عام1710م ثمّ مدينة وهران عام1792م، وبايلك التيطري، وعاصمته المدية، وبايلك الشرق وعاصمته قسنطينة ، " وكان يشرف على هذه البايلكات البايات المعينون من طرف الداي، ويعملون على تدعيم الخزينة من خلال جباية الضرائب، حيث يقدمون كل ثلاث سنوات للخزينة الدنوش[41]، كما كان لكل باي خليفة، وأعوان، وأغوات، كأغا العرب، وأغا الصباحية، وهم من الأتراك"[42].

وكان البايلك بدوره مقسما إلى أوطان، يديرها قياد من العرب أو من العثمانيين، بمساعدة بعض الجنود، ويضمّ الوطن مجموعة من القبائل، وكل قبيلة يرأسها زعميها أو شيخ.

2 ـــ المؤسسات الدينية: وهي المؤسسات التي يشرف عليها العلماء، ويعينون فيها من طرف الحاكم، ومنها:

---

[40]ـــ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 36.

[41]ـــ **الدنوش:** هو دفع البايات للضرائب المفروضة عليهم للخزينة العامة بمدينة الجزائر، ينظر، أحمد الشريف الزهار ، مذكرات، تحقيق:أحمد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 46.

[42]ـــ رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، فترة الدايات 1671 ـــ 1830م، اشراف: د. فلة موساوي القشاعي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005/ 2006م، ص: 25.

أــ القضاء[43]:

القضاء هو فصل الخصومة بين إثنين فأكثر بحكم الله عزّ وجل[44]، أو هو الفصل الملزم بين الناس في الخصومات، حسما للتداعي، وقطعا للتنازع وفق الأدلة الشرعية[45]، الملتقاة من الكتاب والسنّة[46]، لقوله تعالى:" ... فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ..."[47].

واهتمّ العثمانيون بميدان القضاء الإسلامي، فعمّموا تطبيقات الشريعة الإسلامية على كل أرجاء الدولة، لاعتبار أنّهم حاملين راية الإسلام، بعدما أصبحت بلدهم مقرا للخلافة الإسلامية، وليظهروا للناس أيضا، تمسكهم بالدّين لكسب تأييدهم[48].

---

[43]ــ للإستزادة في موضوع القضاء خلال العهد العثماني في الجزائر، ينظر، بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر العثمانية خلال العهد العثماني (10 ــ 13هــ/16 ــ19م)، إشراف: أ.د. بلقاسمي بوعلام، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة وهران، 1428ــ1429هــ/2007 ــ2008م. وينظر، زقاوي ياسمين، القضاء والقضاة في الجزائر خلال عصر الدايات، إشراف: أ.د. بن نعمية عبد المجيد، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،1425 ــ1426هــ/2004ــ 2005م.

[44]ــ مصطفى الخن وَ مصطفى ديب البغا وَ علي الشربجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 1413هــ/1992، ج8، ص:171

[45]ــ أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضاة الاسلامية: تايخ التشريع الاسلامي وتاريخ النظم القضائية في الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976، ص: 246.

[46]ــ إبراهيم محمد الحريري، القواعد والضوابط الفقهية لنظام القضاء في الاسلام، دار عمار، الأردن، ط1، 420هــ/1999م، ص: 12.

[47]ــ سورة: المائدة، آية: 48.

[48]ــ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص: 02.

أمّا القضاء في الجزائر العثمانية فكان على مذهبين: حنفي ومالكي، تتدخل الدولة في تعيين المفتيين، فالقاضي الحنفي كان يُعيّن من طرف شيخ الإسلام باسطنبول، ثمّ أصبح يُعين من طرف حكام الجزائر، بعدما أصبح هؤلاء الحكام يُعيّن في الجزائر، عكس القاضي المالكي الذي كان يُعين منذ البداية من طرف حكام الجزائر، كما أنّ لكل مدينة قاضيين: حنفي ومالكي[49].

ومن مميزات القضاء في الجزائر العثمانية أنّه كان للعسكر قضاءه ومحكمته، لا يختلط العسكري والمدني في المحكمة الواحدة، وتبعا لوجود مذهبين في القضاء، توجد كذلك محكمتين في كل مدينة حسب المذهبين الحنفي والمالكي، وكانت العلاقة بين هاتين المحكمتين علاقة تكامل وتعاون، وفي حالة وجود خلاف يتباحث فيه في إطار المجلس العلمي الذي يضمّ المفتيين الحنفي والمالكي، والقاضيين معا.

ومن مميزات هذا القضاء أيضا السرعة في إصدار الحكم، وفي إنهاء ملف المتاقضيين، إذ بعد صدور الحكم بين المتخاصمين، يكون لأحدهم الذي لم يعجبه الحكم الإبتدائي الفرصة للإستئناف، والطعن في الحكم لدى هيئة المجلس العلمي الذي ينعقد مرة في كل أسبوع، وتعتبر قرارات هذا المجلس قرارات نهائية غير قابلة للطعن.

وللقاضي هو حاكم شرعي، دور هام في المحاكم، التي تطرح فيها القضايا، المتعلقة بالأهالي في مختلف الميادين، سواء كانت مدنية، أو إقتصادية تخص المعاملات التجارية، كما

---

[49]ـــ بوشنافي محمد، المرجع نفسه، ص: 11.

أنّه يلعب دورا في توجيه الوظائف الدينية، والإشراف على الأوقاف، وتعيين القائمين عليها، حيث يساعده في مهامه العديد من العدول[50].

ب ــ الوقف:

يُعتبر الوقف مظهر من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، لأنه يستمد وجوده واستمراره من الأحكام الشرعية، ومن تكافل أفراد المجتمع استجابة حاجة المجتمع[51]، وقد عرفت الجزائر هذه الظاهرة قبل مجيء العثمانيين.

كانت الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني تخضع للأحكام الشرعية، ولا يجوز لأي كان التطاول عليها، وقد شملت هذه الأحباس: الدكاكين، المساكن، الفنادق، الأراضي الزراعية، مصانع النسيج الأفران الكتب وغيرها، وكان الموقفون رجالا ونساء، وحكاما ومحكومين، وبسبب تكاثر هذه الأوقاف خلال هذا العهد، عمد العثمانيون إلى تنظيمها، وذلك بإنشاء إدارة محلية يتولاها المفتي، وينظر في أمورها المجلس العلمي[52].

---

[50]ــ رشيدة شدري معمر، المرجع نفسه، ص: 73.

[51]ــ رشيدة شدري معمر، المرجع نفسه، ص: 65.

[52]ــ رشيدة شدري معمر، المرجع نفسه، ص: 66.

بفضل مردود الأوقاف ومداخيلها تمكنت السلطة العثمانية من تسيير بعض المصالح التعليمية والثقافية، ودفع منح الطلاب وأجور المدرسين والقائمين على شؤون المساجد والمدارس[53].

وكانت أوقاف الجزائر تتوزع على عدة مؤسسات، دينية وخيرية، غرضها تحقيق المنفعة العامة[54]، ومن هذه المؤسسات:

1 ــ **أوقاف الجامع الأعظم** : اهتمت بالمساجد المالكية، وبلغ عدد أحباس المالكية قبل الاحتلال الفرنسي 550 وقفا، شملت الحوانيت والبساتين والمزارع والضيعات، ويعود التصرف فيها للمفتي المالكي ويسيرها وكيل عام[55].

2 ــ **أوقاف سبل الخيرات** :مخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية الواقعة بمدينة الجزائر، وللفقراء والطلبة والعلماء، وإنشاء المساجد، حيث بُني جامع كتشاوة، والجامع الجديد، وجامع علي بتشين من فائض هذه الأوقاف، ويعود التصرف فيها إلى مفتي الحنفية الذي يقوم بالصلاة وتولي الإفتاء بالجامع الجديد، بلغ عدد أوقاف الحنفية في مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 331 وقفا[56].

3 ــ مؤسسات الأولياء الصالحين والأشراف وأهل الأندلس:

---

[53]ــ حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 ــ 1830م، إشراف: د.فاطمة الزهرة قشي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 1428ــ1429هــ/ 2007 ــ 2008م، ص: 23.

[54]ــ حسان كشرود، المرجع نفسه، ص: 24.

[55]ــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص:89.

[56]ــ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص:88.

تهتم بالتكاليف اليومية الخاصة بالمؤسسات التعليمية والدينية، داخل مدينة الجزائر، وخارجها، ومنها أوقاف ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية الأشراف التي أسسها "الداي محمد بكداش "و خصص لها أوقافا كثيرة تكفلت بالفقراء[57] .

ج ــ الإفتاء:

لم يكن للإفتاء منصب رسمي قبل مجيء الخلافة العثمانية، فكان العلماء الذين يُوثق بهم يُستفتون في مختلف المسائل، فيُجيبون عليها من غير تخصيص أحد في الفتوى[58]، وليس كموظفين رسميين، حتى تأسست مشيخة الإسلام، كمنصب للفتوى في سنة 827 هــ/ 1425م، ويتولاه أيّ عالم فقه، معروف بتقواه، وكان يطلق عليه لقب " المفتي"، ثم " المفتي الأكبر" أو "مفتي الأنام"، أمّ لقب " شيخ الإسلام فقد ظهر في سنة سنة 871هــ/1449م[59].

ومع التطور الذي عرفته الدولة العثمانية، وتزايد مساحتها، رأت توحيد الممارسة الدينية في البلاد، فنظّمت القطاع الديني بإنشاء منصب للمفتي، وجعلته هو المرجع الفقهي الأول الذي تستند عليه الدولة، قصد مواجهة تعدد المفتين غير الرسميين، والوقوف أمام خطر بعض المعتقدات الفاسدة التي كانت تنتشر في الدولة العثمانية، مثل دعوة بدر الدين بن

---

[57]ــ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص:84.

[58]ــ ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها: فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص: 93.

[59]ــ أحمد صدقي علي شقيرات، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (828ــ 1341هــ/1425 ــ 1922م)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ج1، صص: 122ــ 124.

القاضي[60]، الذي كان يدعي أنّ "...الجحيم والجنة هما الألم والفرح، وتأتيان عن فعل الخير والشر، ...وأنّ كل المحرمات قد رفعت، وأنّ كل شيء محلل وجائز.."[61]، فكان ضرورة توحيد الفتاوى ملحة على السلطة العثمانية.

ومع مرور الوقت أصبح شيخ الإسلام رئيسا لطبقة العلماء والفقهاء في الدولة العثمانية له صلاحياته معيّنة ومحددة، ففي البداية، كانت تنحصر مهمته في إصدار الفتوى المستندة على المصادر الفقهية، ثمّ أضيف له الإشراف على القضاء العسكري في عهد السلطان سليم الأول[62]، ثمّ أُوكلت له صلاحيات تعيين وإقالة أعضاء طبقة العلماء من القضاة والمفتين والمدرسين[63]، أثناء عهد السلطان سليمان القانوني[64]، ومنذ هذا العهد أصبح شيخ الإسلام هو المشرف الأول على الجهاز الديني في الدولة[65].

---

[60]ــ **بدر الدين بن القاضي** :هو محمود بن إسرائيل بن عبد العزيز الملقب ببدر الدين، والشهير بابن قاضي سماونه، حيث ولد في قلعة سماوند، وشغل والده بها قاضيا، وتعلم بها، ثم ارتحل إلى قونية حيث درس المنطق، والفلك، ثم سافر إلى القدس والقاهرة، وحج وتصوف، ورحل إلى تبريز عام 805هت/1402م، وفيها جذب إلى صفوية أردبيل، ثم عاد إلى الروم واستقر في أدرنة، وفي سنة 813هـــ/1410م عينه الأمير موسى ابن السلطان بايزيد الأول قاضيا للعسكر في أدرنة، ولما تولى محمد الأول الحكم نفاه إلى ازنيق، وأعدم في سنة 823هـــ/1420م. ينظر، أحمد صدقي علي شقيرات، المرجع السابق، ص: 92.

[61]ــ أحمد صدقي علي شقيرات، المرجع نفسه، ص: 92.

[62]ــ **السلطان سليم الأول:** هوسليم الأول : بن السلطان بايزيد خان، جلس على تخت الملك سنة 918هـــ/1512م، وكان عمره ستا وأربعين سنة، اشتهر بالشدة والصرامة، قضى على دولة المماليك بالشام ومصر، إثر معركتي مرج دابق سنة 1518م، والريدانية 1517م، ودانت له الحجاز بالطاعة، ولقب بخادم الحرمين، كما وضع حدا لتوسع الدولة الصفوية، إثر هزيمة الشاه إسماعيل في معركة ساتدران عام 1514م، وفي عهده دخل خيرالدين وعروج الجزائر باختيار من أهلها. ينظر، أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصرالدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، 1991، ص: 33.

[63]ــ وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص:127.

وكان لشيخ الإسلام في الدولة العثمانية مكانة مرموقة، حيث كان يعتبر الشخصية الثالثة في هرم الدولة بعد السلطان والصدر الأعظم، كان له دور كبير في الحياة الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية، فبالإضافة إلى الصلاحيات التي مُنحت له، فهو مستشار السلطان في المسائل الشرعية، إذ كان له الدور في إعلان الحرب والسلام مع الدول، فقبل إقدام السلطان على أمر حرب أو عقد اتفاقية سلام، كان يلجأ إلى شيخ الإسلام ليأخذ رأيه[66].

هذا بالنسبة لمنصب المفتي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية، أمّا في الجزائر، فكان العلماء الذين يُوثق بهم يُستفتون في مختلف المسائل، فيُجيبون عليها من غير تخصيص الدولة أحدا منهم في الفتوى[67]، ومن هؤلاء الونشريسي[68] صاحب "المعيار" والمازوني[69] وغيرهما من

---

[64]ــ **سليمان القانوني**: هو السلطان سليمان بن سليم خان، ولد سنة 900هــ/ 1495م، عاشر سلاطين آل عثمان حكم ما بين (926ــ 974هــ/ 1520ــ 1566م) ، فاتح ديار فارس وبغداد، قالع قلاع، انكروس وبغدان بلغراد، قامع آثار الكفرة والملحدين، معفر جباه عتاة المشركين، صاحب الوقائع المشهورة، والمناقب المذكورة، فتح في أيّامه حوالي ثلاثمائة حصن بين صغير وكبير، كما أعطى صلاحيات واسعة لشيخ الإسلام في تعيين العلماء في المناصب الدينية، توفي في يوم 22 صفر 974هــ/ 1566م. ينظر، طاشكيري زاده، المصدر السابق، صص: 375 ــ 379. وينظر، أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1425هــ/2004، ص: 159.

[65]ــ أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة: هاشم الأيوبي، منشورات جرس برس، لبنان، ط1، 1413هــ/1992م، ص: 77.

[66]ــ أكرم كيدو، المرجع نفسه، ص ص: 109 ــ 115,

[67]ــ ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 93.

[68]ــ **الونشريسي** : هو أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني، الفاسي مفتيها، الإمام العالم العلامة، العمدة المحصل الفهامة المطلع، حامل لواء المذهب باليمن والورع والدين، أخذ عن أبي الفضل العقباني، وولده أبي سالم، وحفيده محمد بن أحمد، ومحمد بن عباس، وابن مرزوق الكفيف، كما أخذ عنه علماء اجلاء منهم: إبنه عبد الواحد، أبو زكريا السوسي، ومحمد بن عبد الجبار الورتدغيري، وغيرهم كثير، ترك كتابا اشتهر به سمّاه " المعيار...". توفي سنة 914هــ/ 1508م. ينظر، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، د.ت، ص: 274.

علماء المنطقة في تلك الفترة، فكان هؤلاء يفتون اعتمادا على المذهب المالكي[70]، وهو مذهب معظم السكان، إضافة إلى المذهب الإباضي[71] الذي كان منتشرا في مناطق محدودة من هذا القطر[72].

وعند إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 926هـ/ 1520م[73]، أصبح للمفتي منصب رسمي، يُعين فيه من طرف الإدارة العثمانية[74]، وجعلوه على مذهبين: المذهب الحنفي الذي أدخله العثمانيون معهم إلى الجزائر، إضافة إلى المذهب المالكي، وهو مذهب غالبية السكان، أمّا الإباضيون فقد احتفظوا بنظامهم الإفتائي دون تدخل السلطة، مقابل الولاء

---

[69]ـــ **المازوني** : أبو زكريا يحي بن عمران موسى بن عيسى المازوني المغيلي، الفقيه الفاضل القاضي العادل، توفي سنة 883هـــ / 1478م، له كتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة المشهور المفيد في فتاوى المتأخرينمن أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان. ينظر، أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط1، 1989م: 637. ومحمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 65.

[70] ــ **المذهب المالكي**: نسبة لمالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ومفتيها، انتشر هذا المذهب في بلاد الغرب الإسلامي: الأندلس، المغرب الأقصى والأوسط والأدنى، ومصر، والحجاز خاصة المدينة المنورة التي كان مالك إمامها. ينظر، محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، مصر، د ت، ص: 431.

[71]ــ **المذهب الإباضي**: نسبة لعبد الله بن إباض، في هذا المذهب فقه جيد، وله علماء لهم مكانتهم، لهم أراء فقهية، من اعتقاداتهم: أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين، ويسمونهم كفارا، كفر النعمة لا كفار الاعتقاد، وكذلك دماء مخالفيهم حرام، ودارهم دار توحيد وإسلام... يقطن أنتباع في الجزائر في بلاد بني ميزاب(غرداية وبعض المدن المجاورة لها). ينظر، محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص: 78.

[72]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1500ــ 1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص:398. وينظر، بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص:31.

[73]ــ عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، العدد: 06، تونس، جويلية 1976، ص: 119.

[74]ــ أكمل الدين إحسان أُوغلي وآخرون، الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة، تعريب: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، 1999، ص: 483.

لها[75]، كما بقي بعض العلماء، وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية أيضا يفتون لمن يطلب منهم حكما شرعيا عن مسألة فقهية ما.

وهكذا فالإفتاء في الجزائر العثمانية أصبح على نوعين: إفتاء رسمي يصدر من عالم عُين في منصب الإفتاء، وهو ما سيُبيَّن في الفصل الثاني من هذا البحث، وإفتاء حر صادر عن مفتي لم تتدخل السلطة في تعيينه، سيكون في الفصل الثالث.

وقبل التطرق إلى هذين النوعين من الإفتاء في الجزائر العثمانية، يُعرَف الإفتاء، وبيان أركان الفتوى، والشروط الواجبة توفرها في كل ركن، مع أهمية الإفتاء، ومدى خطورة هذا المنصب.

---

[75]ـــ لطرش حنان، السلطة والمجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، إشراف : د.عميراوي احميدة، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2006/2005م. ص، ص: 93،90.

الفصل الأول

الإفتاء تعريفه، تاريخه، أهميته

1 ـ تعريف الإفتاء

2 ـ تاريخ الإفتاء

3 ـ أهمية الإفتاء

1 ــ تعريف الإفتاء:

للفظ الإفتاء عدّة معاني، ستُبيّن بعد التعريف اللغوي، وبيان ذلك كما يلي:

أ ــ التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب " التفاتي والفُتْيا والفُتْوَى والفَتْوَى ما أَفتى به الفقيه. ويقال أَفْتَى الرجلُ في المسأَلة، واسْتفتيته فيها، فأَفتاني إفتاء وفُتًى. وفتيا وفَتْوى اسمان يوضعان موضع الإِفْتاء"[76].

وفي كتاب العين " الفتوى لغة: اسم مصدر بمعنى الإفتاء، والجمع الفتاوى والفتاوى، يقال:أفتيته فتوى وفتيا، إذا أجبته عن مسألة، والفقيهُ يُفتي، أي يبيّن المبهم، ويقال: الفتيا فيه كذا وأهل المدينة يقولون : الفتوى"[77].

وللفتوى عدة معاني لغوية، منها:

ويقال: أَفْتاه في الأَمر أي أَبانَه له، ويقال أَفْتَيْت فلاناً رؤيا رآها، إِذا عبرتها له، وأَفْتَيته في مسأَلته، إِذا أَجبته عنها. يقال أَفْتاه في المسأَلة يُفْتِيه إِذا أَجابه[78]. وفي الحديث " ...فلما استحصد الزرع تَفاتَوا فيه النبي صلى الله عليه وسلم..."[79]، معناه تحاكموا إِليه

---

[76]ــ جمال أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، باب: فتا، حرف: و ــ ي، ط1، 1424هــ / 2003م، ج15، ص ص: 169 ــ 170.

[77]ــ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين، فتو، تحقيق: مهدي المخزومي وَ إبراهيم السامرئي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط2، 1409هــ،ج8، ص:137.

[78]ــ سعيد أبو جيب، القاموس الفقهي: لغة واصطلاحا، حرف: فاء، دار الفكر، دمشق، ط2، 1408هــ / 1988م، ص: 281.

[79]ــ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هــ، ج4، رقم الحديث: 22563، ص: 504.

وارتفعوا إِليه في الفُتْيا[80]، والفُتيا تبيين المشكل من الأَحكام. وأَفْتَى المفتي إِذا أَحدث حكماً[81]. وتطلق الفتوى على الدعاء[82]، باعتبار أن الدعاء سؤال وطلب، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة – رضي الله عنها-: " أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه..."[83]

ووردت هذه المعاني في القرآن الكريم:

قوله تعالى : "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ "[84]

وقال تعالى : " يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ "[85]

وقوله تعالى أيضا : " فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ "[86]

وقوله تعالى: " وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ

---

[80]ــ ابن منظور، لسان العرب، فتا، ج15، ص: 169.

[81]ــ ابن منظور ،المصدر نفسه،، ص ص: 169 ــ 170.

[82]ــ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1402هــ، ج10، ص:187.

[83]ــ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هــ/1998م، كتاب: الطب، باب: السحر، رقم: 5763، ص: 1128.

[84]ــ سورة: يوسف، آية: 43.

[85]ــ سورة: يوسف، آية: 46.

[86]ــ سورة: الصافات، آية: 11.

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا "[87]

وقال تعالى:" قَالَت يَأَيُّهَا المَلَؤُا أَفْتُوني فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُون "[88]

وقال : " يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ ...."[89]

قال تعالى:" فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ.... "[90]

قوله تعالى:" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ " [91]

كما وردت هذه المعاني في الحديث النبوي الشريف:

لقد كثر ورود كلمة الفتوى ومشتقاتها في كتب الحديث الشريف، حيث وردت كلمة الفتوى في كتب الصحاح والمسانيد، ثلاثمائة وأربعة وثلاث وتسعون مرة، بينما كلمة أفتي وردت في كتب الصحاح ثلاثمائة وأربعة وثمانين مرة، أما كلمة أُستفتي في كتب الصحاح ومسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك فقد وردت أكثر من ثلاثين مرة[92]، منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[87]ـــ سورة: النساء، آية: 137.

[88]ـــ سورة: النمل، آية: 32.

[89]ـــ سورة: النساء، آية:176.

[90]ـــ سورة: الصافات، آية: 149.

[91]ـــ سورة: البقرة، آية: 219.

[92]ـــ محمد عدنان كابتي، تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء، مكتبة دار الحديث، حلب، ط1، 1424هـــ/2003م، ص: 25.

ورد عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قوله : " أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النّار "[93]، وقولَه اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ وَمَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ وَمَنْ اسْتَشَارَ أَخَاهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ وَهُوَ يَرَى الرُّشْدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ خَانَ"[94].

وقوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: " ... وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ "[95].

وقوله أيضا " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[96].

ب ـــ التعريف الاصطلاحي[97]:

عرّف ابن القيم[98] الإفتاء أنه " الإخبار عن الحكم الشرعي من غير إلزام"[99]

---

[93]ـــ عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، سننه، باب: الفتيا وما فيه من الشدة، رقم: 159، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وَ خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1407، ج1، ص:180.

[94]ـــ أحمد بن حنبل، المسند، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1419هـــ/1998م، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، رقم: 8761، ص:644.

[95]ـــ مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث وابصة بن معبد الأسدي، رقم: 18169، ص:1308. وينظر، سنن الدرامي عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد، السنن، باب: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، رقم الحديث: 2588، ج8، ص:70.

[96]ـــ البخاري، المصدر السابق، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم: 100، ص: 45. وينظر، مسلم بن الحجاج أبو الحسين، الصحيح، اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـــ/1998م، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه، رقم: 2673، ص: 1072.

[97]ـــ أحمد محمد عزب، الفتيا: مسائل وأحكام، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جدة،م:17، ع1، 1430هـــ/2009م،ص: 476.

[98]ـــ **ابن القيم الجوزية:** هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، أحد كبار علماء المسلمين، ولد سنة 691هـــ/1292م بدمشق، وتوفي بها سنة 751هـــ/1350م، تتلمذ عل شيخ الاسلام ابن تيمية، وله تصانييف كثيرة منها: "إعلام الوقعين عن رب العالمين"، و"زاد المعاد في هدي خير العباد"، و"الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية". ينظر، خير الدين

وعرّفه الخرشي[100] في شرحه لمختصر خليل: " .... الفتوى هي الإخبار بالحكم الشرعي، لا على وجه الإلزام، سواء كانت بكتب أو إخبار"[101]

وعرّفه أحمد بن حنبل[102]: هو الإخبار بحكم الله تعالى من دليل شرعي، والمفتي هو المخبر بحكم الله تعالى لمعرفته بدليل شرعي[103]، وذكر زكريا الأنصاري[104] أن " الفتوى جواب حديث لأمر حديث"[105].

وجاء في الموسوعة الفقهية أن: "الاستفتاء طلب الإفتاء، والإفتاء هو: الإخبار عن حكم الشّارع في أمر من الأمور، بناءً على استقراء الأدلّة وإتباع مقتضياتها. وعليه فإنّ

الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم للرجال والنساء من العرب والمتعربي والمتشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج6، ص:56.

[99]ــ ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت ، 1973، ج4، ص: 247.

[100]ــ **الخرشي**: محمد بن عبد الله الخراشى المالكى أبو عبدالله أول من تولى مشيخة الأزهر كان فقيها فاضلا ورعا من كتبه الشرح الكبير على متن خليل والشرح الصغير على نفس المتن وهما مذهب المالكية وغيرهما أقام وتوفي سنة 1101 هجري بالقاهرة. ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 317.

[101]ــ محمد بن عبد الله الخرشي، شرح مختصر خليل، باب أحكام الجهاد، ج9، ص: 435.

[102]ــ **أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، ولد ببغداد سنة 164هـ/780م، وتوفي سنة 241هـ/855م، تعرض للفتنة في مسألة خلق القرآن، وسجن على إثرها ثمانية وعشرين شهرا، لامتناعه عن القول بخلق القرآن، له تصانيف كثيرة، منها: "المسند" في الحديث، "الناسخ والمنسوخ" و"الرد على الزنادقة فيما ادعت من متشابه القرآن"، وغيرها من مؤلفاته. ينظر،الزركلي، الاعلام،ج1،ص:203.

[103]ــ أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1397هـ ،.ص:04.

[104]ــ **زكريا الأنصاري**: هو الإمام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي، عالم، فقيه، تولى القضاء في القاهرة، من تصانيفه: حاشية على تفسير البيضاوي، شرح منهاج الوصول في الأصول، شرح صحيح مسلم، اختصار منهاج النووي....توفي سنة 925هـ. ينظر،عبد الناصر موسى أبو البصل، نظرية الحكم القضائي في الشريعة والقانون، تقديم: محمد نعيم ياسين، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420/ 2000، ص: 45.

[105]ــ زكريا محمد بن أحمد الأنصاري، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، المطبعة الميمنية، مصر، 1318هـ، ج1، ص:09.

الاستفتاء هو طلب بيان الحكم الشّرعيّ في أمر من الأمور"[106]، وفي القاموس الفقهي: "الفتوى هي الجواب عما يشكل من المسائل الفقهية، أو القانونية"[107].

ويجمع سليمان الأشقر هذه التعاريف، ويضيف في قوله: " الإفتاء هو إخبار بحكم الله تعالى من دليل شرعي، لمن سأل عنه في أمر نازل، وذلك أن الإخبار عن حكم الله تعالى عن غير سؤال هو إرشاد، والإخبار عن سؤال في غير أمر نازل هو تعليم"[108].

ويُستنتج من التعريفات السابقة أنّ الفتوى هي جواب عن سؤال يطرحه السائل لتوضيح ما أُشكل ما عليه، في أمر من أمور الحياة، ليعرف مدى توافقه لمبادئ الدين الحنيف، أو هي إقرار يصدره فقيه متمكن في الفقه الآسلامي، حول مسألة مجهولة من قبل السائل، ويُراد معرفة رأي الشرع فيها[109].

ج ــ الفرق بين الإفتاء والقضاء[110]: هناك تداخل بين الإفتاء والقضاء، ولمعرفة الفرق بينهما يجب تعريف القضاء أولا.

تعريف القضاء:

للقضاء عدة تعاريف لغوية منها ما يدلّ معناه الحكم، فيقال قضى قضاء أي حكم حكما، مصداقا لقوله تعالى" وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ أيّاه وبالوالدين إحسانا...."[111]،

---

[106]ــ الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الكويت، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1404هــ / 1983م ، باب دعوى، ج2، ص: 7173.

[107]ــ سعيد أبو جيب، القاموس الفقهي، حرف: فاء، ص: 281.

[108]ــ محمد عبدالله سليمان الأشقر، الفتيا ومناهج الإفتاء(بحث أصولي)، مكتبة المنار الإسلامية،الكويت، ط1، 1396هــ/1976م،ص:09.

[109]ــ محمد عدنان كابتي، المرجع السابق، ص: 27.

[110]ــ يوسف بلمهدي،لبعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى، إشراف: أ.د. إسماعيل يحي رضوان، رسالة ماجستير، معهد الشريعة، جامعة الأمير عبد القادر، 1417 ــ1418هــ/1996 ــ1997م، ص:06.

[111]ــ سورة: الإسراء، آية: 32.

وكذلك يكون القضاء بمعنى الفراغ والانتهاء من الشيء، فيقال قضى حاجته، أي فرغ منها، لقوله تعالى:" فوكزه موسى فقضى عليه...."[112]، ويأتي أيضا بمعنى الأداء والإنتهاء كقول العرب قضى دينه، إذا أدّاه، وفي القرآن الكريم" وقضينا إليه ذلك الأمر...."[113]، ويكون القضاء بمعنى الصنع والتقدير، فيقال هذا الشيء قضاه، أي صنعه، وقد جاء في القرآن" فقضاهنّ سبع سموات في يومين"[114].

أمّا التعريف الاصطلاحي له فهو: فصل الخصومة بين إثنين فأكثر بحكم الله عزّ وجل[115]، أو هو الفصل الملزم بين الناس في الخصومات، حسما للتداعي، وقطعا للتنازع وفق الأدلة الشرعية[116].

والفرق بين الإفتاء والقضاء [117]فهو كالآتي:

1ـــ يشترك كل من الإفتاء والقضاء في أنهما إخبار عن الأحكام الشرعية، ولكن الفتوى ليس فيها إلزام المستفتي بما أفتى له المفتي، عكس القضاء، إذ يعتبر حكم القاضي ملزما ونافذ[118].

2ـــ يعتبر ما يجري فيه حكم القاضي تجري فيه الفتوى أيضا، وليس العكس، ومثال على ذلك: العبادات تجري فيها الفتوى دون القضاء[119].

---

[112]ـــ سورة: القصص، آية: 15.

[113]ـــ سورة: الحجرات، آية: 66.

[114]ـــ سورة: فصلت، آية: 12.

[115]ـــ مصطفى الخن وَ آخرون، المرجع السابق، ج 8، ص:171

[116]ـــ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص: 246.

[117]، للمزيد عن الفرق بين الإفتاء وبين القضاء، ينظر، يوسف بلمهدي، المرجع السابق، ص ص: 07 ـــ 12.

[118]ـــ أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، الفروق، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 101. وينظر، يوسف بلمهدي، المرجع السابق، ص07.

[119]ـــ ينظر، أحمد محمد عزب، المرجع السابق، ص: 489.

3ـــ يعتبر حكم القاضي فهو خاص لا يجاوز المحكوم عليه، أمّا الفتوى فهي شريعة عامة تتعدى المستفتي إلى غيره، قال الونشريسي:" ...الفتيا شرع عام على المكلفين إلى قيام الساعة، والحكم يختص بالوقائع الجزئية"[120]

4ـــ تعتمد الفتوى على الأدلة الشرعية، بينما يعتمد القضاء على الحجج، يقول القرافي:" الحاكم يتبع الحجاج، والمفتي يتبع الأدلة، الأدلة هي الكتاب والسنة وغيرها، والحجاج: البيّنة والإقرار ونحوها"[121]. لقوله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّار "[122]

5ـــ خطر الفتوى أشد من خطر القضاء، لكون الفتوى شرع عام، وخطرها يتعدى المكلفين جميعا، بخلاف القضاء فهو حكم جزئي خاص، ولا يتعد المحكوم عليه[123].

6ـــ يجوز أن يفتي العبيد، وكذلك المرأة، عكس القضاء يُختلف في تولي هذين الصنفين من الناس هذا المنصب[124].

---

[120]ـــ أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج12، ص:07.

[121]ـــ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي القرافي ، الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام و تصرفات القاضي والإمام ، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،1416هـــ/ 1967م، ص: 30.

[122]ـــ البخاري، المصدر السابق، كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم، رقم: 7169، ص: 1368. وينظر،مسلم، الصحيح، كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم:1713، ص: 1714.

[123]ـــ يوسف بلمهدي، المرجع السابق، ص:12.

[124]ـــ أحمد بن يحي الونشريسي، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، لافوميك، د.ط، د.ت، ص:42. وينظر، ابن القيم، إعلام الموقعين، ج4، 210. في الفقه المالكي يشترط الذكورة في تولي منصب القضاء. وينظر، أحمد بن محمد الدردير، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة رحاب، الجزائر، 1988، ص: 171.

7ـــ الإفتاء إخبار عن حكم الله تعالى متعلق بمصالح الناس في الدنيا والآخرة، أما القضاء فهو فصل الخصومات بين المتخاصمين بما يتعلق بمصالح الناس في الدنيا فقط[125].

2 ـــ أركان الإفتاء:

وللفتوى أركان، هي كالتالي:

أ ـــ **المستفتي**: " طالب الفتيا وهو المقلد، والتقليد: العمل بقول غيره من غير حجة"[126]. وهو صاحب السؤال عن الحكم الشرعي، الذي لم يبلغ درجة المفتي، سواء أكان (صاحب السؤال) من المجتهد إلى من هو أعلم منه، أم من العامي الذي لم يبلغ درجة المفتي[127]، وللمستفتي آداب ذكرها العلماء[128] منها:

1. ـــ يجب عليه الاستفتاء إذا نزلت به حادثة علمُ حكمها.
2. ـــ البحث عن مفت ليستفتيه.
3. له أن يستفتي بنفسه أو يبعث ثقة يعتمد عليه خبره ليستفتي له.
4. ينبغي للمستفتي أن يتأدب مع المفتي، ويجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك، ولا يسيء التصرف معه.

---

[125] ـــ أحمد محمد عزب، الفتيا: مسائل وأحكام، ص: 489.

[126] ـــ أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي، جامع مسائل الأحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م، ج1، ص:62.

[127] ـــ ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، أدب المفتي والمستفتي، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الوفاء للنشر والتوزيع، المدية، الجزائر ص:159، وينظر، ابن رشد، مختصر المستصفى، ص: 144.

[128] ـــ أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـــ، ص:163.وينظر، أبو زكريا يحي بن شرف الدين النووي المشقي، أدب الفتوى المفتي والمستفتي، بعناية : بسام عبد الوهاب الجالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1408هـــ/ 1988، ص: 71. وينظر، محمد جمال الدين القاسمي، الفتوى في الإسلام، تحقيق: محمد عبد الحكيم عبد الحفيظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـــ/ 1986م، ص:102.

5. إذا كتب سؤاله على الورقة، عليه أن يحسن صياغته، وبخط واضح.

6. الدعاء بالخير للمفتي عند سماعه للجواب.

ب ــ المفتي:

المفتي" هو الفقيه، العالم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال..."[129]. وهو " ...المُستقل بأحكام الشرع نصّا واستنباطا.."[130]، المُجيب عن السؤال، المُخبر عن حكم الله تعالى بدليله، وقيل أنه من بلغ درجة المجتهد[131].

ووضع العلماء في من يتولّ الإفتاء شروطا[132]، تتعلّق بشخصه، واستعداده الفطري، وشروطا تتعلّق بالعلوم، الّتي لابد أن تتوفر له، حتّ يمكنه أن يفتي في المسائل التي تطرح عليه[133]، ومن الشروط العلمية[134]:

1ــ أن يكون عالما بنصوص الكتاب والسنّة، ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنّة، بل ما يتعلّق منهما بالأحكام الشرعية معرفة تفصيلية، بأن يتمكن من الوصول إلى

---

[129] ــ أبو القاسم بن أحمد البرزلي، المصدر السابق، ص:62.

[130] ــ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق وتعليق: محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر بيروت/دمشق، ط3، 1419هــ/ 1998، ص:572.

[131] ــ علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية/ دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424/ 2003م، ج2، ص: 270.

[132] ــ للمزيد في التعرف على شروط الواجب توفرها في المفتي، ينظر، حسين محمد الملاح، الفتوى: نشأتها ــ تطورها وتطبيقاتها، المكتبة العصرية، بيروت، د ت، ج1، ص ص:578ــــ 601.

[133] ــ سعاد رباح، منهج الإمام المقري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي، إشراف: أ.د. سعاد سطحي، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبدا لقادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، 1427ــ1428هــ/2006ــ2007م، ص:94.

[134] ــ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص:163. وينظر، محمد رياض، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1998، ص ص: 252ــ 287.

معرفة مواضعها بيسر وسهولة، وأن يكون عالما بوجوه دلالتها، وكيفية استنباط الأحكام منها[135].

2ـــ أن يكون عالما بلسان العرب، لأن الكتاب والسنّة هما أصل التشريع، فقد وردا باللغة العربية، فلابد للمفتي من معرفة ما يمكنه من فهم، وتفسير الكتاب والسنّة، من لغة وبلاغة، ولا يشترط التعمق، والتبحر في علوم اللغة وفنونها[136].

3 ـــ أن يكون عالما بمسائل الإجماع والاختلاف حتى لا يفت بخلاف ما وقع عليه الإجماع[137].

4 ـــ أن يكون عالما بأصول الفقه، حتى يتمكن من رد الفروع المسكوت عنها إلى أصولها المنطوق بها، والمجمع عليها بطريق سهل ميسر، وإذا قصر في ذلك صعب عليه الرد[138].

5 ـــ يشترط في المفتي الفهم بمقاصد الشريعة، وعلل الأحكام، ومصالح الناس، حتى يتمكن من استنباط الأحكام الشرعية فيما لا نص فيه، وذلك بتطبيق روح الشريعة وأسرارها، وما تقتضيه مصالحها[139].

---

[135] ـــ جمال الدين القاسمي،المرجع السابق، ص:64. وينظر، سعاد رباح، المرجع السابق، ص:94.

[136] ـــ أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت ، دت، ص:738. وينظر، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الرّد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد كل في عصر فرض، تحقيق: خليل الميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983،ص: 176.

[137] ـــ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1408هـــ، ج2، ص: 498. وينظر، الشاطبي، المصدر السابق، ص: 757.

[138] ـــ سعاد رباح، المرجع السابق، ص:97.

[139] ـــ الشاطبي، الموافقات، ص: 734.

" وقد سئل ابن رشد[140]: هل يستفتي من قرأ الكتب المستعملة مثل المدونة والعتبية دون رواية أو كتب المتأخرين ثم لا يوجد لها رواية أم لا؟ فإن أفتى بها هل تجوز شهادته أم لا؟

فأجاب: " ... من قرأ على الشيوخ وأحكم معانيها وفهم أصولها بما بُنيت عليه من الأصول الأربعة وأحكم وجه القياس وعرف الناسخ والمنسوخ، وسقيم السنة من صحيحها، وفهم من اللسان ما يُعرف به الخطاب، جازت فتواه بما يترل من المسائل باجتهاده[141]، ممّا لا نص فيه. ومن لم يبلغ هذه الدرجة فلا تجوز له الفتوى في النوازل..."[142]

أمّا الشروط المتعلقة بشخصية المفتي التي اشترطها العلماء فيه، فهي: أن يكون مسلما، بالغا، عاقلا، عدلا، ولا يشترط الذكورة والحرية، ولا سلامة الحواس من سمع وبصر ونطق، فتصح فتيا المرأة، والعبد، والأصم، والأعمى، والأخرس إذا كتب أو فهمت إشارته[143].

وهناك شروط أخرى هي: أن يكون على قدر من اليقظة وجودة الذهن والمعرفة بأحوال الناس، وبمكرهم، وخداعهم، حتى لا يقع في هذا الخداع، وأن يكون صلبا في دينه،

---

[140]ــ **ابن رشد:** هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، قاضي الجماعة بقرطبة، وهو من أعيان المالكية، سكن مرسية، وكان عالما وفقيه وأديبا لغويا ومؤرخا، له عدة مؤلفات منها: "المقدمات والممهدات"، و" البيان والتحصيل "، وفي الطب كتاب سماه:" الشفاء"،توفي سنة 559هــ. ينظر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترتيب واعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1424هــ/2004م، ج2، ص:1693.

[141]ــ الإجتهاد: يُعرف لغة هو بذل الجهد، واستفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور، ولايستعمل إلاّ فيما فيه كلفة ومشقة، وإصطلاحا هو استفراغ الجهد في درك الأحكام الشرعية. ينظر، وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1406هــ/1986م، ج2، صص: 1037 ــ1038.

[142]ــ البرزلي، جامع مسائل الأحكام،ج1، ص:83.

[143]ــ الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، ص:163، وينظر، السيوطي، الرد، ص : 160. وينظر،، أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، ص، ص:572، 574.

لا تأخذه في الحق لومة لائم، وأن يكون على قدر كبير من الورع والزهد، ومخافة الله تعالى[144].

أمّا ابن القيم يشترط في المفتي العلم والصدق معا، حيث قال:"... ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا، إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالما بما بلغ صادقا فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه، وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات ،فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ..."[145]

آداب المفتي[146]: للمفتي آداب يجب مراعاة حينما يجيبه عن سؤال المستفتي، ومنها:

1. إتباع العلم بالعمل، وإخلاص النية مع استحضار خطورة الفتوى.
2. أن يكون جواب المفتي مبينا بيانا مزيحا للإشكال.
3. إذا كان المستفتي بعيدا عن الفهم، فينبغي للمفتي أن يكون رفيقا به، صبورا عليه، حسن التأني في التفهم منه، والتفهيم له، حسن الإقبال عليه.
4. أن يعلم أن ما يفتي به دين يُحاسب عليه أمام الله، فيجب التريث وعدم التسرع في إصدار فتواه.
5. أن يحفظ أسرار الناس، ويستر ما اطلع عليه من عوراتهم.
6. أن يرشد المستفتي إلى البديل المناسب من الأحكام.

---

[144]ــ سعاد رباح، منهج الإمام المقري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي، ص:98.

[145]ــ ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، العالمين، ج1، ص: 11.

[146]ــ محمد رياض،المرجع السابق، ص:246. وينظر،سعاد رباح، المرجع السابق، ص ص: 103ــ 106.

7. أن يحيط بأحوال الناس، وظروفهم الاجتماعية والنفسية، ويراعي أعرافهم وعاداتهم، حتى يفهم مقاصد المستفتين.

8. ألا يفتي إذا تغير خُلقه، وانشغال قلبه، بخوف أو حزن شديد، أو غضب جامح أو جوع، أو نعاس، أو ألم، ونحوه، ممّا يُفسد الإنسان تركيزه.

9. أن يكون مكتفيا، متعففا عمّا في أيدي الناس.

10. أن يرجع عن الخطأ إذا تبيّن له، وأن لا يخاف لومة لائم في فتواه[147].

ج ــ الفتوى:

وهي مضمون ما أفتى به المفتي. أو هي إجابة المفتي عن الأسئلة، التي وصلت إليه من طرف المستفتي. وجاء تعريفها في القاموس الفقهي أنها الجواب عمّا يشكل من المسائل الشرعية، أو القانونية[148].

للفتوى ميزة أنها تتغير وفق عدة عوامل، منها: كتغير الزمان والمكان، وتغير المصلحة، والعرف، وتغير حال المفتي بسبب المؤثرات النفسية مثل الغضب أو العطش أو الحزن، أو النعاس، أو المرض....وهناك مؤثرات محيطة بالمفتي، تؤثر في فتواه، مثل تدخل الحكام، وترغيبهم المفتي في فتوى معينة، تخدم مصالحهم، أو تعريضه لإكراه، قصد تغيير فتواه[149].

وللفتوى ضوابط[150]، منها:

ــ عدم التعصب والتقليد الأعمى

ــ ذكر دليل الفتوى

---

[147]ــ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: لجنة علماء من علماء الأزهر، دار الكتبي، القاهرة، ط1، 1414هــ / 1994م، ج8، ص: 356.

[148]ــ القاموس الفقهي، ج1، ص: 281.

[149]ــ يوسف بلمهدي، البعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى، ص ص: 110 ــ 212.

[150]ــ يوسف القرضاوي، من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1421هــ / 2000م، ج1، ص ص: 08ــ 16. وينظر، يوسف بلمهدي، المرجع نفسه، ص: 110.

ــ ذكر الحكم مقترنا بحكمته أو علّته

ــ التيسير وعدم التشدد في الفتوى

ــ تحري الصواب والأرجح في الفتوى

ــ الإعراض عن المسائل التي لا نفع فيها للناس.

3 ــ تاريخ الإفتاء:

الإفتاء هو بيان وجه الشرع في مسألة ما من طرف الفقيه، الذي كلّفه الله عزّ وجلّ ببيان ما علمه من دينه إلى من دونه، ابتداء من رسوله صلى الله عليه وسلم، وخلال هذه الحقبة الزمنية من البعثة النبوية إلى إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، مرّ الإفتاء بفترات مختلفة، ومتمايزة عن بعضها البعض، منها:

أ ــ الإفتاء على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

وأول من قام بمنصب الإفتاء هو سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فكان يفتي من الله بوحيه المبيّن، فيبيّن للناس أمور دينهم، لقوله تعالى:" وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ "[151]، وكانت فتواه صلى الله عليه وسلم أحكاما، واجبة على المسلمين اتباعها، وتحكيمها والتحاكم إليها، وليس لأحد العدول عنها ما وجد إليها سبيلا[152]، لقوله تعالى: " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى "[153]، وقوله سبحانه عزّ وجلّ:" ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا..."[154].

[151]ــ سورة: النور، آية: 54.

[152]ــ محمد جمال الدين القاسمي، المصدر السابق، ص: 32

[153]ــ سورة: النجم، آية: 3،4.

[154]ــ سورة: الحشر، آية: 07.

وكانت فتواه صلى الله عليه وسلم تكتب في عصره، لقول أبي هريرة [155]:" لم يكن أحد من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا عبد الله بن عمرو[156]، فإنه كتب ولم أكتب"[157]، وقول عبد الله بن عمرو:" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضاء، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه، وقال: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"[158].

---

[155]ـــ **أبو هريرة** (21 ق هـــ - 59 هـــ/ 602 - 679 م): هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة 7 هـــ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه 5374 حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من 800 رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها.وكان يفتي، وقد جمع شيخ الاسلام تقي الدين السبكي جزءا سمي (فتاوي أبي هريرة) . ينظر، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص: 4065 . وينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص: 308.

[156]ـــ **عبد الله بن عمر وـــ رضي الله عنهما ـــ:** عبد الله بن عمرو بن العاص قريشي من أهل مكة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن.وقيل: أبو نصير القرشي السهمي.وقد أسلم قبل أبيه، ويقال: كان اسمه العاص، فلما أسلم غيره النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما جما. حيث كتب عنه صلى الله عليه وسلم بإذنه ، وترخيصه له في الكتابة ، وكان كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية من قبل، يبلغ ما أسند سبعمائة حديث ، وكان يشهد الحروب والغزوات. وحمل راية أبيه يوم اليرموك. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، ولما ولي مزيد امتنع عبد الله من بيعته، وانزوي - في إحدى الروايات - بجهة عسقلان، منقطعا للعبادة، وعمي في آخر حياته، واختلفوا في مكان وفاته. ينظر، الذهبي، المصدر نفسه، صص:2448 ـــ 2451. وينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 111.

[157]ـــ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وَ محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت، ط2، 1403هـــ / 1983م، ج1، ص:293.

[158]ـــ رواه أحمد في مسنده، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم: 6510، ص:493.

وكانت الأسئلة التي تصله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أسئلة واقعية تتصل بصميم حياتهم دون افتراضات أو أغلوطات، فكلما تعرض للمسلمين من وقائع، ومستجدات في شؤون حياتهم، ومعاملاتهم، لجؤوا إليه صلى الله عليه وسلم ليفتيهم في أمور دينهم ودنياهم، ويبيّن لهم وجه الشرع فيها [159].

لقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن استفسارات صحابته الكرام المتعددة، وفق ما جاء به الوحي، ولكن هناك بعض الاسئلة التي لم يجب عليها صلى الله عليه وسلم، حتى نزل القرآن الكريم مجيبا عنها، في قوله تعالى: " ويسألونك..."وبلغ عدد هذه الأسئلة التي تولى الباري سبحانه وتعالى الجواب عنها ثلاثة عشر سؤالا[160] متعلقة بـــ: الشهر الحرام، كقوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ "[161]، والخمر والميسر في قوله سبحانه عزّ وجلّ: لقوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"[162]،. النفقة، اليتامى، ذي القرنين، أهل الكتاب، النساء، الكلالة، الساعة، الجبال، المحيض، الأهلة، الروح، الأنفال.وبعض من هذه الأسئلة لم تكن من صحابته رضوان الله عليهم، بل كانت من المشركين، وأهل الكتاب، وكان محورها حول أمور غيبية، مثل: الروح، ذي القرنين، الساعة[163].

ب ـــ الإفتاء على عهد الصحابة رضوان الله عليهم:

[159]ـــ حسين محمد الملاح، المرجع السابق، ص:17.

[160]ـــ محمد رياض، المرجع السابق، ص:24.

[161]ـــ سورة: البقرة، آية:217.

[162]ـــ سورة: البقرة، آية: 219.

[163]ـــ محمد رياض، المرجع السابق، ص:24.

الصحابة الكرام ورثته صلى الله عليه وسلم، وحملة علومه وشريعته[164]، فقام من بعده أئمة ومفتون منهم، حيث كانوا إذا نزلت بهم نازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها، من كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا رضوان الله عليهم ــ يتدافعون الفتوى، ويود كل منهم لو كفاه إيّاه غيره[165]، واشتهر في الفتوى منهم إذا جُمعت فتواه كانت فتواه في مجلد، ومنهم من إذا جمعت فتواه كانت في جزء صغير، ومنهم من كانت له فتوى أو فتوتين فقط.

وعدد الصحابة الذين تصدّروا الفتوى كانوا نحو مائة وخمسين، مع العلم أن الذين رأوه بأعينهم وغزوا معه، وعاشوا معه قد وصل عددهم إلى حوالي مائة وأربعة وعشرين ألف صحابي[166]، ورغم المكانة الخاصة لهؤلاءــ رضوان الله عليهم ــ مقارنة بغيرهم من المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم:" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه"[167]، إلاّ أن منصب الإفتاء فيهم كان محددا، لا يقوم به الجميع، بل من توفرت فيه ملكات، وعلوم زائدة على مجرد الصحبة النبوية الكريمة[168].

ومن مميزات الفتوى في عهدهم ــ رضوان الله عليهم ــ أنهم يجيبون فقط عن الأسئلة التي فعلا وقعت للمستفتي، فزيد بن ثابت[169] ــ رضي الله عنه ــ مثلا، كان إذا

---

[164]ــ حسين محمد الملاح، المرجع السابق، ص: 47.

[165]ــ محمد رياض، المرجع السابق، ص:51.

[166]ــ محمد جمال الدين القاسمي، المصدر السابق، ص: 35.

[167]ــ البخاري، المصدر السابق، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا، رقم: 3673، ص: 3674.وينظر، مسلم، الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، رقم: 2540، ص: 1026.

[168]ــ علي جمعة، الإفتاء بين الفقه والواقع، الوابل الطيب للإنتاج والتوزيع والنشر، القاهرة، ط1، 1428هــ/2007م ، ص ص: 06ــ09.

[169]ــ **زيد بن ثابت:** زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري . وكان عمره يوم الهجرة النبوية إحدى عشرة سنة، عاش يتيم الأب. شهد الخندق، وكان ينقل

سأله إنسان عن شيء، قال له: أكان هذا؟ فإن قال المستفتي: نعم، نظر زيد في مسألته، وإلاّ لم يجبه، وقد نهى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عن مثل هذا الأمر، حين قال:" ...إنه لا يحل لأحد أن يسأل عما لم يكن، إن الله تبارك وتعالى قد قضى فيما هو كائن"[170].

ومن مميزات الفتوى أيضا في هذا العهد، أن الصحابة رضوان الله عليهم ــ كانوا يتأنون في إصدار الفتوى، ويتمهلون، خوفا من الوقوع في الخطأ، ويذمون من يسارع إليها، كما كانوا يتدافعونها فيما بينهم، وكانوا كذلك إذا نزلت نازلة ، فزعوا إلى الشورى، من باب الاحتياط في تقدير الحكم الشرعي المناسب للواقعة[171].

وهناك أمثلة كثيرة من النوازل التي أجتمع الصحابة لدراستها[172]، ثم إصدار الحكم المناسب لها، خاصة في الميراث، حيث ظهرت عدة مسائل، منها: مسألة العمريتين نسبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أفتى فيهما، وصورتهما في علم الفرائض، المسألة الأولى:

التراب مع المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إنه نعم الغلام"، وكانت راية بني مالك بن النجار يوم تبوك مع عمارة بن حزم فأخذها رسول الله صلى الله عليه و سلم ودفعها إلى زيد بن ثابت فقال عمارة : يا رسول الله بلغك عني شيء قال : " لا ولكن القرآن مقدم وزيد أكثر أخذا للقرآن منك" . وكان كاتبا للرسول صلى الله عليه و سلم الوحي وغيره، وكانت ترد على رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب بالسريانية فأمر زيدا فتعلمها، وكتب بعد النبي صلى الله عليه و سلم لأبي بكر وعمر وكتب لهما معيقيب الدوسي أيضا، واستخلف عمر وعثمان رضي الله عنهما على المدينة خلال غيابهما عنها. وكان أعلم الصحابة بالفرائض فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أفرضكم زيد " . فأخذ الشافعي بقوله في الفرائض عملا بهذا الحديث وكان من أعلم الصحابة والراسخين في العلم، روى عنه من الصحابة : ابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأنس وسهل بن سعد وسهل بن حنيف وغيرهم وضوان الله عنهم أجمعين. ينظر، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، صفة الصفوة، تحقيق : محمود فاخوري وَ محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1399هـ/ 1979م، ج1، ص: 704.

[170] ــ محمد رياض، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ص:53.

[171] ــ محمد رياض، المرجع نفسه، ص ص:54ــ55.

[172] ــ لمعرفة بعض النماذج من فتاوى الصحابة رضوان الله عليه الفردية والجماعية. ينظر، حسين محمد الملاح، المرجع السابق، ص ص: 61ــ 70.

زوج وأب وأم، أما الثانية:زوجة وأب وأم، وكان جوابه رضي الله عنه: أن للأم ثلث الباقي الواجب لها نصا خارج هاتين الصورتين[173].

وكذلك مسألة ما الحكم حين يلتقي الجد مع الإخوة سواء كانوا أشقاء أو لأب؟ وقد ثار النقاش حول هذه النازلة، واختلفت فتاويهم، إلى فريقين: فريق قال يرى أن الجد مع الإخوة كالأب معهم، يحجبهم، أما الفريق الثاني: فيقول بتوريث الإخوة مع الجد، كما وقع الإجتهاد في عهد الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ وتشاورهم حول مسألة المشتركة أو المشركة، لاشترك الإخوة الأشقاء مع الإخوة للأم في الثلث، في صورة: زوج وأم وأخوة لأم وإخوة أشقاء, وكذلك مسألة ميرا ث الجدة أم الأب، وأيضا العول في الفرائض[174].

وهكذا قام الصحابة رضوان الله عليهم بأمر الفتوى مبلّغين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي علّمهم منهج الفتوى والاستنباط، فقد أفتوا الناس وفق ما جاء به القرآن الكريم، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما اجتهدوا برأيهم، واستخدموا مقدراقم العلمية والفكرية في كل واقعة وقعت لهم، و لم يجدوا فيها نصا[175].

فظهرت نتيجة لهذا الاجتهاد عدة فتاوى، تكون أحيانا مختفلة في المسألة الواحدة[176]، وهذا راجع لفهم الصحابي للمسألة، وللنص سواء من القرآن، أو من السنّة الشريفة، وكذلك تفرق الصحابة على الأمصار، ومن المعروف أنه يراعى في الفتوى العرفن والزمن

---

[173] ـــ محمد رياض، المرجع نفسه، ص:59.

[174] ـــ محمد رياض، المرجع السابق، ص ص:61ـــ66.

[175] ـــ حسين محمد الملاح، الفتوى: نشأتها ـــ تطورها وتطبيقاتها، ص: 71.

[176] ـــ مثال على اختلاف الفتوى في المسألة الواحدة، كمسألة: قول الرجل لزوجته أنت عليّ حرام، اختلافهم في قول الرجل لزوجته أنت علي حرام حتى قال أبو بكر وعمر هو يمين وقال علي وزيد هو طلاق ثلاث وقال ابن مسعود هو طلقة واحدة وقال ابن عباس هو ظهار. ينظر، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـــ، ج4، ص:46.

والمكان، ولكن مع اختلافهم في الفتوى، لم ينكر مفتي على آخر[177]، بل يحترم الرأي المخالف، ولو لم يأخذ به.

ج ـــ الإفتاء على عهد التابعين:

لقد ظهر عدد من العلماء التابعين الذين حفظوا كتاب الله سبحانه وتعالى، وتفقهوا في دينهم على أيدي الصحابة ـــ رضوان الله عليهم، فتعلموا منهم، وأتقنوا رواية الحديث الشريف وحفظه، وتتبعوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحكامه وفتاويه، فنهضوا بهذه المهمة الجليلة، منهم على سبيل المثال: محمد بن سيرين[178]، الحسن البصري[179]، سفيان الثوري[180]، وربيعة الرأي[181] وسحنون بن سعيد التنوخي[182] وغيرهم، ثم جاء الأئمة

---

[177]ـــ حسين محمد الملاح، المرجع نفسه، ص:71.

[178]ـــ **أبو بكر محمد بن سيرين:** البصري الأنصاري، التابعي، مولى أنس بن مالك، ولد بالبصرة سنة 33هـــ/653م، وتوفي بها سنة 110هـــ/729م، تفقه في الدين، وروى الحديث، وكان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، ينسب إليه كتاب " معبير الرؤيا". ينظر، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994،ج4، ص: 181.

[179]ـــ **الحسن البصري:** هو التابعي أبو سعيد الحسن بن يسار، ولد في المدينة المنورة سنة 21هـــ/642م، شبّ في كنف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، له كتاب " فضائل مكة"، توفي رحمه الله في البصرة سنة 110هـــ/728م. ينظر، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ، 1405، ج2، ص: 131.

[180]ـــ **سفيان الثوري:** هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، سيد أهل زمانه في علوم الدين، وأميرهم في الحديث، ولد في الكوفة سنة 97هـــ/716م، ونشأ بها، ثم رحل إلى مكة، ثم إلى البصرة وتوفي فيها سنة 161هـــ/778م، له كتاب" الجامع الكبير" و"الجامع الصغير" في الحديث، وكتاب في الفرائض. ينظر، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المصدر نفسه، ج6، ص:356.

[181]ـــ **ربيعة الرأي:** هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ التيمي ولد بالمدينة المنورة، كان إماما حافظا، وفقيها مجتهدا، كان بصيرا بالرأي (القياس)، وكان صاحب الفتوى في المدينة المنورة، توفي بالهاشمية من الأنبار سنة 132هـــ/753م. ينظر، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص: 288.وينظر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

الأربعة: الإمام مالك بن أنس، وأبوحنيفة النعمان ، محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأصّلوا الفقه الإسلامي، ودوّنوه، وقعّدوا قواعده، وتصدّوا لإفتاء المسلمين، وبيان أحكام الشريعة لهم.

لقد كان التابعون في فتواهم يستندون إلى من سبقهم من الصحابة، فكانوا ينظرون إلى إجماعهم، ثم ما اختلفوا فيه بينهم، تناولوه بإحدى المرجحات، إمّا بقوة الدليل، أو بكثرة القائل منهم، أو موافقة فتواهم لقياس أقوى، أو ما هو أقرب من أقوالهم إلى نص الكتاب والسنة، وإن لم يعثروا على فتوى في المسألة يفزعون إلى تخريج ما ليس له حكم[183].

لقد تتلمذ التابعون على أيدي الصحابة في استنباط الأحكام، وطرق الاستدلال عند إجابة المستفي في مسألته، وقد اختلف الصحابة في فتواهم، لاختلافهم في فهم المراد من النصوص، وكذا تقديراتهم للمصالح في البيئات والأمصار المختلفة، وامتدّ هذا الاختلاف في الفتوى عند التابعين، إضافة إلى التفرق السياسي، وظهور عدة فرق، مثل الخوارج[184]،

عثمان بن قَايْماز الذهبي، المصدر نفسه، ج6، ص: 89. وينظر، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، المصدر السابق،ج2، ص:83.

[182]ــ **سحنون بن سعيد:** هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون، أصله من حمص، ولد سنة 160هــ/777م بالقيروان، ولي القضاء بها سنة 234هــ/...،كان رفيع القدر، وعفيف النفس، روى المدونة في فروع الفقه المالكي، توفي بالقيروان سنة240هــ/854م. ينظر، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1395هــ/1975م، ج8، ص: 299. وينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص: 204.

[183]ــ محمد رياض، المرجع السابق، ص:75.

[184]ــ **الخوارج:** كل من خرج على الإمام الحق، يسمى خارجيا، سواء في أيّام الصحابة، على الأئمة الراشدين، أوكان بعدهم، وأصل هذه الفرقة تلك الفئة التي خرجت عن جماعة أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه، في معركة الصفين الشهيرة، من أقطابها: الأشعث بن قيس، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي، وغيرهم. ينظر، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هــ/2005م، ج1، ص: 91.

الشيعة[185]، وغيرهما، وكانت كل فرقة لها منهجها في استنباط الأحكام لاستخراج الفتوى[186].

ومع ظهور هذه الفرق، ظهر الوضّاعون للحديث[187] الناتج عن التعصب السياسي والمذهبي، مما جعل من هؤلاء المغالين في مذاهبهم، يستبيحون لأنفسهم أن يؤدوا ما عندهم بأحاديث، يروونها كذبا، أمّا جمهور أهل السنّة والجماعة، فظهرت عندهم مدرستان: مدرسة أهل الحديث، التي تعتمد على النصوص في استخراج الحكم، ومدرسة أهل الرأي، التي تستعمل القياس في غياب النصوص الصريحة. فكل هذه الأسباب ساهمت في اختلاف الفتوى في عصر التابعين[188].

د ـــ الإفتاء في المغرب الأوسط:

لقد حمل الفاتحون الإسلامَ لبلاد المغرب، فاقتنع به أهل هذه البلاد، فعملوا به، وعاشوا له، مجاهدين في سبيل تعلمه، رغم اختلاف لغة الفاتحين عن لغة هؤلاء السكان، كما

---

[185]ـــ **الشيعة**: هم الذين شايعو عليّا كرّم الله وجهه، وقالوا بإمامته وخلافته، نصا ووصية، وجليا وخفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم من غيره، أو بتقية من عنده....يقولون بثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، وبالتولي والتبري: قولا وفعلاوعقدا إلاّ في حالة التقية، وينقسمون إلى عدة فرق. ينظر، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المصدر نفسه، ج1، ص: 117.

[186]ـــ حسين محمد الملاح، المرجع السابق، ص ص:101ـــ102.

[187]ـــ مثال على من وضع الحديث : أصبغ بن خليل الذي أفتعل حديثا ليستدل به على عدم مشروعية رفع اليدين، في غير تكبيرة الإحرام، هذا نصه: " أصبغ بن خليل عن غازي بن قيس عن سلمة بن ورد عن ابن شهاب عن الربيع بن خيثم عن ابن مسعود، قال: صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي أبكر سنتين، وخلف عمر عشر سنوات، وخلف عثمان إثني عشر سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنوات، فما رفع واحد منهم يديه إلاّ في تكبيرة الإحرام"، ودليل الوصع فيه، هو أن لسمة بن ورد لم عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع حرفا و لم يلقاه، وابن مسعود قال في هذا الحديث أنه صلى وراء علي بالكوفة وهو قد مات في خلافة عثمان.....ينظر،إبراهيم التهامي، جهود علماء المفرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1426هـــ/ 2005م، ص:128.

[188]ـــ حسين محمد الملاح، المرجع نفسه، ص: 102.

جاهدوا أيضا من أجل نشره، في بلاد الفرنج، فظهر منهم طارق بن زياد[189] الذي فتح الأندلس، حاملا إليها منار الاسلام.

ولكن هذه الرقعة من البلاد الاسلامية لم تهنأ بالاستقرار السياسي، فكلما ظهر تيار سياسي معارض في المشرق العربي، و لم يستطع التقوي على السلطة الحاكمة، يرجع إلى هذه البلاد البعيدة عن مقر الخلافة، ليُكوّن عُصبة تسانده لقيام دولة مستقلة عنها، مثلما كان الحال مع عبد الرحمن ابن رستم [190]مؤسس الدولة الرستمية، التي كان المذهب الإباضي مذهبها الفقهي، وبعده أبو عبد الله الشيعي[191] الذي أسس الدولة العبيدية على المذهب

---

[189]ـــ **طارق بن زياد:** كان أميرا على طنجة، لما سمع عن اختلاف الفرنج واقتتالهم، فاستغلّ طارق هذه الفرصة، وعبر البحر، ووقعت بين جيوشه وجيش النصارى الاقتتال إلى أن انتصر على ملكهم لذريق في معركة وادي الطين، وبعدها دخل مدينة قرطبة، معلنا فتحها رسميا، وذلك في شهر رمضان من سنة إثنتين وتسعين هجرية، ومنها كتب مولاه موسى بن نصير بهذا الفتح، وقيل انه حسده في ذلك، فكتب له ألاّ يتجاوز مكانه، ولما وصل إليه، أساء إليه، وألقى عليه القبض. ينظر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المصدر السابق، ج4، ص: 500. وينظر، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي، جذوة المقتبس، في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص:12.

[190]ـــ **عبد الرحمن بن رستم** : هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى فارسي الأصل.ولد بالعراق وقدم إلى القيروان مع والدته عندما توفي والده بالحج، تزوجت بواحد من حجاج المغرب الذين التقوا بهم. فنشأ بالقيروان، وهو مرسس مدينة تاهرت بالجزائر، وأول حاكم للدولة الرستمية، وكان من فقهاء الإباضية بإفريقية، معروفا بالزهد والتواضع. ينظر، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص: 302. وينظر، ابن اخلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م، ج6، ص:113.

[191]ـــ **أبو عبيد الله الشيعي:** هو أبو عبد الله حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، من أهل صنعاء، امتاز العلم والذكاء، والخديعة والمكر، يعتبر المؤسس الفعلي لدولة العبيدين في بلاد المغرب، وصل إلى هذه البلاد بعد موت من سبقه من دعاة الشيعة: الحلواني، وأبي سفيان، وعن طريق تعرفه على أهلها بمكة وقت الحج، ونزح معها إلى بلاد كتامة بالأوارس، التي منها بدا يدعو إلى شيعته، ونظرا لسياسة الأغالبة، التي لم ترق السكان، استغل هذا الشيعي هذه الظروف، وكوّن جيشا من قبيلة كتامة، واستطاع أن يقضي على دولة الأغالبة سنة 296هـ/909م، وعلى دولة بني مدرار بسجلماسة، ودولة بني رستم سنة 297هـ/910م، كانت نهايته على يدي عبد الله المهدي الشيعي يوم الثلاثاء من سنة 298هـ. ينظر، أبو عبد الله محمد بن

الشيعي، ثم انهارت هذه الدولة، وخلفتها دولة بني حماد السنية التي اتخذت المذهب المالكي مذهبها الرسمي لها، ومنذ هذه الدولة والمغرب الأوسط على مذهب أهل السنة مختارين نهج إمام المدينة المنورة مذهبا.

ومن هذا العرض البسيط عن التطور التاريخي للتمذهب الفقهي، يستنتج أن المغرب الأوسط عرف قبيل الوجود العثماني في الجزائر، أربعة مراحل من هذا التمذهب:

المذهب الأول في بلاد المغرب الإسلامي هو مذهب الصحابة والتابعين الذين أوصلوا الاسلام إلى هذه المنطقة، بدء من عقبه بن نافع الفهري[192]، وبعده موسى بن نصير[193] الذي

علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك عبيد وسيرتهم، تحقيق: تهامي نقرة وَ عبد الحليم عويس، د.ط، د.ت، ص ص:31ــ 43.، ينظر، علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، ص ص: 42ــ 46.

[192]ــ **عقبة بن نافع:** هو التابعي عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تصح له صحبة . ولاه عمرو بن العاص إفريقية لما كان على مصر فانتهى إلى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنة إحدى وأربعين، وافتتح في سنة اثنتين وأربعين غدامس، وفي السنة الموالية افتتح مواضع من بلاد السودان، وودان وهي من حيز برقة من بلاد إفريقية كما افتتح عامة بلاد البربر . وهو الذي بنى القروان وذلك في زمان معاوية وكانت هي أصل بلاد إفريقية ومسكن الأمراء ثم انتقلوا عنها وهي إلى الآن عامرة . يعتبر عقبة هو الفاتح لبلاد المغرب في ولايتيه الأولى التي وصل فيها إل إقريقية وبنى فيها مدينة القيروان، وفي الولاية الثانية واصل الفتح لبلاد المغرب إلى أن وصل إلى المحيذ الأطلسي، ولما قفل راجعا استشهد على أيدي كسيلة بن لمزم القائد العسكر للبربر، سنة 63هــ في منطقة تسمى الأن باسم سيدي عقبة ببسكرة. ينظر، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: علي محمد عوض وَ عادل أحمد عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج4، ص:57. وينظر، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق: كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1980، ج1، ص: 09.

[193]ــ **موسى بن نصير:** (19 - 97 هــ/640 - 715 م) موسى بن نصير بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي بالولاء، أبو عبد الرحمن أصله من وادى القرى (بالحجاز) كان أبوه نصير على حرس معاوية. ونشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس وبنى بها حصونا. وكان على خراج البصرة في عهد الحجاج، وغزا إفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان. ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولاه إفريقية الشمالية وما وراءها من المغرب (سنة 88 ه) فأقام بالقيروان، ووجه ابنيه عبد الله ومروان فأخضعا له من أطراف البلاد من البربر.واستعمل مولاه طارق بن زياد الليثى على طنجة، وكان قد فتحها، وأسلم أهلها، ثم دخل موسى بن نصير الأندلس بعدما فتح طارق بن زياد، وواصل هذا الأخير عميلة الفتح واستطاع في أقل من سنة أن يدخل الكثير من المدن الإسبانية، وفي سنة 96هــ وصل إلى دمشق، فلما ولي سليمان بن الوليد استبقاه عنده، وحج معه فمات

ركّز على الجانب العلمي، حيث سخّر سبعة وعشرين عالما من العرب، ممن ساهموا في الفتح، لتعليم أمور الدين والدنيا..." [194] ومنذ هذا العهد أخذ سكان المغرب عامة، يقرأون القرآن، ويتعلمون العربية باستمرار احتكاكهم بالمسلمين، الذين كانوا يلقون عليهم دروسا دينية، فيعلمونهم أمور دينهم الجديد، وكان الأمازيغي إذا شكل عليه أمر، كان الفقهاء من المسلمين له مجيبين، وموضحين له أمره.

كما عرفت هذه المنطقة وفود الفقهاء إليها من المشرق ضمن بعثات رسمية، كالتي أرسلها الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز[195]، حينما بعث عشرة علماء [196]من التابعين إلى المغرب، لنشر العلم الشرعي بين الناس، وبيان لهم الحلال من الحرام، وتقوية إيمانهم بالإسلام بالوعظ والإرشاد[197].

وما لبث هؤلاء الفقهاء إلاَّ أن اختط كل واحد منهم دارا، لسكناه، وبنى بحذائها مسجدا لعبادته ومجالسه، واتخذ بقربه كُتابا لتحفيظ القرآن، وتلقين مبادئ العرَبية لصغار

بالمدينة، وقيل: بل عزله. ينظر، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص ص: 318ــ320. وينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص: 330.

[194]ــ إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص: 30. وينظر، ابن خلدون، العبر، ج1، 126.

[195]ــ **عمر بن عبد العزيز:** عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية. كان نجيب عشيرته في العدل، جمع زهدا وعفافا، وورعا وكفافا، شغله آجل العيش عن عاجله وألهاه إقامة العدل عن عاذله، كان للرعية أمنا وأمانا، وعلى من خالفه حجة وبرهانا، كان مفوها عليما، ومفهما حكيما. حدث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد وسعيد بن المسيب وعروة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم. مات سنة إحدى ومائة، وكانت خلافته سنتين وأشهرا. ينظر، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء ،ج5، ص: 253. وينظر، أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1970، ج1، ص: 64.

[196]ــ العلماء العشر الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز هم: اسماعيل بن عبد الله بن أبي مهاجر، أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي، أبو سعيد جعثل بن عاهان الرعيني القتباني، أبو مسعود سعد بن مسعود التيجيبي، وهب بن حي المعافري، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري، عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني، طلق بن جعبان الفارسي، حبان بن جبلة القرشي، أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي . ينظر، إبراهيم التهامي، المررجع السابق، ص: 32.

[197]ــ محمد الطمار، المرجع السابق، ص ص:77ــ78.

أطفال البلد، وأشاعوا الُرّشد، وبثوا العلم وعلمَوا الحلال والحرام، وحرصوا على الأمن، والتآخي، والمؤاساة فكان إسلام البربر نهائيا من آثار هذه البعثة الكريمة.

ونظرا لسياسة الإضطهاد التي مارسها العمال الأمويون ضدّ السكان في المغرب، وظهور الفرق الشيعية والخوارج في المشرق، وفشلها في إقامة دولة لها، ألتجأت هذه الأخيرة إلى بلاد المغرب[198]، فظهرت الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط، التي أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ/777م، متخذا مدينة تيهرت[199] قاعدة لها، وفيها نُظمت الإدارة، والقضاء، والشرطة والإحتساب، وإدارة بيت المال، وفق المذهب الإباضي[200].

وعرفت هذه الدولة نشاطا فكريا ثقافيا كبيرا[201]، نتيجة اهتمام الحكام بالعلم وأهله، حيث استطاعوا إنشاء مكتبة واسعة، سُميت بالمعصومية، إذ كانت تحتوى على أكثر من 300 ألف كتاب[202]، التي أحرقها العبيديون حينما سقطت تيهرت في أيديهم[203]، كما

---

[198]ــ صالح بن عُمى أسماوي، العزّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص: 162.

[199]ــ **تيهرت:** أسسها عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، وكان مولى لعثمان بن عفان وكان خليفة لأبي الخطاب أيام تغلبه على إفريقية ولما دخل ابن الأشعث القيروان، فر عبد الرحمن إلى الغرب بما خلف من أهله وماله فاجتمعت إليه الأباضية، وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا بموضع تيهرت وهي غيضة بين ثلاثة أنهار فبنوا مسجدا من أربع بلاطات، واختطة الناس مساكنهم، وذلك في سنة 161. وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة فأحدثها الآن عبد الرحمن بن رستم وبقى بها إلى أن مات في سنة 168. ينظر، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص: 85. وينظر، ياقوت الحموي، ج1، ص: 440.

[200]ــ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1406هـ/1985م، ص: 153.

[201]ــ محمد بن معمر، الحياة العلمية في تيهرت إلى منتصف القرن السادس الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 08، 1423هـ/2002م، ص ص: 127ــ 139.

[202]ــ محمد بوركبة، الحياة الإجتماعية على عهد الدولة الرستمية (160ــ 296هـ/ 777ــ 909م)، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. عبد المجيد بن نعمية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1420 ــ1421هـ/ 1999 ــ 2000م)، ص: 106.

[203]ــ بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية (160ــ 296هـ/ 777ــ 909م) دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، المطبعة العربية، غرداية، ط2، 1414هـ/ 1993م، ص: 290.

كان حضور الفرق الإسلامية: أهل السّنة، الخوارج ، المعتزلة[204]، وظهور المذاهب: الإباضي، المالكي، وغيرهما، زاد من هذا النشاط الفكري، حيث التنافس بينها، ومحاولة إقناع كل مذهب، وكل فرقة بأفكارها ومعتقداتها، مثل تلك المسجلات التي كانت بين المالكية والإباضية،[205] أو تلك التي كانت بين المعتزلة والإباضية[206].

ولهذا المذهب علماء خدموه، وأفتوا به، وأجابوا عن أسئلة المستفتين من عامة المجتمع الإباضي، من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: أبو عبيدة الأعرج[207]، مهدي النفوسي[208]، أبو الفضل أحمد بن قاسم التاهرتي[209]، عيسى بن فرناس[210]، بكر بن حماد[211] ، وغيرهم

[204]ـــ **المعتزلة:** هي إحدى الفرق الكلامية الإسلامية، يقولون بنفي صفات الله تعالى، ليس خالقا لأفعال العبد، وأن القرآن محدث ومخلوق، وكان التوحيد في رأيهم أن الله تعالى عالم بذاته، وسمو بالمعتزلة لأن واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد كانا من تلاميذ الحسن البصري، ادعيا: " أن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر"، وجلسا في ناحية من المسجد، فقيل إنهما اعتزلا حلقة الحسن البصري، فسمو معتزلة. ينظر، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق : هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، د.ت، ص: 155.

[205]ـــ الشيخ بوقربة، الحياة الثقافية والفكرية على عهد الرستميين، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 12، 1426هـــ/2005م، صص:40 ـــ 54.

[206]ـــ ينظر، محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ص: 294،ـــ 295.

[207]ـــ **أبو عبيدة الأعرج:** كان يدرس الفقه في المجتمع التيهرتي، ويعلمهم قواعد اللغة، والنحو، وعلم الكلام، من تلامذته ابن الصغير صاحب كتاب" أخبار الرستميين". ينظر، ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وَ إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـــ/1986م، ص:96.

[208]ـــ **مهدي النفوسي:** هو مهدي النفوسي الويغوي، من أبرز علماء جبل نفوسة، عاش في القرن الثاني الهجري، أخذ العلم عن حملة إلى المغرب، برع في المناظرة، فانتد لمناظرة المعتزلة في عهد الإمام عبد الوهاب، له كتاب باللسان البربري، يرد فيه على نفاث بن نصر، قتل في حصار هذا الإمام لمدينة ظرابلس. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وَ مصطفى بن صالح باجو وَ مصطفى بن محمد شريفي وَ إبراهيم بن بكير بحاز، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، عالم المعرفة، 2009م، ج2، ص: 427.

[209]ـــ **أبو الفضل أحمد بن قاسم التاهرتي:** هو أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز، محدث وحافظ، عالم من الزهاد من تهل تيهرت، توفي سنة 395هـــ. ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـــ/1980م، ص:58.

كثيرون، كما كانت للمرأة الإباضية أيضا إسهامات في مجال الفتوى[212]، حيث كانت زوجة أبي القاسم الوسياني[213] تستشير شيوخها، ويستشيرونها في المسائل الفقهية، والأمر نفسه مع زيديت الملوشائية[214]، وغيرهما.

ورغم سقوط هذه الدولة سنة 296هـ/909م[215]، إلا أن هذا المذهب صارع أهلُه من أجل البقاء، وأصبح محصورا في أماكن معينة من المغرب الأوسط، حافظ عليه أصاحبه، ولا زال إلى يومنا هذا، رغم المشاكل والصعوبات التي واجهته في هذه البلاد.

أمّا المذهب الشعي فظهر مع ظهور صاحب الدعوة الشيعية في المغرب الأوسط، مع منيب بن سليمان المكناسي، الذي نزل بضواحي الونشريس، ثم جاء بعده السفياني[216]، ثم

---

[210]ــ **عيسى بن فرناس:** من علماء تيهرت خلال القرن الثالث الهجري الموافق للتاسع الميلادي، كان فقيها وخطيبا في المسجد الجامع، كان من خاصية الإمام أبي اليقظان، اشتهر بورعه. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق ، ص: 332.

[211]ــ **بكر بن حماد:** هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك الزناتي، التاهرتي (200 - 296 ه = 815 - 908 م): شاعر، عالم بالحديث ورجاله، فقيه، من أفاضل المغرب، ولد بتاهرت بالجزائر، ورحل إلى البصرة سنة 217 هــ، ثم إلى القيروان. وعاد منها إلى تاهرت سنة 295 ه، فتوفي فيها.ينظر، خيرالدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص:63.

[212]ــ تالية سعدو، الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، مجلة عصور الجديدة، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، العدد:01، 2011، صص:69 ــ 72.

[213]ــ **زوجة أبي القاسم الوسياني:** هي زوجة أبي القاسم يزيد بن مخلد الفقيه،هذه الفقيهة من أهل الصلاح والاجتهاد، كانت تعين زوجه الفقيه على ما هو عليه، وكانت تحضر دروسه من خلف ستار. ينظر،أبو العباس أحمد بن سعد الشماخي، كتاب السير، تحقيق:أحمد بن سعود السيالي، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، ط1، 1412هــ/1992م، ج2، ص: 34.

[214]ــ **زيديت الملوشائية:** هي زيديت بنت عبد الله الملوشائية، اشتهرت بالصلاح والتقوى، كانت تعظ النساء، وتذكرهن بأمر الميعاد، والحساب، القبر، وغيرها من المواعظ. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وَ آخرون، المرجع السابق، ص: 165.

[215]ــ محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 93.

[216]ــ **السفياني** : أبو سفيان الحسن بن القاسم، نزل بإحدى المدن المغربية تدعى :" تالة"، أقام بها، وابتنى مسجدا، اشترى عبدا وآمة، أظهر من العبادة والنسك والفضل بين الناس، وكان يروي لهم الأحاديث في فضل آل البيت وعلمهم....ينظر ،إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص: 293.

الحلواني[217] واستقرا بنواحي قسنطينة، ولكن المذهب الشيعي لم يعظم خطره في المنطقة، حتى جاء أبو عبد الله الصنعائي، الذي استقر بقبيلة كتامة بالأوراس، واستطاع هذا الرجل أن يكسب أنصارا من هذه القبيلة[218]، ويؤلف منها جيشا، قضى به على الدولة الأغلبية سنة 296هـ/909م، والرستمية سنة 297هـ/910م[219].

لقد أصبح المذهب الرسمي للدولة العبيدية هو المذهب الشيعي، الذي عمل أصحاب هذه الدولة على نشره بين الناس، " وحرّموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل..."[220] ولكنه ـــ المذهب ـــ لقي معارضة شديدة خاصة من طرف هؤلاء العلماء، الذين عملوا على مناوأته، وتأليب الرعيّة ضدّه[221]، "...وأقنعوا الناس بأن دولة العبيدين كفرية بعيدة عن الشريعة الإسلامية..."[222]، وحاربوه، ممّا سبّب في اضطهادهم[223]، وكان النّاس خلال هذه الدولة على عدة مذاهب: المذهب الشيعي، وهو مذهب الأسرة الحاكمة، وبعض أتباعهم، والمذهب المالكي الذي حافظ أصحابه عليه، واستمر في الوجود، رغم المضايقات التي تعرض لها أصحابه[224]، وكذلك المذهب الإباضي بقي حيّا، و لم يندثر مع سقوط الدولة الرستمية،

---

[217]ـــ **الحلواني:** هو عبد الله بن علي بن أحمد يُكنى بالحلواني نسبة للمدينة العراقية حلوان، نزل بإحدى المدن التونسية، تزوج فيها، وابتنى مسجدا، ووُجد عدد ممن الناس ممن اعتنقوا الفكر الشعي في هذه البلاد، منهم: يحي بن يوسف المعروف بالأصم، أبو حيون المعروف بابن المفتش. إبراهيم التهامي، المرجع نفسه، ص: 293.

[218]ـــ محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص: 105.

[219]ـــ محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م، ص ص:44ـــ45.

[220]ـــ محمد علي الصلابي، المرجع نفسه، ص: 74.

[221]ـــ لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1429هـ/2009م، ص: 75.

[222]ـــ محمد علي الصلابي، المرجع نفسه، ص:49.

[223]ـــ محمد الطمار، المرجع نفسه، ص ص: 106ـــ109 .

[224]ـــ للمزيد من التعرف على الجرائم التي اتركبها الشيعة العبيديون في حق أهل السنة، في المغرب الإسلامي، ينظر،محمد علي الصلابي، المرجع نفسه، ص ص: 72ـــ77.

وبعد انهيار أركان هذه الدولة، وسقوطها نهائيا، سقط معها المذهب الشيعي، و لم يستمر في هذه المنطقة[225].

وعن المذهب المالكي الذي يبقى تاريخ دخوله بالضبط إلى المغرب الأوسط غير معروفا[226]، وإن كانت مراحل دخوله معروفة، كوفود طلبة العلم على إمام المدينة المنورة، والتعلم عليه، ثمّ رجوعهم إلى أوطانهم[227]، وتعليمهم أيّاه لأبناء المغرب الأوسط، وأيضا وجود مدرسة القيروان، فقد وُجد هذا المذهب في المغرب الأوسط خلال الدولة الرستمية ثم الدولة العبيدية، حتى أصبح مذهبا رسميا بالمنطقة، منذ قيام الدولة المرابطية، ثمّ الحمادية، إلى يومنا هذا، حين ألغى حماد بن بلكين[228] المذهب الشيعي، وفرض المذهب السني على الرعية[229]، ويُقال أن أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني[230] هو الذي لقن المعز[231] الذي خلف أباه في الحكم مذهب مالك، وكرهه في المذهب الشيعي[232].

---

[225]ــ محمد الطمار، المرجع نفسه، ص: 106.

[226]ــ لمعرفة أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، ينظر، أحسن زقور، أصالة المذهب المالكي في الجزائر ومراكز مخطوطاته، منشورات دار الأديب، وهران، ط1، 2007، ص ص: 22ــ 31.

[227]ــ سلطاني الجيلالي، المذهب المالكي على عهد الدولة الموحدية بالمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 06، رمضان 1420هــ/1999م، صص: 267 ــ 282.

[228]ــ **حماد بن بلكين** (هــ- 1028م): يرجع نسبه إلى زيري أشهر أمراء صنهاجة ابن مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر بن صنهاج الأكبر مؤسس الدولة الحمّادية بالجزائر. تميز بالشجاعة والدهاء، قرأ الفقه في القيروان ونظر في كتب الجدل. بدأ يظهر على مسرح الأحداث السياسية بعد موت والده بلكين وتسلُّم أخيه المنصور السلطة بعده عام 373هــ، 984م، فساند أخاه المنصور في المحافظة على وحدة الأسرة المالكة وإخماد الثورات.ظل حماد يتمتع بثقة أخيه المنصور، حتى أقطعه إقليم أشير.وعندما نشب خلاف داخل الأسرة المالكة كلف باديس حمادًا بمحاربة أعمامه من بني زيري، فهزمهم، وقتل ماكسن، وبقي الصراع بينه والخلاف حول الحكم إلى أن تولى المعز بن باديس الحكم، واقتتلوا فيما بينهم حتى اصطلحوا وقسّموا البلاد فيما بينهم، فاستقر للقائد ابن حماد المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكمة وغيرها ، وبقي حماد وابنه كذلك حتى مات حماد منتصف سنة تسع عشرة وأربعمائة . ينظر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص: 153ــ 158.

[229]ــ محمد الطمار، االمرجع السابق، ص،ص: 120، 132.

[230]ــ **أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني:** هو من أشراف مدينة تيهرت، كان عالما رياضيا فلكيا منجما وأديبا شاعرا، نشأ في قرطبة، وعاش مدة في بلاط المعز بن باديس بتونس، حيث كان كافلا لهذا الأخير قبل ولايته، ووزر بعد أن تولى ملك بني

ومن العلماء الذين ضاع صيتهم في الفقه المالكي في الدولة الحمادية: أبو الفضل النحوي[233]، وأبوعلي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي نصر الدين[234]، وغيرهما من العلماء الذين برزوا خلال هذه الدولة[235]. ومع اهتمام الحكام والناس بالمذهب المالكي، بقي المذهب الإباضي مستمرا في الوجود في هذه البلاد، ولا زال أصحابه متمسكين به.

حافظت الدولة الموحدية، على المذهب المالكي السني في القضاء والإفتاء، "...حيث حُظي المفتي بتقدير خاص، ارتفع في بعض الأحيان درجة القاضي، و لم يكن المتصدرون لهذه

زيري، وكانت له مكانة بين قومه، ومنزلة رفيعة، من آثاره: كتاب " البارع في أحكام النجوم " الذي ترجمه يهوذا بن موسى إلى الإسبانية سنة 1256م، ثم نقل من الإسبانية إلى اللاتينية بطرس الرجوي وإيجيديوس التبالدي، وطبعت هذه الترجمة عدة مرات أولاها سنة 1485م بالبندقية، وله كتاب آخر في الفلك بعنوان :" كفاية الطالب في الأحكام الفلكية " وهي أرجوزة شرحها أحمد بن الحسن بن قنفذ سنة 1373م، وله مجموعة من الأشعار رصدها ابن الرشيق في كتابه العمدة. ينظر، رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م، صص:298 ــ302.

[231]ــ **المعز** : ألمعز بن باديس الصنهاجي المتوفى في أواسط المائة الخامسة، وكانت صنهاجة بإفريقية على مذهب الرافضة من الشيعة أخذوه عن خلفائهم العبيديين أيام استيلائهم على المغرب، فلما أفضى الأمر إلى المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من إفريقية ودعا لبني العباس، وحمل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وإمام دار الهجرة. أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص: 238.

[232]ــ محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 121.

[233]ــ **أبو الفضل النحوي**: هو أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي، أصله من بسكرة، وقيل من توزر من بلاد إفريقية ولد بها حوالي سنة 433هــ/ 1041م، وبها نشأ ودرس، ثم ارتحل إلى تلمسان وسكنها، ثم فاس، وإلى المشرق نزل بمصر، ثم عاد إلى قلعة بني حماد وبها كانت وفاته سنة 513هــ/ 1119م، كان ابن النحوي من كبار الفقهاء في عصره...ينظر، محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، منشورات السهل، الجزائر، 2009م، ص:312. وينظر، محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص: 457.

[234]ــ**أبوعلي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي نصر الدين**: هو العلامة الفذ، كان فقيها محصلا متقنا، رحل إلى المشرق فلقي الأفاضل فيها، وشارك في المنطق والعربية، له دروس حسنة، وكان من أهل الفتيا، له شرح لرسالة ابن أبي زيد، و لم يكملها. ينظر، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة، تحقيق: محمد بن شنب، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007، ص: 283.

[235] ــ سلطاني الجيلالي، مشاهير فقهاء مشذالة تراجمهم ومكانتهم العلمية، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 13، 1428هــ/2007م، ص:171 ــ 181.

الخطة سوى من كبار أهل العلم والفقه..."[236]، مثل الفقيه أبي موسى بن عمران[237] الذي كانت له حظوة[238]، ومكانة أيّام أبي يعقوب يوسف[239]، وأبي الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري[240]، والفقيه أبي الفضل أبو محمد بن طاهر بن تميم القيسي[241]، الذي استدعاه الخليفة عبد المومن[242] لعاصمته مراكش، وغيرهم من الفقهاء، الذي برزوا خلال

---

[236]ـــ لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي،ص: 255.

[237]ـــ **أبو موسى بن عمران:** هو عيسى بن عمران بن جافال الزناتي، من أهل تلمسان، كان فقيها حافظا، قائما على الفقه وأصوله، توفي سنة 578هـــ/1182م. ينظر، أبو زكريا ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـــ/1980م، ص: 101.

[238]ـــ لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ص: 188.

[239]ـــ **أبو يعقوب يوسف:** هو خليفة أبيه عبد المومن بن تومرت الذي تولى خلافة الدولة الموحدية من سنة 588هـــ/1163م إلى سنة 580هـــ/ 1184م، كان يوسف رجلا مثقفا، حرص على الجمع بين الحكمة والشريعة، انبسطت الآمال في أيّامه، بسعادة أعلامه، وكثرت البركات منه للموحدين. ينظر، أبن عذارى المراكشي، البيان المعرب في أخبار المغرب والأندلس قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ دار الثقافة، الدارالبيشاء، ط1، 1406هـــ/1985م، ص: 81. وينظر،محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 166.

[240]ـــ **أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري**: هو فقيه وأديب جزائري، اشتغل بالتدريس، فكان له مجلس واسع يحضره كثير من الطلبة، كما اشتغل بالقضاء. ينظر، أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، الجزائر،1991، ج1، ص: 272. ينظر الغبريني، المصدر السابق، ص: 39.

[241]ـــ **أبو الفضل أبو محمد بن طاهر بن تميم القيسي:** هو أبو الفضل محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، يُعرف بابن محشرة، عالم متمكن، أديب بارع، كاتب مُجيد، من فقهاء المالكية، من أهل بجاية، تتلمذ على يد أبي القاسم القالمي، كانت من كتبة البلاط الموحدي. ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 288.

[242]ـــ **الخليفة عبد المؤمن:** أبو محمد هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان التاجري الكومي الندرومي، ولد بنواحي ندرومة سنة 487هـــ/1090م، نشأ فيها يلازم المساجد لتلاوة القرآن، وفي طريقه للحج التقي بمهدي بن تمرت، ودعاه إلى مساعدته في محاربة البدع، وإحياء العلم، كان فقيها بارعا، حافظا للسنّة، عالما متمكنا من علوم الدين، كاتبا، أديبا وشاعرا، بويع أميرا بيعة عامة في منتصف رمضان سنة 524هـــ/أوت 1130م، كان حريصا على تطبيق أحكام الدين، أسس مدنا كثيرة، وأصلح الثغور، وأنشأ الأساطيل، وضرب الخراج، توفي سنة 558هـــ/1163م. ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 258.

الدولة الموحدية[243]، التي اقترنت فيها الفتيا بالشورى، إذ يختار الحاكم من الفقهاء مستشارين له قصد الشورى، وسُمي الفقيه المستشار بالمفتي المشاور، أو الفقيه المشاور، كانت له مكانة في الدولة الموحدية، يحظى بتقدير خاص[244]، وكان له لباس خاص، وراتب من بيت المال[245].

كما حافظ الإباضيّون خلال هذه الدولة على مذهبهم، ثم جاءت بعد الموحدية الدولة الحفصية، التي شملت بعض أجزاء من أرض الجزائر الحالية مثل قسنطينة وبجاية، وكانت عاصمتها تونس، والدولة الزيانية التي اتخذت تلمسان عاصمة لها، واستقل عنها المغرب الأقصى .

وقد عرفت بجاية خلال الفترة الحفصية[246] وفود عدة علماء خاصة الأندلسيين الذين نزحوا نحوها[247]، ومن الفقهاء الذين استقروا بها، وأفادوا الناس فيها بعلمهم، الفقيه أبو الحسن عبيد الله بن أحمد الأزدي[248]، وأبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاري[249] وغيرهما من الفقهاء، وكانت الدولة قد حافظت على المذهب المالكي، كمذهب رسمي للسلطة.

---

[243]ــ شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524 ــ 667هــ/ 1126 ــ 1268م)، إشراف: أ.د.عبد العزيز محمود لعرج، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1428ــ 1429هــ/ 2007ــ 2008م، ص: 95.

[244]ــ لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي،ص: 255.

[245]ــ سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأموين ورسومهم في الأندلس، مؤسسة فؤاد يعنبو للتجليد، بيروت، ط1، 1424هــ/2003م، ج2، ص ص: 793ــ 808.

[246]ــ ذكرت بجاية رغم أنها كانت تابعة للدولة الحفصية التي كانت تمثل المغرب الأدنى وليس الأوسط، لأنها ستصبح مدينة جزائرية بعد دخول هذين المغربين تحت لواء الخلافة العثمانية.

[247]ــ محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 178.

[248]ــ **أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي:** اطلق عليه الغبريني "... الفقيه العالم العابد الزاهد.." من أهل رندة، رحل إلى العدقو، واستقر ببجاية، كان الناس يقصدونه ليدعو لهم، لأنه مستجاب الدعوة، كان متنزها عن الخرفات والشعوذة، وغير متسامح مع ممن يخالف الشريعة الإسلامية... ينظر،أبو العباس أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص ص: 51 ــ52.

أما تلمسان فشهدت هي الأخرى[250] وفود العلماء من الأندلس وغيرها، فازدهرت الحياة الثقافية بها، وظلّت مدينة علم وثقافة، كما حافظ الزّيانيون على مكانة المذهب المالكي، التي كان عليها من قبل، فبرزت عدة مدارس تعتني بدراسته، مثل: مدرسة مازونة، تلمسان، وغيرهما، وكانت المؤلفات الفقهية على المذهب المالكي، هي مقررات الدراسة في هذه المدارس، مثل مختصر خليل[251]، ومدونة سحنون وغيرهما، كما حافظ الزيّانيون كذلك على منصب الفقيه المشاور، ومن العلماء الذين ذاع صيتهم خلال الفترة الزيّانية: إبراهيم بن يخلف التنسي[252]، محمد بن عبد الله الندرومي[253] ، وأبو عبد الله التنسي[254] وغيرهم، أما المذهب الإباضي فحافظ عليه أصحابه أيضا خلال هذه الدولة.

---

[249]ـــ **أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاري:** هو أبو العباس أحمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري، ولد بتاريخ يو عاشوراء من سنة 609هـــ، وهو من أهل بلنسية رحل إلى بجاية واستوطنها، لقي بها علماءها، وتخطط بها بالعدالة، وجلس للوثيقة، وكان يشار إليه بالنباهة والرياسة والسياسة، كما ولي القضاء ببجاية وإقامة ضلاة الفريضة بجامعها الأعظم... توفي بتونس في يوم عاشوراء من سنة 693هـــ. ينظر، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني،المصدر نفسه، ص ص: 57ـــ 59.

[250]ـــ محمد نذير أوسالم، مساهمة علماء بجاية في خدمة المذهب المالكي، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 14، شعبان 1431هـــ/2010م، ص: 244.

[251]ـــ **مختصر خليل:** من أشهر كتب الفقه المالكي، لمؤلفه خليل بن إسحاق الجندي المتوفي سنة 776هـــ/1374م، اهتّم علماء الجزائر بهذا الكتاب فقاموا بتدريسه وشرحه والتعليق عليه...ينظر، عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط1، 1427هـــ، ص: 64.

[252]ـــ **إبراهيم بن يخلف التنسي:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي، ولد بتنس، وروى عن ابن جيلة والمشذالي، رحل إلى المشرق، مارا بتونس ومصر، والشام والحجاز آخذا عن فطاحل علماء هذه الأقطار، ثم رجع إلى تلمسان وأقرأ بها، فكانت له رئاسة التدريس والفتوى، إلى أن توفي سنة 670 هـــ/ 1272م. ينظر، الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ص: 422.

[253]ـــ **محمد بن عبد الله الندرومي:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي التلمساني، تفقه على الأخوين ابني الإمام، أصبح قاضيا على العسكر في ولاية أبو الحسن المريني، وكان فصيح اللسان بالعربية والزناتية..توفي بالطاعون بتونس سنة 749هـــ/ 1349م. ينظر، الحاج محمد بن رمضان شاوش،المرجع نفسه، ص: 425.

[254]ـــ **أبو عبد الله التنسي:** هو الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، تولى الإفتاء، وقد استفتاه الشيخ عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات، كما اشتغل بالتدريس بتلمسان، فتخرج عليه تلامذة نالوا الشهرة بالعلم فيما بعد، أمثال محمد بن صعد التلمساني، أحمد البرنسي الشهير بزروق، وغيرهما، توفي سنة 899هـــ / 1494م، تاركا وراءه بعض المؤلفات، منها: "

وهكذا ظلّ التدّين بالإسلام في الجزائر على مذهبين: المالكي والإباضي، الذان استمرا في البقاء إلى أن انضمت الجزائر تحت الخلافة العثمانية، بعدما ضعفت الدولة الزيّانية، وانحصر ملكها في نواحي عاصمتها فقط، وأخذت المدن الكبرى شبه استقلالها، أما المذهب الشيعي فاندثر بعد سقوط الدولة العبيدية مباشرة، أما خطة الإفتاء خلال هذه الحقبة الزمنية فكانت على ضربين: إفتاء الفقهاء المشاورين الذين اختارهم الحكام ضمن مجلس شوري، وإفتاء حر وهو غالب في الدولة.

4 ـــ منزلة الإفتاء وأهميته:

لقد أمر الله عزّ وجلّ عباده بإقامة حياقم وفق ماجاء به الإسلام، وهذا لا يتأتى إلا بالتعرف على منهج هذا الذين وأحكامه، والوقوف عليها لإتباعها، وذلك إما أن يكون بالرجوع إلى الدليل والنظر فيه والاستنباط، وهذا واجب العالم، وإما أن يكون بالإستفتاء، وسؤال أهل العلم.

فللإفتاء منزلة رفيعة في الإسلام، لأن الله عزّ وجلّ تولاها بنفسه[255]، **لقوله سبحانه وتعالى: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فيهنّ وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء"**[256]**، وقوله عزّ وجلّ: " يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن له ولد"**[257].

نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان"، " الطراز في شرح ضبط الخراز"، "الجواب المطول في قضية يهود توات"،" راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح". ينظر مقدمة، محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، المصدر السابق، ص، ص:09، 11، 17،23.

[255]ـــ سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص: 793.

[256]ـــ سورة: النساء، آية: 127.

[257]ـــ سورة: النساء، آية: 176.

و مُهمة الإفتاء قام بها الأنبياء عليهم السلام جميعا، إذ كانوا يُبيّنون أحكام دين الله المترل عليهم لأقوامهم، وكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، قد " تولى هذه المهمة الشريفة بنفسه، يفتي المسلمين، فيُجيب كل مستفت على حسب حاله"[258]. ويُبيّن لهم طريق الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

ثم جاء بعده الخلفاء الراشدون، والصحابة رضوان الله عليهم، فنابوا عنه صلى الله عليه وسلم في تبيّين شرع الله، وأحكامه للناس[259]، فأجابوهم عن أسئلتهم، وعلى نهجهم هذا تبعهم العلماء، الذين رشّحهم الله لمنصب الإفتاء[260]، لقوله تعالى: " فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[261]**، والمسلمون إذا جهلوا حكم الله في أمر من أمور حياتهم، يرجعون إلى علمائهم يستفتونهم، ويأخذون رأي الشرع الحنيف عنهم[262].**

ولهذا وُجدت وظيفة الإفتاء، متى كانت الحاجة لبيان شرع الله للناس، وبيان لهم أحكامه، وقد اعتنى بها علماء الإسلام قديما وحديثا، حيث ألّفوا فيها الكثير من الكتب، فبيّنوا آداب المفتي والمستفتي، وكيفية الفتوى، منهم على سبيل المثال: ابن الصلاح[263]،

---

[258]ــ محمد عدنان كابتي، المرجع السابق، ص:50.

[259]ــ ينظر، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي،المصدر السابق، ص:571.

[260]ــ ينظر، مسفر بن علي القحطاني، مناهج الفتيا في النوازل الفقهية المعاصرة، دار الأندلس الخضراء، جدة/ دار ابن حزم، بيروت، 1431هـ/2010، ص:06.

[261]ــ سورة: النحل، آية: 43.

[262]ــ محمد عدنان كابتي، المرجع السابق، ص: 38.

[263]ــ **ابن الصلاح** : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، الشرخاني الملقب تقي الدين، الفقيه الشافعي، (577 - 643 هـ/ 1181 - 1245 م)؛ كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسددة وهو أحد شيوخ صاحب كتاب وفيلت الأعيان. قرأ الفقه أولاً على والده الصلاح وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم، ثم نقله والده إلى الموصل واشتغل بها مدة، اشتهر بكتابه له كتاب " معرفة أنواع علم الحديث " الذي يُعرف بمقدمة ابن الصلاح. ينظر، بن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص: 09. وينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص:207.

والنووي[264]**، وابن حمدان، وابن القيم وابن تيمية**[265] **وغيرهم**[266]**، وذلك لمكانتها الرفيعة**، ولأهميتها الكبيرة التي تحتلها الفتوى في حياة المسلمين.

والمفتي قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم فهو خليفته ووارثه ــ" ...العلماء ورثة الأنبياء..."[267] ــ وهو نائب عنه في تبليغ الأحكام، وتعليم الأنّام، وتصحيح عباداتهم، ومعاملاتهم إذا فسدت، وإقامة الحجة على الناس، بعد السؤال والاستفتاء، ويرفع الحرج عنهم في المستجدات التي تصادف الناس في حياتهم. وفي هذه الحالة، يصبح المفتي قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم في إنشاء الأحكام باستعمال نظره واجتهاده، فهو من هذا الوجه

---

[264] ــ **النووي**: هو أبو زكريا محيي الدين يحيي ين شرف بن مري بن حسن النووي أو النواوي (631 - 676 هــ/ 1233 - 1277 م). من أهل نوي من قري حوران جنوبي دمشق . علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة ، تعلم في دمشق وأقام بها . من تصانيفه " المجموع شرح المهذب " لم يكمله ؛ و" روضة الطالبين " ؛و" المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ". ينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج8، 149.

[265] ــ **ابن تيمية**: هو أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي،: الامام، شيخ الاسلام، (661 - 728 هــ / 1263 - 1328 م)، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية. ثم سافر إلى دمشق سنة 712 ه، واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والاصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير ، بلغت عدد مؤلفاته اكثر من ثلاثمائة كتاب. ينظر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هــ/ 1998م، ج4، ص: 192. وينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج1، 144.

[266] ــ علي جمعة، المرجع السابق، ص:09.

[267] ــ الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وعليه العمل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دت، كتاب: العلم، باب: ما في فضل الفقه على العبادة،رقم: 2684، ص: 434.

شارع، والمستفتي يأخذ ما قاله[268] له المفتي، فهو يوضح ما غُمض على العامة من أمور دينهم، ويدلّهم على المسلك القويم[269].

واعتبر ابن القيم أنّ المفتي موقعا عن الله تعالى فيما يفتي به، وقد ألّف في ذلك كتابه المشهور" إعلام الموقعين عن رب العالمين" الذي قال في فاتحته: "إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات"[270].

ونظرا لهذه المكانة العظيمة التي تحتلها الفتوى في حياة المسلمين، فالتصدر لها أمر ذو خطورة على صاحبه وعلى الأمّة، فإذا أفتى الرجل بغير علم، فقد حذّرته الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة من ذلك، لقوله تعالي:" قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"[271]، وقوله ــ صلى الله عليه وسلم: " أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النّار "[272] وقوله ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: " مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِى جَهَنَّمَ وَمَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِى غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَه"[273].

وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال، وهو لا يدري ما حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه حرام، وهو لا يدري عن حكم الله فيه، " وَلا تَقُولُوا لِمَا

[268]ــ ينظر، الشاطبي، الموافقات، ص: 224-246

[269]ــ سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص:793.

[270]- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، ص: 10.

[271]ــ سورة: الأعراف، آية: 33.

[272]ــ سنن الدرامي، باب: الفتيا وما به من الشدة، رقم: 159، ج1، ص: 258.

[273]ــ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، 1414 هــ/ 1994م، رقم : 20140، باب: من أفتى أو قضى بالجهل، ج10، ص: 116.

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[274] أو يقول عن الشيء إنه واجب، وهو لا يدري أن الله أوجبه، ويقول عن الشيء إنه غير واجب، هو لا يدري أن الله لم يوجبه، إن هذه جناية وسوء أدب مع الله - عز وجل –[275]، وقال صلى الله عليه وسلم:" مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ "[276].

وهذا الجزاء يقع على من أفتى بغير علم، أما أثر فتوى الجاهل على الأمّة، فأمر عظيم الخطر[277]، خاصة الذي لا يعرف مآلات ما أفتى، فقد تُسبب فتواه الفتنة بين المسلمين، ـــ " **والفِتنةُ أشدُّ من القتلِ**"[278] ـــ، أو تُحل دماء أو تُحرم، أوتُستباح حرمات أو تصان. وقد جعل صلى الله عليه وسلم إفتاء الجُهال من علامات الساعة، لقوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ :" إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[279].

ومن جانب آخر فقد حذّر القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة العالم، الذي يبخل بعلمه عن السائلين من عباد الله، لقوله تعالى : "إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللّاعنون "[280]، وقال

---

[274] ـــ سورة: النحل، آية: 116،117.

[275] ـــ محمد بن صالح العثميين، كتاب العلم، د.ت، د.ط، ص: 44.

[276] ـــ أخرجه الترمذي،كتاب: العلم، باب: ما جاء في من يطلب بعلمه الدنيا، رقم: 2654، ص: 430.

[277] ـــ عبد القادر عثماني، مجموع محاضرات ومقالات وفتاوى، جمع وتنسيق : عبد الحليم صيد، مطابع عمار قرفي، باتنة، ط1، 1426هـــ/ 2005م، ص: 228.

[278] ـــ سورة: البقرة، آية: 191.

[279] ـــ البخاري، الصحيح، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم:100، ص: 45.

[280] ـــ سورة : البقرة، 159.

قتادة[281] في قوله تعالى : "وإذ أخذ اللّه ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه "[282]، هذا ميثاق أخذه اللّه على أهل العلم، فمن علم علما فليعلّمه، ومن يكتمه فإنّه هالك، ولا يتكلّف الرّجل ما لا يعلم، فيخرج من دين اللّه، ويكون من المتكلّفين[283]. وقوله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[284].

وبين ترغيب العالم في تعليم علمه للناس، وبين ترهيب الذي يفتي بغير علم، كان سلف الأمة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعين، والعلماء الراسخين، يتهيبون الإقدام على الفتوى، ويتدافعونها[285] فيما بينهم، فرغم كثرة صحابة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلا أن منصب الإفتاء فيهم كان منصبا محددا، لا يقوم به الجميع، بل الواحد بعد الواحد، ممن توفرت فيهم ملكات، وعلوم زائدة على مجرد الصحبة النبوية الكريمة، وذلك لعظم أمرها[286].

فهذا **مالك بن أنس**[287]، **عندما سُئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري، وسئل مرة عن مسألة فقال : لا أدري: فقيل له : أنها مسألة خفيفة**

---

[281]ـــ **قتادة:** هو الصحابي الجليل قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي ثم الظفري الأنصاري، شهد بدرا وما بعدها ومات في خلافة عمر، وفي غزوة أحد ضربت عينه بسهم، فسقطت، فأخذها بكفه وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولما رآها ردّها بيده الشريفة إلى مكانها، فأصحت أصح عينيه. ينظر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـــ، ص: 416.

[282]ـــ سورة: آل عمران، آية: 187.

[283]ـــ ينظر، أحمد محمد عزب، الفتيا: مسائل وأحكام ،ص: 486.

[284]ـــ أخرجه الترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، 2649،ص: 429.

[285]ـــ صالح بن عبد الله بن حميد، الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر، مؤتمر الفتوى وضوابطها، المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، ص:03.

[286]ـــ علي جمعة، الإفتاء بين الفقه والواقع، ص:09.

[287]ـــ **مالك بن أنس:** و شيخ الاسلام ، وحجة الامة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك ابن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمام المذهب المالكي، ولد سنة 93هـــ/712م بالمدينة المنورة، وتوفي فيها سنة 197هـــ/795م، وطلب

سهلة، فغضب، وقال ليس في العلم خفيف[288]، آما سمعت قول الله تعالى " إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا "[289] . وقال البراء بن عازب[290] رضي الله عنه " لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر، ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبة الفتيا "[291].

وقال ابن أبي ليلى[292] :" أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول، وفي رواية: ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه" ، وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: من أفتى في كل ما يُسأل فهو مجنون "[293]، ويذكر ابن خلدون" ...أنّ الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنّما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه،

العلم بها، فأخذ عن نافع، وسعيد المقبري، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وابن المنكدر، والزهري، وعبد الله بن دينار، زغيرهم. كان بالمدينة المنورة يدرس العلم، ويفتي للناس، ولعلمه الغزير، ولمكانته في هذه المدينة حتى قيل:" لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس فيها "، له مؤلفات عدة، منها: "الموطأ" وله رسالة في "الرد على القدرية"، و"تفسير غريب الحديث". ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3،ص: 3145 ـــ 3166. وَينظر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص: 154.

[288]ـــ أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، آداب الفتوى والفتي والمستفتي، ص:16.

[289]ـــ سورة: المزمل، آية: 15.

[290]ـــ **البراء بن عازب:** ن الحارث الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمرو وقيل أبا عمارة، رده رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بدر استصغره، وشهد الخندق وغزا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أربع عشرة غزوة، وهو الذي افتتح الري بفارس زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة أربع وعشرين وشهد غزوة تستر مع أبي موسى وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجميل وصفين والنهروان هو وأخوه عبيد بن عازب ونزل الكوفة وابتنى بها دارا ومات أيام مصعب بن الزبير، وهو من رواه الحديث إذ بلغ عدد الأحاديث النبوية الي رواها حوالي 305 حديثا. ينظر، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، المصدر السابق، ج1، ص: 362.

[291]ـــ أحمد بن حمدان النمري الحراني أبو عبد الله، المصدر السابق، ص:07.

[292]ـــ **ابن أبي ليلى** : هو عبد الرحمن ابن أبي ليلى: إمام وتابعي، وفقيه كوفي، ولد في في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهن توفي غرقا سنة 82هـــ/...،. ينظر، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء،ج4، ص: 350.

[293]ـــ أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، المصدر السابق، ص:14.

ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالته، بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم....."[294]، فالفتوى كانت من اختصاص فئة قليلة من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ، رغم شرف صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذا كله تظهر أهمية الإفتاء، ومكانته، ومترلته الرفيعة، والمرتبة الشريفة له، لكون المفتي مخبر عن حكم الله تعالى، ولذا قيل: أنه " مُوقع عن ربّ العالمين"، وقائم في الأمة مقام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونائب عنه في تبليغ الأحكام الشرعية، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ:" بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة ..."[295]**، وأن منصبه ذو مخاطر، ولذا جعل ابن تيمية محتسبا[296] على المفتي، فسئل عن هذا؟ فقال لهم:" يكون على الخبازين والطباخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب "[297]، وهذا لخطورة الفتوى، وما ينجر عنها من مزالق، لا تُعرف عواقبها.**

وتشكل الفتوى أهمية كبيرة للمؤرخ، فهي مصدر ثري للبحث في جوانب حياة الإنسان المختلفة، وذلك لاعتبار أنها صادرة عن رجال كانوا على قمة هرم العلوم الشرعية في زمنهم، وكانوا شهود عيان على الوقائع، التي أفتوا فيها، وعاصروا حوادثها، وسجّلوها

---

[294]ــ عبدالرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج1،ص:563.

[295]ــ صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3461، ص:666. وَ ينظر، الدرامي في سننه، رقم: 542، باب: البلاغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ج1، ص: 145.

[296]ــ **المحتسب** : هو من يقوم بأمر الحسبة، وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن شروط الواجب في المحتسب هي: أن يكون حرا عدلا، ذا رأي، وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1421هــ/2000م، ص ص: 260،261.

[297]– ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص: 217. وينظر، يوسف القرضاوي، الفتوى بين الانضباط والتسيب، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1408هــ/1988م، ص:27.

بأيّديهم، وأنها وصف كامل لمشكلات المجتمع، وهموم الإنسان المتنوعة[298]، كما تعتبر الفتوى في حدّ ذاتها تدوين للتاريخ من قبل المفتي، فيجد المؤرخ القضية المُفتى فيها جاهزة، وموثقة بشكل رسمي، لا يتطرق إليه الشّك من حيث الوقوع، أو من عدمه، فهي إذن سجّل للحدث الواقع فعلا عن طريق السائل والمجيب[299].

وللإفتاء أيضا أهمية سياسية بالغة، إذ استحدث العثمانيون منصبا[300] يدعى " شيخ الإسلام" يلي منصب السلطان في الأهمية، وكان التشريع، والمحاكم، والمدارس الملحقة بالمساجد، وممتلكات الأوقاف الواسعة[301]، وتعيين القضاة الشرعيين والقضاة العسكريين، جميعها خاضعة له [302]، وكان له بهذا المنصب نفوذ قوي في السلطة، إذ أصبحت أقواله أحيانا لا تُرد من طرف السلطان. وعلى سبيل المثال: " المفتي أحمد الكوراني[303] كان يُعيّن القضاة دون الرجوع إلى السلطان محمد الفاتح، كما فرض على هذا الأخير إعادة محي الدين

[298]ـــ ينظر، كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997، ص ص:08-09.

[299]ـــ الشيباني بلغيث، أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر لكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الحديثة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، عدد:12، شوال1416هـــ/مارس1996م ، ص: 09.

[300]ـــ أول مفتي شغل هذا المنصب هو شمس الدين فناري 1351هـــ/1451م. ينظر، حسن الضيقة، الدولة العثمانية: الثقافة، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1417هـــ/1997م، ص:117. وينظر، أكرم كيدو،المرجع السابق، ص:29.

[301]ـــ أكمل الدين إحسان أغلو وَ آخرون، المرجع السابق، ص:303.

[302]ـــ ينظر، إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1416هـــ/1996م، ص:79.

[303]ـــ **أحمد الكوراني:** هو أحمد بن إسماعيل الكوراني، عارف بأصول الفقه، فقيه حنفي، تعلّم ببلاده، ثمّ رحل إلى القاهرة، وتفقه بها، كما درس القراءات العشر بطريق الإتقان والإحكام، ثم قرأ الحديثوالتفسير، أجازه ابن حجر في الحديث، منحه السلطان مراد خان مدرسة جدّه،وجعله معلم ابنه محمد، وفي عهد حكم هذا الأخير أصبح قاضيا على العسكر، ثم ساءت العلاقة بين التلميذ السلطان وبين الشيخ القاضي فعزل عن منصبه، ورحل ذا الأخير إلى مصر، وبعد مدة رجعت العلاقة بينهما إلى ما كانت عليه، وأعاده تلميذه إلى قضاء بروسة ثم منحه منصب الفتوى، توفي سنة 893هـــ بقسطنطينية، ودفن بها. طاشكيري زاده، الشقائق النعمانية في علماء العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1395هـــ/1975م، ص: 51.

ابن الخطيب[304] إلى التعليم بعد أن كان قد عزله "[305]، في حين كان السلطان يجد في المفتي السند القوي في تدعيم سلطته[306]، وتمرير سياسته، وإضفاء الشرعية على ما يقوم به فيما يرغب تنفيذه[307]، وأحيانا يكون الواسطة بينه وبين الرعية، فيستغل ثقة الناس فيه، ومكانته بينهم لإسكات معارضه، وإخماد الثورات القائمة ضده.

كما كان يُستشار في القرارات السياسية الهامة، إذ كان يحضر المجالس التي تعقد لمناقشة مختلف النوازل، والمستجدات الداخلية أو الخارجية. وقبل اتخاذ أي إجراء سياسي أو عسكري هام من طرف السلطان، كإعلان الحرب، أو إبرام معاهدة الصلح، أو التعامل مع دولة من الدول، كان على هذا الأخير الحصول على فتوى من شيخ الإسلام يجيز له ذلك[308]، إن تماشى هذا الإجراء مع الشريعة الإسلامية.

وفي سنة 987هـ/1570م استعان الحكام العثمانيون بالفتوى عندما عزموا على فتح جزيرة قبرص[309] ، التي كانت بينهم وبين البندقية معاهدة صلح[310]، فطلبوا الفتوى من

[304]ـــ **محي الدين بن الخطيب:** هو محي الدين محمد الشهير بابن الخطيب ، تلقى تعلمه الأول على يد والده تاج الدين، والعلامة علي الطوسي وحضربك ، ثمّ أصبح مدرسا بالمدرسة الصغيرة ببلدة أزنيق، ثمّ صار مدرسا بإحدى المدارس الثمان، ويعتبر هو أوّل مدرس بها، عزله السلطان محمد خان ثم أعاده إلى منصبه بتدخل اللالامة أحمد الكوراني، كان طليق اللسان، جريء الجنان، قويا على المحاورة، فصيحا عند المباحثة. ينظر، طاشكيري زاده، المصدر السابق، ص: 90.

[305]ـــ حسن الضيقة، الدولة العثمانية: الثقافة، المجتمع والسلطة، ص ص:121- 122.

[306]ـــ الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص: 59.

[307]ـــ الشيباني بلغيث، المرجع السابق، ص: 08.

[308]ـــ أكرم كيدو، المرجع السابق، ص ص: 103ـــ 123.

[309]ـــ **جزيرة قبرص:** جزيرة تقع شرق البحر المتوسط ، وتعد الثالثة من حيث المساحة مساحتها 9100 كلم ، وكان يطلق عليها أماتوسيا، تنازل عنها العثمانيون لانجلترا عام 1295هـ/1878م .ينظر، محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة ، بيروت، ط1، 1971م، ج7، ص ص : 603ـ 609.

[310]ـــ وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص: 126.

علمائهم حول هذه المعاهدة، وهل تشكل عائقا أمام الفتح أم لا؟ فكان الرد من أبي السعود أفندي[311] أن قبرص كانت في أيدي المسلمين قبل ذلك، وأن فتحها لازم أبدا، وأن معاهدة الصلح القائمة لا تحول دون ذلك حسب رأيه[312].

وفي عام 1204هـ/ 1790م عقدت الدولة العثمانية تحالفا مع بروسيا، وهي دولة غير مسلمة، وكان العلماء قد اعترضوا على هذا التحالف بدعوى أنه يخالف الشريعة الإسلامية، فأصدر شيخ الإسلام حميدي زاده مصطفى أفندي فتواه بجوازه[313].كما وصل الأمر بشيخ الإسلام إلى خلع السلطان[314]، وتنصيب غيره في مكانه، كما كانت أحكامه نهائية لا معقب عليها[315]، ولا يجوز مخالفتها.

[311]ــ **أبو السعود أفندي:** هو محمد بن محي الدين محمد بن مصطفى العماد الشهير بأبي السعود أفندي ، عُيّن زمن السلطان سليمان القانوني، ويعتبر الصديق الكبير له، كانت مهمته من جمادى الأولى 952هـ / أوت 1545م، حتى جمادى الأولى 982هـ/ سبتمبر 1574م، وهو أول شيخ إسلام تُمنح له صلاحيات واسعة في التعيين في المناصب الدينية، ومن الفتاوى التي أصدرها: فتوى بإغراق سفن القهوة سنة 950هـ/1543م، وفتوى الحرب ضد البندقية واحتلال قبرص سنة 1571م، وفتوى بقتل الشيخ محي الدين من كرمان لزندقته سنة 1550م . ينظر، أكرم كيدو، المرجع السابق، ص، ص:76، 135.

[312]ــ أكمل الدين إحسان أُوغلي وآخرون، الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة، ص:229.

[313]ــ أكمل الدين إحسان أُوغلي وآخرون، المرجع نفسه، ص:230.

[314]ــ المفتي الذي أفتى بخلع السلطان عبد الحميد هو: الشيخ محمد ضياء الدين. ينظر، محمد عدنان كابتي، المرجع السابق، ص ص: 56ــ57.

[315]ــ ينظر، إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص:79.

الفصل الثاني

الإفتاء الرسمي

1ـ تعريفه

2ـ صيغة التعيين

3 ـ شروط التعيين وعوامله

4ـ أسباب العزل

5ـ مدة التوظيف

لقد اهتمّت الدولة العثمانية بموضوع الإفتاء، فجعلت له مؤسسة خاصة به، لها صلاحيات الإشراف على الجهاز الديني في الدولة، فرئيس الفتوى أو شيخ الإسلام هو الذي له حق التعيين والعزل، في قطاع الإفتاء، والقضاء، والتعليم وحتى الأوقاف[316]، ولكن في الجزائر التي كان سكانها يتدينون وفق مذهبين هما: المالكي والإباضي، قبل مجيئ العثمانيين إليها.

وبإلحاقه الجزائر بالخلافة العثمانية، أصبحت تُسيَّر وفق قوانين هذه الدولة، فأصبح للإفتاء منصب رسمي، يجري تسييره وفق نظام مشيخة الإسلام في اسطنبول.

1ـــ تعريف الإفتاء الرسمي:

هو الإفتاء الصادر عن مفتي عُيّن بقرار من الحاكم في هذا المنصب، مع إعطائه الامتيازات، وتكليفه بتسيير الأوقاف، وإسقاط عنه دفع الضرائب، وغيرها. مقابل الولاء للسلطة، وعدم الخروج عن الطاعة، وإلاّ كان مصير المفتي العزل، أو القتل أو النفي.

لقد كانت مهمة تعيين المفتين في مختلف أقاليم الخلافة العثمانية موكلة إلى مفتي اسطنبول، منذ عهد السلطان سليمان القانوني، وكانت مهمة هؤلاء تنحصر في مساعدة قضاة الولايات، من خلال الفتاوى التي كانوا يصدرونها، خاصة في القضايا التي يتعسر على القضاة الحكم فيها[317].

[316]ــ أكرم كيدو، المرجع السابق، ص: 77.

[317]ــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:31.

أمّا في الجزائر العثمانية فكان يُعيّن مفتي حنفي بالنسبة للأتراك، وآخرا مالكي لبقية السّكان، مع الإشارة إلى أن المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للإيّالة، وكان مفتوه يُعيّنون مباشرة من اسطنبول، في حين أن نظراءهم المالكيين كانوا يُعيّنون من قبل الباشا في الجزائر.

وكان المفتي المُعين من قبل شيخ الإسلام في اسطنبول[318] يقضي مدة سنتين في الجزائر، فيشرف خلالها على كل الجوانب الدينية في الجزائر، كإشرافه على أوقاف الحنفية مثلا، كما أصبح يتمتع بمكانة سياسية وإجتماعية، حيث كان يُرتب في المرتبة الثانية، بعد الباشا مباشرة في السلم الإداري للإيالة. ويُبيّن حمدان خوجة أهمية منصب المفتي الحنفي، ومكانته، فيقول: " يحظى بلقب أفندي، الذي لا يحظى به إلا ثلاثة أشخاص: الداي المقطعجي (رئيس الكتيبة) الذي يشرف على سجلات محاسبات الدولة، وسجل القوانين العسكرية، والمفتي الحنفي، كما أن القادة العسكريين الذين يشكلون الديوان مضطرون للوقوف لأربعة أشخاص هم: الداي، المقطعجي، الخزناجي، والمفتي الحنفي"[319].

ولكن تعيين المفتي الحنفي الذي كان يتم من اسطنبول في العهود الأولى للإيالة، أصبح يُعيّن في الجزائر، بعد تغير الوضع السياسي في البلاد مع نهاية عهد الباشاوات عام 1069هـ/1659م، وذلك باعتبار أن المفتي الحنفي كان يرافق الباشا عند قدومه إلى الجزائر، أو ربما منذ عام 1123هـ/1711م لما قدم الداي علي شاوش[320] بطرد الباشا الذي كان يبعثه السلطان لمراقبة الداي[321].

---

[318]ـــ أكمل الدين إحسان أُوغلي وآخرون، الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة، ص: 475.

[319]ـــ حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص:129.

[320]ـــ **الداي علي شاوش** : تولى الحكم سنة 1122هـ/ 1710م، مات بمرض الإسهال سنة 1130هـ/ 1718م. ينظر، ابن المفتي المصدر السابق، ص ص:60 ـــ 61.

[321]- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر،ص:394. و ينظر، عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م، ص: 242.

وهكذا أصبح من صلاحيات الداي تعيين المفتيين: الحنفي والمالكي، وعزلهم، كالذي حدث عام 1226هـ/1811م لما قام الداي علي باشا[322] بعزل المفتيين وعوضهما بأخريين، ويذكر ابن المفتي في هذا المجال أنّ محمد بن قرمان[323] هو أوّل مفتي حنفي، يعين من أبناء العثمانيين المقيمين في الجزائر، وذلك عام 1036هـ/1606م[324]، بعدما كانت هذه الوظيفة حكرا على العلماء القادمين من اسطنبول[325].

و من خلال الاطلاع على بعض الوثائق [326]الخاصة بصرف رواتب أصحاب الوظائف الدينية، تبيّن أنّه يُوجد شخص خُصص له راتب، باسم عون المفتي، وهذا يدّل على أن الدولة قد خصصت أيضا منصبا آخر في مجال الإفتاء يساعد المفتي، ويعينه على أداء مهامه، ويُلقب بـــ: أمين الفتوى أو كاتب الفتوى[327].

وإضافة إلى هذا التعيين، جُعل كل يوم الخميس يلتقي فيه المفتيين الحنفي والمالكي، والقاضيين بحضرة الحاكم، لدراسة النوازل، والمسائل المستجدة، التي وقع فيها الخلاف بين المفتيين، وأيضا مراجعة أحكام القضاة، فهو بمترلة محكمة استئناف عليا. وكان مقر انعقاده هذا المجلس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر[328].

---

[322]ـــ **الداي علي باشا:** حكم الجزائر من سنة 1809ـــ 1815م، اختفى ثورة الدرقاوي في عهده، كما رجعت القلاقل بين الجزائر وتونس من جديد، عرفت فهرة حكمه عدة ثوارات منها ثورة القبائل التي كانت نتيجة مقتل بعض من آل المقراني على يد باي قسنطينة محمد شاكر. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1791/1766، سيرته،حروبه،أعماله،نظام الدولة والحياة العامة في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص:57.

[323]ـــ **محمد بن قرمان:** هو أول مفتي حنفي من أبناء الكراغلة في الجزائر. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 86.

[324]ـــ ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 86.

[325]ـــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص:399.

[326]ـــ الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 332، وسلسلة نفسها، رقم: 333، وسلسلة نفسها، رقم: 334.

[327]ـــ محمد عدنان كابتي، المرجع السابق، ص: 34.

[328]ـــ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 29.

وسُمي هذا الإجتماع بمجلس الشرع العزيز، الذي يُجهل بداياته، مع العلم أن جلساته الأولى كانت تعقد بضريح عبد الرحمن الثعالبي[329]، ثم انتقل مقرها إلى دار الإمارة العلية قبل سنة 1045هــ/1636م، وظلت الجلسات تعقد بهذه الدار، ما يقرب من خمسين سنة أي بعد 1058هــ/1672م[330].

وفي أواخر الثمانينات من القرن السابع عشر انتقل مقره إلى الجامع الأعظم 1099هــ/1688م، وظل كذلك حتى السنوات الأولى من الاحتلال، وكانت هذه الهيئة تعرف بمجلس الشرع العزيز بمحروسة الجزائر إلى غاية أواخر القرن السابع عشر، حيث أصبحت تعرف بالمجلس العلمي[331].

وكانت جلسات هذا المجلس دورية أسبوعية، تُعقد كل يوم الخميس، ويضم هذا المجلس على التوالي: ممثلي الهيئة الدينية بشقيها الحنفي والمالكي، فهناك المفتي، والقاضي لكل مذهب، كما يحضره الأعيان، ومسؤول الوقف، وشيخ البلد، وناظر بيت المال، ورئيس الكتاب، وكاتبا للتسجيل، وضابطا برتبة باش آياباشي[332]، ويسند إلى هذا المجلس الفصل في الخلافات والنزعات العالقة، التي عجز القاضي الفصل فيها، ومن خلال تشكيلته، ومن القضايا المعروضة عليه، يعتبر أنه هيئة دينية ومدنية وعسكرية في آن واحد[333].

---

[329]ــ **عبد الرحمن الثعالبي** :ولي الجزائر، وعالمها، ولد سنة 785هــ/1584م، بناحية يسر، انتقل إلى بجاية، وأخذ العلم عن علماء أجلاء بها، وبعد أن طاف بتونس ومصر وتركيا والحجاز، استقر بالجزائر حيث توفي بها 23 رمضان 875هــ/ 1470م، تاركا تآليف عديدة، أشهرها" الجواهر الحسان" في تفسير القرآن الكريم. ينظر، أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي، المصدر السابق، ص:34.

[330]ــ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700ــ 1830) مقاربة اجتماعية ــ اقتصادية، منشورات ANEP ، الجزائر، ط1، 2007، ص : 78.

[331]ــ عائشة غطاس، المرجع نفسه، ص : 78.

[332]ــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الاسلامي، بيوت، ط1، 2001، ص،ص: 209، 237.

[333]ــ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص : 78.

لم يكن الإفتاء مقصورا على مدينة الجزائر فقط، بل إن كل عاصمة إقليمية أو مدينة كبيرة كانت على نمط العاصمة، فيها أيضا المفتي الحنفي والمالكي، وكانا يقومان بالوظيفة نفسها، ويخضعان للظروف نفسها، ولكن يعينهما الباي أو الحاكم الإقليمي.

ففي مدينة قسنطينة على سبيل المثال يوجد مفتي وقاضي على المذهب المالكي لعموم الناس، ومفتي وقاضي حنفيين للأتراك والكراغلة، إضافة إلى ناظر الأوقاف، يؤلفون المجلس الشرعي الإسلامي، الذي كان يجتمع كل يوم جمعة، للنظر في القضايا والفتاوى المختلفة تحت رئاسة الباي[334].

2 ــ صيغة التعيين:

لكل وثيقة إدارية في تحريرها تتخذ صيغة معيّنة، أمّا وثيقة تعيين المفتي في منصبه خلال الجزائر العثمانية، فكانت هي الأخرى لها صيغها الخاص بها، وحسب بعض الوثائق التاريخية[335]، المتضمنة تعيينات لآل كتروسي في مناصب القضاء، والإفتاء، وإمامة الصلاة بمدينة مازونة[336]، فإن هذه التعيينات تبدأ بالبسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في سطر واحد، ثم في السطر الثاني يبدأ مضمون التعيين بعبارة " ليعلم الواقف على أمرنا هذا..." أو "ليعلم من كتابنا هذا..." وهناك عبارة أخرى يُبدأ بها، هي:" هذا طابعنا المطاع..." أو " هذا ظهير كريم وخطاب واضح جسيم..."

---

[334]ــ محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 24.

[335]ــ ينظر، ملحق رقم: 01، وملحق رقم: 02، رقم: 03، من هذا البحث.

[336]ــ **مازونة:** تقع على ستة أميال من البحر وهي مدينة بين أجبل وهي أسفل خندق ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مونقة ولسوقها يوم معلوم يجتمع إليه أصناف من البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل كثير بها وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً. ينظر، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هــ/ 1989م، ج2، ص: 83.

ثم يضاف إلى إحدى هذه العبارات اسم الشخص الذي يُراد تعيينه في المنصب، وبعد ذكر اسمه مباشرة يُتبع بعبارة " أنعمنا عليه على أن يكون مفتيا ببلاد مازونة وسائر عملته من المحال والأعراب..." ويضاف إلى هذه الجملة، التكليفات الأخرى التي كُلف بها هذا المفتي، مثل الخطابة في الجامع، وتولية إمامة الصلاة، وإدراج الوقف تحت مسؤليته[337].

وفي بعض التعيينات يُكلف شخصين في منصبين مختلفين في وثيقة تعيين واحدة[338]،كما ينص هذا التعيين على إعفائه من دفع الضرائب، مع وجوب احترامه من طرف جميع الناس[339]. وفي آخر كل تعيين يكتب تاريخ هذا الأخير مع اسم الخليفة الذي قام بإمضاءه.

هذه نماذج من صيغ تعيين العلماء في منصب المفتي، من طرف السّلطة الحاكمة، التي عملت على تنظيم هذه الخطة، لسببين إثنين: هو أن هذه الخطة تحت مسؤولية الحاكم، ولا بد له أن يرجع الفتيا إلى أصحابها من العلماء، كما قال ابن خلدون " ...وأمّا الفتيا فلخليفة تصفّح أهل العلم والتّدريس، وردّ الفتيا إلى من هو أهل لها، وإعانته على ذلك، ومنع ليس أهلا، وزجره لأنّها من مصالح المسلمين في أديانهم، فتجب عليه مراعاتها، لئلا يتعرّض لذلك من ليس له بأهل، فيضلُّ النّاس..."[340]، والسبب الثاني هو محاولة بسط النفوذ على هذه الخطة، ومراقبة تصرافات الفقهاء.

وعموما فإن هذه الوظيفة كانت تتطلب في كل من يتولاها شروطا، ومواصفات علمية وشخصية، يجب توفرها عند المفتي المراد تعيينه في هذا المنصب، فقد وضع علماء

---

[337]ـــ ينظر، ملحق رقم: 02.

[338]ـــ ينظر، ملحق رقم: 04.

[339]ـــ ينظر، ملحق رقم: 03.

[340]ـــ عبدالرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج1، ص:274.

الإسلام شروطا لمن يتول مهمة الإفتاء، قد ذُكرت في الفصل الأول من هذا الباب من البحث.

3 ــ **شروط التعين وعوامله:** لتعيين أحد العلماء في منصب المفتي يتطلب فيه مواصفات علمية وشخصية أخرى، إضافة إلى عدة عوامل أخرى تتدخل في تعيينه وعزله.

أ ــ **شروط التعيين:** يتطلب شروطا علمية وشخصية منها:

1 ــ المواصفات العلمية[341]:

وتتمثل هذه الشروط في أن يكون المفتي المُراد تعيينه ملما بمختلف العلوم الشرعية كعلوم القرآن والحديث والفقه والقياس، أو متخرجا من أحد المعاهد الإسلامية كالزيتونة أو الأزهر أو اسطنبول[342].

ومن المفتين الذين برزوا في الجزائر العثمانية، من خلال شهرتهم العلمية على سبيل المثال: علي بن عبد القادر بن الأمين[343]، الذي تولى الإفتاء عدة مرات، وكان واحدا من أعيان العلماء في عصره، كما كانت شهرته تقوم على العلم، وليس على الجاه والوظيفة[344]، والمفتي محمد بن الشاهد[345]، الذي تولى إفتاء المالكية مرتين، وخلّف كثيرا من التلاميذ، ومع

---

[341]ــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:32.

[342]- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:391.

[343]ــ **علي بن عبد القادر بن الأمين:** من أعيان العلماء في عصره، ورغم أنه تولى الإفتاء عدة مرات، فإنه شهرته كانت تقوم على العلم، وليس على الجاه والوظيفة، فقد كان علوي النسب، أندلسي الأصل، كما أنه كان شاذلي الطريقة... توفي بالجزائر سنة 1236هــ.ينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 38.

[344]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ المرجع نفسه، ج2، ص:38.

[345]ــ **محمد بن الشاهد:** من علماء الجزائر، ومن كبار شعرائها، تتلمذ على الفقيه أحمد بن عمار، تولى الإفتاء، والتدريس بجامع ميزمورط منذ سنة 1196هــ، كان يسمى بأديب العصر وريحانة المصر، له ديوان شعر بعنوان "ألا يا لطيف ..."، توفي سنة 1206هــ/ 1792م . ينظر ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص: 76. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 186.، وينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:311.

كونه أديبا كبيرا، وشاعرا مجيدا، فإنه كان فقيها ماهرا، وتقلّده للإفتاء دليل على معرفته لعلوم الدين والشريعة[346]، إذ كان عصره عصر أدب وعلم ولا ينال هذا المنصب إلا من فيه الكفاءة.

ومن المفتين الذين برزوا بعلمهم أبوراس الناصري[347] الذي لُقب بــ "شيخ الإسلام"[348]، وبــ " الحافظ"[349] لسعة حفظه، وملكته العلمية، كما أنه ناظر علماء الوهابية، وقال عنهم أنهم "...فوقع لي معهم مناظرة، ومباحة واعتراضات، وسؤالات، وأجوبة فائقات....فعلمت أنّهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع.."[350] ، وكان يجتمع في درسه أكثر من سبعمائة طالب، كما كانت سمعته حتى في خارج الجزائر[351].

ولكن أحيانا لم يُراع المستوى العلمي للشخص، الذي ينصب في وظيفة الإفتاء، خاصة أواخر العهد العثماني، حينما أصبح المنصب الديني سواء الإفتاء أو القضاء لا يحتاج للمستوى العلمي العالي، ولا حتى النزاهة والشرف، فقد أصبح الحكام يعينون لهذا المنصب سوى من يرونه مواليا لسياستهم من العلماء[352]، مثلما هو الحال مع أبي عبد الله بن نعمون[353]، الذي

---

[346]- نور الدين عبدالقادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ص: 208.

[347]ــ **أبوراس:** هو محمد بن أحمد الناصري المعسكري، ولد سنة 1150 هــ- 1737م بضواحي معسكر، وتوفي سنة 1236هــ- 1820م، له عدة تأليف في عدة مواضيع خاصة التاريخ منها: زهرة الشماريخ في علم التاريخ، الدرء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة، لقطة العجلان في نسب يسدي عبد القادر بن زيان....ينظر، حمدادو بن عمر، أبو راس الناصري المعسكري، رسالة ماجستير، إشراف : أ.د.بن نعمية عبد المجيد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003/2002. وينظر، محمد بوركبة، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري المعسكري (1165 ــ 1238هــ/ 1755 ــ1823م) دراسة وتحقيق، إشراف: أ.د. عبد المجيد بن نعمية، رسالة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1427 ــ 1428هــ/ 2007 ــ2008م)، ص ص: 03ــ 25.

[348]ــ الذي لقبه بشيخ الاسلام هو العالم الشرقاوي. ينظر، أبوراس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد بن عبد االكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 117.

[349]ــ الذي لقبه بالحافظ هو الشيخ المرتضى بمصر، ينظر، أبو راس، المصدر نفسه، ص: 115.

[350]ــ أبو راس، المصدر نفسه، ص: 119.

[351]ــ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 37.

[352]ــ ينظر، لطرش حنان، المرجع نفسه، ص: 172.

كان يعمل شاهدا في دار القضاء"... وكان بليدا لا يحسن ما قرأ ولا يتقنه، كما كان يجاري الناس حسب أهوائهم، فيرضي جميع جلسائه.."[354]، والحال نفسه مع أبي موسى الفكيرين[355] الذي كان يجد صعوبة في حل بعض المسائل الفقهية المطروحة عليه، وذلك لمحدودية مستواه العلمي[356].

وكذلك محمد النيّار[357] الذي حاز على منصب المفتي الحنفي، وهو ليس أهلا له، قال فيه ابن المفتي"... تلقاه يتكلم بيسر كما لو أنه درس البلاغة طويلا، مع أنه لم يدرس لا هذا العلم ولا أي علم آخر....وإذا استفتيته في مسألة علمية فإنه دائما على رأيك، ويوافقك بأن يقول لك: نعم أحسنت أو بارك الله فيك، وتلك هي كلماته، وغي مدة توليه الخطة هيّأ عددا من الأجوبة الشرعية معتمدا على من عاصره من المؤلفين لم يقرأ لهم أبدا، و لم لكن لعلماء عصره أي اعتبار عنده..."[358]، وأمثال هؤلاء صعدوا سلم العلماء وهم جهال، عن طريق إعطاء الرشوة .

353_ **أبو عبد الله بن نعمون:** هو المفتي محمد بن نعمون، تولى في بداية أمره خطة الفرائض، ثم ارتقى إلى منصب الإفتاء، تعرض للسجن بسبب تدخل المفتي أبي العباس، صنّفه الفكون في كتابه:" منشور الهداية..." ضمن " من تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم"، فقال عنه:" هو أجهل ممن رأيت، وأحمق ممن لاقيت...". ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص:80 _ 89.

354_ عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص:81.

355_ **أبو موسى الفكيرين:** هو من بلدة قسنطينة، تعاطى فيها الإفتاء، ثم القضاء، وهو زاحد من تلامذة الفقيه أبي عبد الله التواتي، وذكر عبد الكرم الفكون بأنّه: كان كثيرا ما يتشكل المسأله، أو يحكم فيها بغير ما هي عليه. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 93.

356_ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص ص: 159_ 160.

357_ **محمد النيار:** تولى الإفتاء مرتين، كان رجل جاهلا مرتشا، بقي في خطة الإفتاء خمس سنين وخمسة أشهر في المرة الأولى، وفي الثانية أربعة أشهر و عشرين يوما. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص، ص: 89، 91.

358_ ابن المفتي، المصدر السابق ، ص ص: 89،90.

2 ــ المواصفات الشخصية:

إلى جانب المواصفات العلمية التي تُراعى في المفتي، من بلوغه درجة عالية من العلم، وتعمقه في مسائل الفقه، ومعرفته الواسعة للقرآن، وعلومه، وعلوم الحديث، والقياس ونحو ذلك، وهناك مواصفات أخرى تتعلق بشخصيته، ومنها اتصافه بالتقوى والورع والصدق، وصلابة الموقف والرأي وقول الحق ولو أمام الحاكم، إلى جانب الشهرة بين الناس[359].

ب ــ عوامل التعيين:

إضافة إلى هذه الشروط التي كانت مطلوبة في المفتي، حتى يُعيّن في منصبه، هناك عوامل متعددة كانت تتدخل في تعيين المفتي في منصبه، أو عزله منه، من هذه العوامل والظروف:

1 ــ شهرة العائلة وولائها للدولة:

لقدكانت لشهرة العائلة في البلاد دور في الترشح للمناصب، والوظائف الدينية في الجزائر، ومثل ذلك عائلة الفكون في قسنطينة، وعائلة قدورة في مدينة الجزائر، وعائلة الكتروسي في مازونة، وغيرها في باقي المدن الجزائرية .

فقد كان لعبد الكريم الفكون الجد[360] الدورا الحاسم في دخول العثمانيين بلد قسنطينة، ولهذا اعترف هؤلاء بأسرة ابن الفكون، بالفضل في تمكينهم من حكم هذه المدينة،

---

[359]ــ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص:32. وينظر، أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:391

[360]ــ **عبد الكريم الفكون الجد:** كان مشتغلا بما يعينه دينا ودنيا معتكفا على الإقراء والتدريس، وكان إماما بالجامع الأعظم وخطيبه، وممن يرجع إليه في النوازل والأحكام، وكانت الولاية أغلب عليه، مواظبا على الأذكار وقيام الليل إلى أن مات.ومن تلامذة الشيخ الوزان إلاّ أنه أصغرهم، وتولى في زمنه وهو الملزم له أياها بتكليف منه بعد امتناعه منها، وتصدّر للتدريس في زمن الشيخ الوزان...ينظر، عبدالكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ، ص ص:48،47.

وخصصوا لهم مشيخة الإسلام، ومشيخة إمارة ركوب الحجاج للبلاد المقدسة طيلة العهد العثماني بالجزائر[361].

كما كانت عائلة سعيد قدورة[362] قد توارثت وظيفة الإفتاء، فرغم أن المؤامرات السياسية لم ترحم أحمد قدورة الذي تولى الفتوى من وفاة أخيه سنة 1107هـ/1697م، وقُتل سنة 1118هـ/1706م، ورغم هذا المصير لواحد من أهم أعضاء أسرة قدورة، فإن الباشاوات قد استمروا في تعيين المفتين منها، لأن هذه العائلة كانت تحتفظ بأشد الولاء للعثمانيين، بالإضافة إلى السمعة التي كانت تتمتع بها بين العلماء حتى خارج الجزائر. كما كانت لها علاقات تجارية مع أغنياء البلاد[363].

2 ـــ التوريث:

ومن خلال تتبع تراجم المفتين[364] في الجزائر خلال الفترة العثماني، يجد القارئ أنّ منصب الإفتاء في بعض المناطق، أصبح منحصرا في عائلات معينة، دون غيرها، فكان يتعاقب على هذا المنصب الأبناء، والأحفاد والإخوة، حيث برزت عائلة ابن المسبح مثلا في

[361]ـــ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص:153.

[362]ـــ **سعيد قدورة:** هو أبو عثمان سعيد قدورة، مفتي مدينة الجزائر، وفقيهها، وعالمها، تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة، أخذ عن سعيد المقري وغيره، وأخذ عنه محمد بن إسماعيل مفتي الجزائر، ويحي الشاوي، وغيرهما، تولى خطة الفتوى على المذهب المالكي، وكان الوقف تحت مسؤوليته، من آثاره: " شرح الصغرى " للسنوسي، و " شرح السلم المرونق" للأخضري، و " شرح على جوهرة التوحيد" للقاني في العقائد، توفي سنة 1066هـ/1655م. ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص، ص: 95،97. وينظر،عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 259.

[363]ـــ أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص:366.

[364]- للاطلاع على قائمة المفتين في مدينة الجزائر، ينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 183.

مدينة قسنطينة، التي ظلّ منصب الإفتاء فيها متوارثا أبا عن جد، فقد ورث هذا المنصب أبو العباس أحمد المسبح[365] بعد أبي محمد عبد اللطيف[366]، وخلفه أبو محمد بركات المسبح[367]، كما برزت كذلك في المدينة نفسها عائلة الغربي، التي كان لها حظ في تولي منصب الإفتاء، حيث كان من نصيب أبي العباس أحمد الغربي، ثم ورثه أبو راشد عمار[368].

وفي مدينة الجزائر توارثت عائلة قدورة منصب الإفتاء على المذهب المالكي، فبعد أبي عثمان سعيد بن ابراهيم، ثمّ ورثه ابنه محمد[369] في منصب الإفتاء، وبعده أخوه أحمد[370]،

---

[365]ــ **أبو العباس أحمد المسبح:** كان من عائلة ابن المسبح التي توارثت منصب الإفتاء، فقد ناله هذا الفقيه بدوره، توفي سنة 981هـــ. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص: 332. وينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 297.

[366]ــ **أبومحمد عبد اللطيف المسبح:** 980هـــ ــ 1572م: أبو محمد، فقيه، فرضي، تولى الإفتاء بقسنطينة، وكان مرجوعا إليه في وثائق أهلها، توفي بها، وهو من أكبر علماء الرياضيات والحساب والمنطق، وله عدة مؤلفات، منها: شرح مختصر عبدالرحمن الأخضري. ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر،ص:98. وينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766، ص:62. وينظر، عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص،ص:47،46.

[367]ــ **أبو محمد بركات المسبح:** فقيه جزائري، كان شغوفا بحب العلم، فظلّ مشتغلا بالقراءة والإقراء، درّس بقسنطينة، وأفتى بها، توفي سنة 982هـــ بقسنطينة. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص: 361. وينظر، عادل نويهض، المرجع نفسه، ص: 296.

[368]ــ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص ص:167ــ168.

[369]ــ **محمد بن سعيد قدورة:** هو أبو عبد الله محمد بن سعيد قدورة، من أكابر العلماء في مدينة الجزائر، انتهت إليه خطة الإفتاء، والخطابة بالجامع الأعظم، واشتهر بتدريسه للحديث الشريف في هذا الجامع. عزل عن منصبه سنة 1090هــ/1679م لايّام فقط ثم أُرجع إلى منصبه. وبقي في منصبه نحو أربعين سنة في هذا المنصب، من عام 1066هــ/1655م إلى 1107هــ/1695م. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 98.

[370]ــ **أحمد بن سعيد قدورة:** من كبار فقهاء المالكية، تولى الإتاء خلفا لأخيه محمد، عزله الداي أهشي مصطفى عن منصبه، ولمّا تولى الداي محمد بكداش الحكم سنة 1118هـــ/1706م، سجن هذا المفتي رفقة أخيه علال، ثمّ قتلهما. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 102.

كما كان شرف تولي منصب الإفتاء على المذهب الحنفي من نصيب عائلة ابن العنابي، فبعدما توفي المفتي حسين ابن العنابي[371]، عُيّن محمد بن محمود[372] خلفا له[373].

3 ــ تدخل أهل البلد:

وكذلك لسكان المدينة دور في تعيين المفتين، وعزلهم، فسعيد بن إبراهيم قدورة عُيّن مفتيا لمدينة الجزائر خلفا لأحمد زروق بن سيدي عمار[374]، بعد أن طالب أهل البلد بتوليته، كما كان لهم الدور أيضا في تنحية محمد بن قراوش[375]، الذي كلّفه سعيد بن إبراهيم

---

[371] ــ **حسين ابن العنابي**: حسين بن محمد المعروف بابن العنابي، نسبة لمدينة عنابة، التي سكنها، وهو من فقهاء الحنفية في الجزائر، تولى خطة الإفتاء أربع مرات، من آثاره " تفسير القرآن الكريم"، توفي سنة 1150هـ/1737م. ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص ص: 90ــ 92.

[372] ــ **محمد بن محمود**: هو العالم الفقيه السياسي محمد بن محمود بن حسن بن محمد أفندي، ولد بالجزائر سنة 1190هـ، تعلم على علماء عصره أمثال: والده، والمفتي علي ابن الأمين وغيرهم، تولى القضاء سنة 1205 وهو في سنه ثمانية عشر سنة، ثم تولى الإفتاء سنة 1213هـ، ثم توجه إلى مصر فأقام يُدرس بها في الأزهرحتى سنة 1245هـ، أرسل إليه الداي حسين يطلبه إليه، فلبى طلبه، ورجع إلى الجزائر، فولاه مفتيا على المذهب الحنفي، وفي سنة 1246هـ احتلت فرنسا الجزائر، وقبل سقوطها في أيديهم نهائيا في 05 جويلية 1830م كلّفه الداي حسين برئاسة عسكر الجزائر لمواجهة المحتل بعد انسحاب القائد العسكري ابراهيم أغا، وفي سنة 1267هـ توجه إلى الأسكندرية، وتولى بها الإفتاء ، توفي سنة 1267هـ، تاركا وراءه مجموعة من مؤلفاته التي أحصاها أبو القاسم سعد الله في سبعة عشر كتابا، منها:"السعي المحمود في نظام الجنود"، و" صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة"، " لمعان البيان في بيان أخذ الأجرة على القرآن"، وغيرها من مالءلفات التي خلّفها. ينظر، أبو القاسم سعد الله، محمد ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ص ص: 07 ــ 13.

[373] ــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:167ــ 168. وينظر، عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص: 77ــ78.

[374] ــ **أحمد زروق بن سيدي عمار**: من فقهاء الجزائر، كان ثريا، أتمّ ما انهدم من الجامع الأعظم من ماله الخاص، عزّل زعيّن سعيد قدورة خلفا له بتدخل من أهل البلد سنة 1028هـ/1618م. ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 96، 97.

[375] ــ **محمد بن قراوش**: هو واحد من خلفاء سعيد قدورة في خطة الخطابة وفي إمامة صلاة الظهر أو العصر حين تأخره عنها. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 97.

بالإفتاء خلفا له، وتعيّين ابنه محمد[376]، نُزلا عند رغبة سكان مدينة الجزائر، وكان في الأخير من أرادوه في هذا المنصب.

والأمر نفسه عند تولية سعيد ابن خالة عبدالرحمن المرتضى[377] للمرة الثانية، ووصف ابن المفتي هذا الرجل بأنّه " ...أبلد مخلوقات الله تعالى، ولم يكن يُفرّق بين صياح الديك وثغاء الخروف، وكان خبيثا، وصل إلى هذه الخطة بكره ونفور، وجاءت توليته بسبب أن أهل المدينة كانوا يُجلُّون آباءه وأسلافه، ويستبشرون بهذه العائلة، وكانوا يعتقدون بل حتى يتيقنون أن البركة تلتصق حتى بالأبناء في سن الحداثة، وهو أن المدينة مالم يتولّ فيها مفت ينتسب لذرية سعيد، فإنه سينهال عليها وابل من البؤس، كغلاء الأسعار، والزلزلة والصاعقة، وأشياء أخرى، وبقي الحاج سعيد في الفتوى أكثر من سبع سنوات"[378].

ورغم قتل واحد من أهم أعضاء أسرة قدورة، فإن الباشاوات قد استمروا في تعيين المفتين منها، تماشيا مع عقيدة بعض الناس عندئذ، وهي أن البلاد تصاب بالوباء، إذا لم يتولّ فتواها أحد أعضاء أسرة قدورة، ولذلك عين الباشا محمد بكداش[379] ـــ الذي حكم بقتل أحمد قدورة ـــ عبدالرحمن المرتضى ليخلف خاله في وظيفته، وقد ظل المرتضى يتناوب هذه الوظيفة مع سعيد بن أحمد قدورة مدة، ويُقال أن سعيد قدورة الحفيد كان من أجهل الناس

---

[376]ـــ ابن المفتي، المصدر نفسه، ص، ص:96، 98.

[377]ـــ **عبد الرحمن المرتضى**: تولى الإفتاء خلفا لأحمد بن سعيد قدورة، ثم عزل ثم عاد من جديد غلى خطة الإفتاء للمرة الثانية سنة 1128هـ/1715م، وكان المرتضى حاذقا في علم الكلام، وفي علم الحديث، وقبل توليته خطة الإفتاء تولى خطة نقيب الأشراف. ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص،ص: 103، 106.

[378]ـــ ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 107.

[379]ـــ **محمد بكداش**: هو أبو عبد الله محمد خوجة بن علي داي، الجزائري الدار، النكدلي المنشأ، القرشي النجار المعروف ببكداش، تولى أمور الحكم سنة 1118هـ/1707م، من أصل عربي، ومن كبار العلماء والأدباء، ركّز جهده على استرجاع وهران، وإعانة الباي بوشلاغم على ذلك، وفي عهده حُررت وهران لأول مرة، ولكنه قُتل على أيدي دالي إبراهيم في سنة 1710م. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 59. وينظر، الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص: 235. وينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 47.

بالعلم والفتيا، ومع ذلك عينوه لعقيدة الناس السابقة في عائلته...."[380]، والهدف من تعيين أمثال هؤلاء في هذا المنصب الخطير، هو كسب ودّ الناس، ولا يهم السلطة المستوى العلمي للمفتي بالنسبة له

4 ــ الرشوة:

شهد نظام الحكم العثماني في الجزائر بعض التغيير، حيث قررت الخلافة العثمانية تحديد مدة حكم الباشا في أيّالة الجزائر بثلاث سنوات فقط، لسبب أن الجزائر أصبحت قوية بجيشها، الذي لا يُقهر، وبُعدها عن مركز الخلافة، فخافت الدولة العثمانية من إنفصال الجزائر عنها، فهذا الإجراء كان له أثر سلبي في سلوك هؤلاء الباشوات، ومعاملاتهم مع الناس كافة، فأصبحوا يهتمون بجمع المال وفقط، فظهرت ظاهرة بيع المناصب، و لم يُستثن منها الإفتاء.

فقد رُصدت حالات تعاطي الرشوة، من أجل نيل منصب المفتي[381]، حيث تولى فيه أُناس عن طريق دفع العطايا، والرشاوى للحاكم، ومن الذين ذُكر اسمهم "حميدة بن حسن الغربي"[382] وهو حفيد أبي الفضل القاضي[383]، تولى النيابة عن قضاة الحنفية،"... واُمتحن من الولاة كثيرا وسُجن وأُغرم المال مرات،وكان يخدم الولاة ويعظمهم، ويمتهن نفسه في

---

[380]ــ أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:366.

[381]ــ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص:145.

[382]ــ **حميدة بن حسن الغربي**: وهو حفيد أبي الفضل القاضي، تولى النيابة عن قضاة العجم، وتولى خطة الفتوى، صنفه الفكون ضمن ممن تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص: 75ــ76.

[383]ــ **أبوالفضل القاضي**: من فقهاء قسنطينة، ومن أهل الشورى والتصدير، سجن في آخر عمره بسبب مرضه العقلي. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 56.

موالاتهم، ويعطيهم الرشا، وربما يقال فيما اشتهر أنه يتوسط لهم في ذلك من أهل البلد، وينال هو من ذلك حظا.."[384]، وتولى خطة الفتوى في زمن أبي زكرياء بن محجوبة[385].

ويذكر أيضا الورتيلاني[386] في رحلته حينما يتحدث عن بسكرة[387]، أنّه قد سمع أن القاضي والمفتي فيها لا يتولّ إلا بإعطاء للحكام، وارتشاء لديهم، وكذا في غيرها من الجزائر[388]، أمّا ابن المفتي[389]، فوصف المفتي الحنفي محمد النيار أنه:" ... رجل جاهل

---

[384]ــ عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص: 75.

[385]ــ **أبو زكريا بن محجوبة:** عائلة بن محجوبة عائلة قديمة أصلها من نواحي سطيف....وهو من حاز في زمنه رئاسة الفتوى، وكان له صيت في بلده وتعددت محنه من دار السلطنة، وكثرت سجونه، وكثيرا ما يفر من الأوامر الواردة في الانتقام منه، وأغرم مرارا. وتولى القضاء ونازح فيه القاضي الكماد. وكان ممن له نباهة وصدق بالأمور الشرعية في الفتوى وطريقها دون غيرها من الفقهيات، وتكررت عليه النوازل، وحضر كثيرا من مجالس الشورى,...ولا يخرج إلى الشاذ في فتواه إلاّ لغرض دنوي فيما رأيته وسمعته......كان يأخذ الأجر على فتواه تارة بالاشتراط وتارة مكارمة... صنفه الشيخ عبدالكريم الفكون في كتابه ضمن العلماء الذين تعاطوا المنصب الشرعي لإدعائه العلم. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص،ص:64،63.

[386]ــ **الحسين بن محمد الورثيلاني:** هو الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني نسبة إلى بني ورثيلان قبيلة قرب بجاية، ولد سنة 1125هــ ، وتوفي سنة 1193هــ، له عدة مصنفات، منها: شرحه على المنظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري، شرحه على وسطى السنوسي، له حاشية على المحقق السكتاني التي وضعها على شرح السنوسي، وكذلك شرح على محصل المقاصد لأبي العباس أحمد بن زكري، أخذ العلم عن والده وأشياخ وطنه ثم رحل إلى المشرق ، وأخذ عن الهماق، ثم دخل مصر وأخذ عن الصعيدي والحفناوي والعفيفي والصباغ وعمر الطحاوي وأبي القاسم الربيعي وإبن شعيب الكردي وغيرهم من علماء مصرن ثم رجع إلى بلاده. ينظر، الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1429هــ/2008م، ص ص:5ــ 8.

[387]ــ **بسكرة:** مدينة من بلاد الزاب بأرض الجزائر، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال، فيها أجناس من التمر. ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص: 113.

[388]ــ الحسين بن محمد الورتيلاني، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار ــ أو الرحلة الورتيلانية ــ تصحيح ابن أبي شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1908، ص: 110. وينظر، لطرش حنان، المرجع السابق، ص: 77.

[389]ــ **ابن المفتي** : ابن المفتي الحسين بن رجب شاوش، ولد في حوالي سنة 1075هــ/1688م، له كتاب سمّاه" تقييدات" . ينظر، مقدمة كتاب تقييدات لابن المفتي، ص: 12.

مرتش، قليل الدين،... كان يتّصف بالفجور وانعدام الشرف والسرقة ...."[390]، ولما عزله الباشا حسين خوجة الشريف [391]هاجمه الناس، مطالبين إياه برد ما أخذ من أموال وهدايا من المشتكين، الذين كانوا يحضرون إليه، لما كان يمارس وظيفة الإفتاء طيلة خمس سنوات وخمسة شهور[392].

وأمام تنافس العلماء على المناصب، ووصول البعض منهم إلى درجة الوشاية، ومحاولة بعض ضعاف النفوس منهم شرائه، أو الجري بحثا عنه أمثال محمد السوسي الفاسي[393]، الذي " نزل قسنطينة واستوطنها......وانتصب للتدريس، وأبدى للناس أنه صاحب علوم ولو انقرضت كل العلوم لأحياها وفرح بما لديها...ثمّ أنّه سافر للجزائر دار إمّارة قسنطينة، طالبا على منصب الفتوى والدخول في أمور، وامتدح أميرها[394] إذ ذاك، فاخترمته المنية قبل رجوعه ..."[395]، فهناك من العلماء من رفض المنصب، مثل محمد بن أحمد البوني[396]، الذي

---

[390]ـــ ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر نفسه، ص: 89.

[391]ـــ **الباشا حسين خوجة الشريف:** تولى الحكم يوم 26 رجب سنة 1117هـــ/ 1705م ثم اعتزل الحكم من عند نفسه سنة 1707م. ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 59. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 47.

[392]ـــ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص: 147.وينظر:

Devoulx(A) ; notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger .R.A ; n' 11 ;1867.p.389.

[393]ـــ **محمد السوسي الفاسي:** هو أبو عبد الله محمد السوسي الفاسي، نزل قسنطينة بحثا عن المنصب، فانتصب للتدريس، ثم رحل إلى مدينة الجزائر، طالبا منصب الفتوى، ولكن الموت فجأته قبل نيله المنصب. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص: 72 ـــ74.

[394]ـــ الأمير هو حسين الشيخ تولى الحكم سنة 1022هـــ. ينظر، عبد الكريم الفكون، المرجع نفسه، ص: 74.

[395]ـــ عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص،ص:72ـــ74.

[396]ـــ **محمد بن أحمد البوني:** هو محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني، التميمي المسيتي، من علماء بونة، وصلحائها، ولد بعنابة سنة 1063هـــ/ 1653م، أخذ عن علماء الجزائر، منهم: والده قاسم، يحي الشاوي، سيدي بركات، ابن باديس القسنطيني، انتقل طالبا للعلم إلى المغرب ثم المشرق، فلقي بالقاهرة أعلاما لازمهم وأخذ عنهم منهم: عبد الباقي الزرقاني، الأجهوري، الخرشي، الشبراخيتي وغيرهم، وتخرج عليه كثير من العلماء، منهم: عبدالقادر الراشدي القسنطيني، وكان إليه المرجع في الفتوى، وعليه كان المعول في حل المسائل العويصة، توفي بعد عام 1116هـــ... له عدة تآليف في ميادين مختلفة:

فرض عليه الباشا محمد بكداش منصب الإفتاء، رغم اعتذار هذا الأخير عن قبوله[397]، وكذلك الوزان[398] الذي كان " ...متمسكا بمهنة التدريس متباعدا عن الأمراء، والوظيفة السلطانية، حتى أنه اعتذر عن قبول وظيفة القضاء، حين عرضت عليه سنة 948هـــ..."[399]، كما رفض كذلك العالم حمودة المقايسي[400] بعد عودته إلى الجزائر تولي المناصب الحكومية، وفضل على ذلك حرفة صناعة الأساور (المقايس) ومنها استمد لقبه، فعاش حياة الفقر والبؤس حتى مات على تلك الحالة[401].

5 ــ شرط السّن في التعيين:

الفقه،التفسير، اللغة، الأدب، التاريخ، أصول الدين، الجدل، الطب ... ينظر، أبو القاسم محمد الحفناوي،المصدر السابق،ج2، ص:376. وعبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص: 178ـــ184.

397ـــ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص:174. وينظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص:391.

398ـــ **الوزان:** هو عمر أبو حفص الوزان، كان ممن تشدّ له الرحال في طلب العلم، ممن يفتي بأقواله وأفعاله، كان معنيا بطريق الصوفية، والعكوف على قراءة كتب الوعظ......واشتغل بالأحاديث، فكان يقال أنه يحفظ البخاري بأسانيده... توفي في سنة خمس وستين وتسعمائة (965هـــ/ 1557م) ودفن بمدرسة ابن آفانوس.. وكان الوزان متمسكا بمهنة التدريس متباعدا عن الأمراء والوظيفة السلطانية حتى أنه اعتذر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضت عليه سنة 948هـــ ..."[398]. ينظر، عبدالكريم الفكون، المصدر نفسه، ص ص: 36 ـــ 37. وينظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص: 382.

399ـــ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص: 382.

400ـــ **حمودة المقايسي** : هو الفقيه حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري وطنا، والمقايسي صناعة، **درس على علماء الجزائر، ثم اتجه إلى مصر حيث انتسب إلى الأزهر الشريف، وتتلمذ على علمائه وشيوخه، وأجازوه بمروياتهم وكتبهم، ومنهم مرتضي الزبيدي، ومحمد الأمير الصغير، وحسن العطار، وغيرهما، كما أذنوا له بالتدريس هناك، ثم انتقل إلى تونس إلا ان مقامه لم يطل بها، فعاد إلى بلاده الجزائر، واشتغل بالتدريس، وكان يعيش من صناعة المقايس (و هي الأساور المعروفة في الجزائر بـــ 'الْمقَايَسْ')، و منه نسبته المقايسي. و قد مات فقيرا في الجزائر سنة 1245هـــ. ينظر، الحفناوي، المصدر نفسه، ج1، ص ص: 408 ـــ 415.**

401ـــ أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص:322.

ومن خلال تتبع سيرة المفتين في الجزائر العثمانية، تم الوقوف على سنّ هؤلاء، حين تعيينهم في منصب المفتي، فأصغر هؤلاء سنا هو المفتي الحنفي محمد بن الماستيجي[402]، الذي تولى هذه الوظيفة وهو لم يدرك الثلاثين سنة من عمره، ورغم أنه كان عالما متمكنا ونابغا، إلاّ أنّه لم يمكث في منصبه أكثر من أربعة أشهر[403]. وفي سن الثلاثين، تولى أيضا حسين بن رجب شاوش[404] هذا المنصب، وعزله أهشي مصطفى باشا[405]، وولى مكانه الحاج محمد النيار[406]، ولم يكن لسنّ المترشح لوظيفة المفتي أيّ اعتبار، بقدر ما يكون ذا علم ينفع به الناس، فيجيبهم عن استفتائهم، حين يقصدونه.

4 ــ أسباب العزل:

تختلف أسباب عزل المفتين من مناصبهم من مفتي لآخر، فقد تكون الوشاية، وتآمر العلماء على بعضهم البعض، أو خوف السلطان من تزايد شعبية المفتي، أو أن يظهر المفتي

[402]ــ **محمد بن الماستيجي:** تولى منصب الإفتاء على المذهب الحنفي بعد شيخه محمد النيار، وكان يوم تعيينه في هذا المنصب لم يدرك سن الثلاثين بعد، وكان عالما نابغا، مكث في منصبه حوالي سنة وأربعة أشهر، وعزله حسن خوجة. ثم تناوب المنصب مع حسين ابن العنابي، حيث تولاه محمد بن الماستيجي ثلاث مرات. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص ص: 90ــ 91.

[403]ــ ابن المفتي ، المصدر نفسه، ص: 90.

[404]ــ **حسين بن رجب شاوش:**تولى منصب الإفتاء الحنفي وهو في سنه الثلاثين، ومكث في منصبه حوالي اثنتا عشر سنة.ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 88.

[405]ــ **أهشي مصطفى باشا:** تولى الحكم يوم 06 صفر 1111هــ/ 1700م.ابتدأ عمله بنجدة قسنطينة ضدّ الحاكم التونسي مراد باي، ونصّب أحمد بن فرحات بايا عليها، كما لاقي هذا الداي جيش مولاي إسماعيل حاكم المغرب الأقصى، في الجديوية، وانتصر عليه، وردّه على أعقابه، وفي عهده انتقل مركز بايلك الغرب من مازونة إلى معسكر استعدادا لمهاجمة وهران، عُزل هذا الداي عقب رجوعه من محاولة تأديب باي تونس، سنة 1705م . ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 58. وينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 46.

[406]– ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 88.وينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 276.

العداء لسياسة السلطان، أو تقلب الأحوال السياسية في البلاد، كما لأهل البلد دخل في عزل مفتي، أو إمام من منصبه، عن طريق وشاية إلى الحكام، أو رسالة تبعث إليه.

أ ـــ الوشاية وتآمر العلماء على بعضهم البعض:

لقد قرّب الحكام العثمانيون إليهم الفقهاء والعلماء، ومنحوا لهم المناصب، مثل الإفتاء والقضاء، مع إعطائهم بعض الامتيازات، كإعفائهم من دفع الضرائب المختلفة، الشيء الذي جعل التنافس بين هؤلاء الفقهاء، حول نيل هذه الامتيازات عن طريق الوظيفة، ولكن هذا التنافس لم يكن محمودا لقوله تعالى:" ...وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ.."[407]، بل وصل إلى درجة تدبير المكائد، وإتباع طرق ملتوية قصد الحصول على المنصب من جهة، وإنهاء مهام مفت آخر من مهامه من جهة أخرى.

ومن ذلك التنافس الذي كان محتدما بين المفتي سعيد قدورة ومحمد القوجيلي[408]، أو بين المفتي محمد بن نيقرو[409] ونائبه في الخطابة بالجامع الكبير، وكان هذا الأخير قد التجأ إلى الخزناجي وإثارة العامة ضد ابن نيكرو، كما تحالف مع خصومه، وهم المفتي الحنفي

---

[407]ـــ سورة:المطففين، آية:26.

[408]ـــ **محمد القوجيلي**: هو محدث جزائري، ومن أبرز الشعراء خلال القرن الحادي عشر الهجري، تولى عدة وظائف لدى يوسف باشا،كالقضاء مثلا، ترأس وفدا من العلماء، وقابلوا أبا سعيد أفندي شيخ الإسلام باسطنبول، قصد تدخله لدى الباب العالي لتعين يوسف باشا على إيّالة الجزائر، ترك بعض التآليف منها: عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع، وهي منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري، وله شعر في أغراض مختلفة كالمدح والغزل والرثاء والوصف. ينظر، أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، صص: 204، 205.

[409]ـــ **محمد بن نيقرو**: هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى المعروف بالنيقرو، الأندلسي الأصل، الجزائري المنشأ والولادة والقبر، درس على أبيه إبراهيم، وتولى الإفتاء المالكي في 27 ذي القعدة سنة 1150هـــ/ 1727م، وكان يجمع بين الفتوى والخطابة والتدريس في الجامع الأعظم، ورواية الحديث في زاوية الأندلس، توفي بذات الجنب في 16 ذي الحجة سنة 1152هـــ/ 1129م. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 14.

محمد بن علي[410]، وقاضي بيت المال محمد بن ميمون[411] ومصطفى العنابي[412]، ومن العلماء الذين مسّهم غيض الحاسدين، العالم عبد القادر الراشدي[413] الذي " كان عالما متبحرا، قيل أنه بلغ درجة الاجتهاد، ولى الإفتاء بقسنطينة مرارا، وكان له بعض الخصوم، ممن استوقد الحسد ضلوعهم ، فنازعوه، ونافسوه فيما اختصه الله به من العلم والحكمة..." [414]، هذه بعض صور تنافس العلماء فيما بينهم على الوظائف الدّينية في الجزائر العثمانية.

ومن الفقهاء المفتين الذين كانت نهايتهم بسبب الحسد، والتنافس المذموم، الذي كان سائدا بين العلماء، يحي بن سليمان الأوراسي، الذي قال فيه عبد الكريم الفكون الحفيد أنّه: "...كان مخالطا لدار الإمارة، يعتقدون فيه الصلاح، ولا يقطعون دونه أمرا في كل مهماتهم،

---

[410]ــ **محمد بن علي** : هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الكرغلي الشهير بابن علي، كان حيا سنة 1164هــ/1751م، شاعر وأديب من أهل مدينة الجزائر، وبها نشأ وتعلم، ثمّ تولى إفتاء الحنفية بها. ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 241.

[411]ــ **محمد بن ميمون:** هو أحد شيوخ الفقه ورجال التصوف المشهورين بمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي،تولى القضاء بمدينته الجزائر، كما عُرف أنه أديب وخطيب، ترك كتابا بعنوان:" التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية". ينظر، مسعود كواتي وَ محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2، 2010، ص: 67.

[412]ــ **مصطفى العنابي:** هو مصطفى بن رمضان العنابي نسبة لمدينة عنابة، أصله تركي، درس على مشايخ مدينته، ثم شدّ الرحال إلى مدينة الجزائر، فزاد في طلب العلم، ثم تولى القضاء بها، كما اشتغل بالتدريس، وتخرج على يده علماء من أمثال: مصكفى برناز التونسي، توفي بمدينة الجزائر سنة 1130هــ/1717م تاركا وراءه، أرجوزة في الفرائض على المذهب الحنفي، وكتاب " الروض البهيج في أحكام العزوبية والتزويج". ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 16.

[413]ــ **عبد القادر الراشدي:** فقيه مالكي، أصله من الرواشد، ومدشر من مداشر فرجيوة، تولى القضاء والفتيا بقسنطينة مرارا، والتدريس بجامع سيدي الكتاني، ومدرسته، ومال إلى الاجتهاد، فسبب له متاعب، حيث اُتهم بالتجسيم، وأن بعض علماء وقته قد حكموا عليه بالزندقة والكفر، وكادوا ينجحون في الفتك به لولا تعاطف صالح باي معه، ولكن أخرج من القضاء، له كتاب في "عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها" ورسالة في تحريم الدخان"، ورسالة في وزن الأعمال، وفتاوى، وحاشية على شرح السيد للمواقف العضدية....ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق،ص:94. وينظر، الحفناوي، المصدر السابق،ج2، ص:34. وينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 14.

[414]ــ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 184.

وكذا متلصصة الأعراب وغيرهم لا يؤمنون إلا به، فحسده أهل زمانه، وأكثروا الوشي به إلى الأمراء، وربما تقولوا عليه خلعة البيعة، والاستقلال بالرياسة، إلى أن فرّ من قسنطينة لجبل أوراس، رفقة أخيه أبو العباس أحمد، واجتمع الناس حولهما، وتحملت لهم عساكر الجزائر، وقعت بينهم حروب كثيرة، ورجعوا عن غير ظفر منهم، ولكنه قتل مغدورا من بعض الفرق..."[415]، وهذه صورة أخرى من صور تنافس العلماء على المناصب، إلى درجة تدبير المكائد ضد بعضهم البعض[416].

ومن أشهر الأمثلة كذلك على هذا السلوك، " تنافس أسرة الفكون وأسر ة ابن عبد المومن في قسنطينة، وانتهى الأمر بغلبة أسرة الفكون بمعاونة العثمانيين على الثانية، ومنحها مشيخة الإسلام"[417]، لقد أدّى هذا التنافس على الوظائف إلى هبوط أخلاق العلماء، وشاعت بينهم الرشوة، والطمع، والتساهل في أمور الدّين، والتعدي على الأوقاف.

والوشايّة ليست مقتصرة على العلماء قصد نيل المنصب فحسب، بل حتى لأهل البلد الدخل في عزل مفتي، أو إمّام من منصبه، عن طريق وشاية إلى الحاكم، أو رسالة تبعث إليه، مثلما يذكر ابن المفتي، أنّه "...وقع عزل الشيخ محمد بن سيدي سعيد حوالي 1090هـ/1607م بضعة أيام فقط، والسبب في العزل هو رسالة من حساده للأمير، اتهموه فيها بأعمال شائنة، وبقلة الوقار، وذلك بعيد عن الحق، فقد كان رجلا فاضلا وكريما، وهذه التهمة ليست إلاّ أكاذيب وافتراءات من ذوي النيّة السيئة، ولكن الأمير تنبّه للنميمة، فأعاده للفتوى..."[418].

ب ـــ تدخل أهل البلد:

---

[415]ـــ عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:54.

[416]ـــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص:409.

[417]ـــ لطرش حنان، المرجع السابق، ص: 164.

[418]-ابن المفتي ، المصدر السابق، ص: 99. وينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 281.

كان الباشا كثيرا ما يلجأ إلى عزل أحد القضاة أو المفتيين، إرضاء للعامة، ومحاولة منه كسب تأييدها، وتضامنها معه، ومن هؤلاء الداي حسين باشا[419]، الذي قام بتعيين المفتي محمد ابن العنابي على قيادة الجيش الجزائري بعد فرار قائده أغا إبراهيم[420]، إثرى انهزام جيشه أما القوات الفرنسية يوم 27 ذي الحجة 1245هـ/ 19 جوان 1830م، وغاية من هذا التعييّن هوكسب تأييد الحضر إلى جانبه في مقاومة الحملة الفرنسية[421]، ويظهر أن هذه الحادثة لم تقع في الجزائر طيلة العهد العثماني حيث كانت الأولوية دائما للمفتي الحنفي التركي، ولكن الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك هي التي اضطرته مرغما على القيام بذلك.

وقع خلاف بين أحمد المعين المفتي المالكي بتلمسان، الذي كان يشغل إضافة إلى الإفتاء وظيفة ناظر الأحباس، وبين أعيان هذه المدينة، الذين شكوه إلى الباشا، من سوء تصرف هذا المفتي، من مخالفته للشريعة في فتواه، وإفساد الأوقاف، ولم يستعمل الإنصاف فيها، وطالبوا بعزله، وبعد الاستقصاء والتروي من طرف الباشا، تبيّن له أن الشاكين تمالأوا على تزوير دعوتهم، فحينئذ نصحهم، وأمرهم بالصلح[422].

---

[419]ــ **الداي حسين** : هو آخر حكام الجزائر العثمانية، من مواليد مدينة الجزائر، اشتهر بحزمه ونشاطه وحسن تدبيره لشؤون الإدارة، بعدما سيطرت القوات الفرنسية على مدينة الجزائر اضطر لتوقيع معاهدة الاستسلام في يوم 05 جويلية سنة 1830م، ثم غادر مدينة الجزائر نحو نابولي الأيطالية ثم إلى الاسكندرية التي توفي بها سنة 1838م. ينظر، مسعود كواتي وَ محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص:124.

[420]ــ **أغا إبراهيم:** هو صهر الداي حسين، عينه قائدا للجيش خلفا لأغا يحي الذي قتله الداي لتآمر الخزناجي عليه، لم يكن أغا إبراهيم قائدا ممتازا، ولم يكن يعرف الشي الكثير من التكتيك العسكري، كاسبقه، واجه القوات الفرنسية لما نزلت بسيدي فرج، فانهزم فيها وفي معركة اسطوالي التي على إثرها فرّ من الجيش، وتم تعيين المفتي ابن العنابي، ورغم هذا الأخير أنه رجل فاضل إلاّ أنّه فاقد للخبرة العسكرية والحربية. ينظر، حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ص: 150 ــ 159.

[421]ــ حمدان خوجة، المصدر نفسه، صص:159 ــ160. وينظر، صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514ــ 1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص: 254.

[422]ــ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص: 139 ــ 141.

ج ـ الخوف من شعبية المفتي:

للعالم الفقيه مكانة إجتماعية عالية في مجتمعه، فيُكنّ الناس له الاحترام والتقدير، ويثقون فيه، وبحكم مخالطة العلماء للناس، والجلوس معهم في أي مكان: مقاهي والأسواق وغيرها، جعل لهؤلاء نفوذ في أوساطهم، وأحيانا يُشتهر الفقيه المفتي بعلمه، وأخلاقه، فيكثر الناس في درسه وخطبته، وهو ما يلفت نظر الحكام من جهة، والحساد من جهة أخرى إليه، فتخشاه السلطة[423]، وهناك العديد من المفتين الذين ذهبوا ضحية كثرة شعبيتهم بين الناس.

ومن هؤلاء الفقهاء الذين كانت لهم مكانة في مجتمعهم، وسببت شعبيتهم ضررا لهم، "الفقيه محمد بن القندوز[424]، الذي أعدمه الأتراك شنقا قرب غليزان، بأمر من حسين باي[425] وهران، نظرا لسمعته الطيبة، وتأثيره على العامة..."[426]، كما كان مصير المهدي بن صالح[427] النفي، اشتهر هذا العالم بعلم الحديث الذي برع في تدريسه، وكذا النحو والأصول والخطابة، حتى التف حوله خلق كثير، فخاف الباشا حسين خوجة الشريف من تجمع الناس حول هذا العالم، فحكم عليه بالنفي إلى بلاد غير عربية، بعد أن شُوهت سمعته، وذلك بتشنيع عليه، واتهامه بقبول الرشاوى، والتي تمثلت في الهدايا، التي أخذها من خلق كثير.

---

[423] ـ أحمد السليماني،تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، دت، ص:71.

[424] ـ **محمد بن القندوز:** توفي سنة 1222هـ/1807م، أخذ عن الشيخ مصطفى الرماصي، وتتلمذ على يديه الشيخ محمد بن علي السنوسي، أعدمه الأتراك شنقا بمدينة المطمر قرب غليزان، بأمر من حسين باي وهران، نظرا لسمعته الطيبة وتأثيره على العامة. ينظر، رشيد محمد الهادي بن تونس، نيل المغانم من تاريخ مستغانم، المطبعة العلوية، مستغانم، ط1، 1998،ص: 98.

[425] ـ **حسين باي وهران:** هو حسين بن موسى المعروف بـ أهج حسن، آخر بايات وهران، سلّم وهران للاحتلال الفرنسي دون مقاومة، نفي إلى الأسكندرية، وتوفي بها. ينظر، حمدان خوجة، المصدر السابق، ص:149.

[426] ـ رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق، ص: 98.

[427] ـ **المهدي بن صالح:** هو العالم الوجيه الأصولي للبياني، شغل منصب القضاء، كان له باع في علم الحديث، يدرسه بالجامع الكبير، تولى إفتاء المالكية من سنة 1127هـ إلى سنة 1128هـ.ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 105.

والأمر نفسه حدث للعالم الحنفي كراباش أفندي الذي جاء من تركيا، وهو أول من خطب في الجامع الجديد، ونظرا لمكانته المرموقة، فقد كان محل إثارة غيظ القادة والحكام، وقد انتهى به المطاف أن نفي من البلد[428]، كما حدث للقاضي المالكي محمد بن مالك[429]، وهو من علماء مدينة الجزائر، حين وقف عن الدرس، ونفي إلى القليعة، بسبب مصاهرته لعلي خوجة، الذي ثار على مصطفى باشا[430]، فقام بمعاقبته لذنب لم يرتكبه[431].

وهكذا ظلّ العلماء خلال الحكم العثماني في الجزائر، بين معارضين ومؤيّدين له، كما ظلّ الحكام العثمانيين يقربون الذين كان لهم الدور في ترسيخ حكمهم، فأغدقوا عليهم بالمناصب والهدايا وغيرها من الامتيازات الاخرى، ولكن هذا مقابل الاستمرار في الطاعة، والدعاء لهم على المنابر، ومن خالف هذا الأمر كان القتل أو النفي وسيلة للتخلص منه.

د ــ معارضة المفتي لسياسة السلطان أو ظهور التمردات وأثرها:

---

[428] ــ مصطفى حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص: 62. وينظر:

Albert Devoulx ; notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger ; R _ A ; N'11 ;1867 ; pp: 302 – 309 .

[429] ــ **محمد بن مالك:** هو من علماء الجزائر خلال الفترة العثمانية، تولى منصب القضاء، لقيه أبوراس حين زيارته لمدينة الجزائر، في الوقت كان كان فيها قاضيا، وزاره في بيته، كما قال وتضاوض معه في جملة من المسائل حتى قرب الفجر. أبوراس الناصري، فتح الإله ومنته ، ص: 94.

[430] ــ **مصطفى باشا:** حكم الجزائر من سنة 1798 حتى سنة 1805م، وهو من أشهر داياتها، ثار ضدّ الحكم العثمانيكل من التيجانيين ومحمد بن الأحرش، والدرقاويين أثناء عهده، كما هاجم بونابارت على مصر، وانتهى هذا الهجوم بتوقع اتفاقية صلح بين اسطنبول وباريس، وخلال عهده أيضا ارتفعت الأسعار بسبب تدخل اليهود في احتكار التجارة. كانت نهايته العزل ثم القتل من طرف الأتراك. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 55. وينظر، أبوالعيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، (1855،1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص:39.

[431] ــ لطرش حنان، المرجع السابق، ص: 193.

كان للعلماء في الجزائر الفضل في بسط العثمانيين أيّديهم على الجزائر خاصة، فهم الذين استدعوا خير الدين وأخاه عروج، لمساعدتهم على تحرير البلاد من المحتل الإسباني، وهم الذين توجهوا إلى اسطنبول لطلب الانضمام تحت لواء الخلافة، ولكن بعدما أرسى الحكم العثماني قواعده في الجزائر، بدأت بعض القلاقل تحدث من حين إلى آخر، بسبب سياسة بعض الحكام من جهة، ومعارضة بعض العلماء لهذه السياسة من جهة أخرى.

فمن مظاهر الثورة على الإدارة العثمانية في الجزائر، ثورة الفقيه يحي بن سليمان [432]المعروف بالأوراسي، الذي قتل غدرا، بتدبير من العثمانيين بعدما لجأ إلى جبال الأوراس، وقد تقلّد منصبا الإفتاء والقضاء، وأيضا ثورة الدرقاويين، وثورة التيجانيين، في الغرب الجزائري، وثورة ابن الصحري في الشرق الجزائري.

ولهذه الاضطرابات السياسية أثر على المفتين الرسمين، فقد أصيب هؤلاء بشظايا هذه الثورات، وكانت سببا في إنهاء مهام المفتي من منصبه، مثلما وقع لأبي راس سنة 1211هـ/1796م، حيث عزل من منصب الإفتاء، بسبب إلى الأوضاع السياسية والأمنية التي طبعت الجزائر، نتيجة ثورة الدرقاوي التي جعلت الأتراك يكيلون التهم لجميع رؤساء الدين، لا فرق بين المنتسبين لدرقاوة، أو لغيرها من الطرق الدينية الأخرى، ولم ينج من هذه التهم حتى الموالين للأتراك مثل: أبي راس الناصري، فأصابته بعض شظايا هذه التهم وعزل من مناصبه الرسمية[433]. وقد خص هذه الأحداث التاريخية، بكتاب سماه: " درء

---

[432]- **يحي بن سليمان الأوراسي**: تولى الإفتاء، والتدريس بقسنطينة، وانشغل بالتصوف ثمّ لجوءه إلى الثورة ضد العثمانيين، بعد ما كان مخالطا لدار الإمارة، يعتقدون فيه الصلاح، ولا يقطعون دونه أمرا في كل مهماتهم، وكذا متلصصة الأعراب وغيرهم لا يؤمنون إلا به، فحسده أهل زمانه، وأكثروا الوشي به إلى الأمراء، وربما تقولوا عليه خلعة البيعة والاستقلال بالرياسة، قد سبب اضطرابا في حياته العلمية، ولكنه قتل مغدورا من بعض الفرق..ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:54.وينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ص: 73.

[2]- أحمد بن سحنون، الراشدين المصدر السابق، ص: 46.

الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة "[434]. وأشار إلى ما أصابه في هذه الحادثة في كتابه فقال: "ثم عمتنا فتنة درقاوة، فاتصلت علينا أواصر النكبات والبليات من الخوف والجوع والروع الذي في الفؤاد مودوع "[435]، وفي منطقة بسكرة أيضا، وُجد مفتيها أبو القاسم الشبكي[436] هاربا في سيدي عقبة[437] بسبب الأوضاع التي لم مستقرة، فخاف من العامل العثماني في هذه المدينة[438].

ومن العلماء الذين ثاروا ضدّ الحكم العثماني في الجزائر، أحمد بن القاضي أمير منطقة كوكو بالقبائل، الذي استولى على مدينة الجزائر سنة 926هـ/ 1520م[439]، بعدما اضطر خير الدين[440] الخروج منها ، والتوجه نحو مدينة جيجل[441]، هذا قبل أن يرجع هذا الأخير، ويستطيع القضاء عليه نهائيا[442]، ليستقر أخيرا في مدينة الجزائر.

---

[434]ــ محمد بوركبة، دراسة وتحقيق :عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد أبي راس، ص:14.

[1]- محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، لأبي راس الناصري، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 2، 1986، ص: 136.

[436]ــ **أبو القاسم الشبكي**: مفتي مدينة بسكرة. ينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 180.

[437]ــ **سيدي عقبة**: مدينة قريبة من مدينة ببسكرة، نسبة للتابعي عقبة بن نافع الفهري الذي استهد في هذا المكان بعد مقتله من طرف أحد الزعماء الأمازيغ، الذي يدعى " كوسيلة" ، وبها قبره مشهور، ويزار من طرف الناس. ينظر، العياشي، رحلته، ج2، ص: 539.

[438]ــ أبو القاسم سعدالله، المرجع نفسه، ج1، ص: 180.

[439] - ينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص :51.

[440]ــ مؤلف مجهول، خبر قدوم عروج ، وو:21 ــ 25.

[441]ــ **جيجل** : مدينة صغيرة على ضفة البحر المتوسط، ذات أراضي فلاحية تنتج الكثير من الفواكه مثل التفاح والعنب، وبها الزروع المختلفة،كما تنتج الألبان والسمن والعسل، وكان سكانها يحملون سلعهم إلى بجاية القريبة منهم،على بعد حوالي خمسون ميلا، بها مرسان . ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص : 184.

[442]ــ اختلفت المصادر التاريخية في تحديد السنة التي رجع فيها خير الدين إلى مدينة الجزائر، فمنها من ذكرت سنة سنة930هـ- 1523م، و سنة 933هـ- 1526م وكذلك سنة 932هـ- 1525م. ينظر، جهول، خبر قدوم عروج

هــ ــ قرارات الحكام:

لقد كانت العلاقة بين السلطة وبين العلماء قائمة على أساس المصلحة والخدمة، فلا تكاد تمر قضية يتدخل فيها فقيه، أو مرابط لصالح السلطة، إلا كانت متبوعة بالإمتيازات، كالإعفاء من المطالب المخزنية، والضرائب على الممتلكات والعقارات، وإذا حدث العكس، وانتقد العلماء السلطة، فكان العزل والنفي والسجن والقتل آليات للتخلص منهم، مثل ما حدث لبعض المفتين من إعدام أو العزل.

فقد أُعدم المفتي أحمد وعلال قدورة[443]، كما نُكل بمحمد بن كشك علي كرغلي الخوجة من طرف خليل باي وهران[444]، والمصير نفسه لقيه أبو العباس أحمد العلمي[445]، حيث مات مقتولا سنة 1229هــ/1814م، وكان فقيها عارفا بالأحكام، تقلّد فتوى

، و: 25. وينظر، كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510، 1541، ترجمة: جمال حمادنة، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص : 46. وينظر،

Hammar .V.DE .Histoire de L'Empire Ottoman depuis son origine Jusqu'à nos gours. Trad de l'Allemand pae J.Halbert.T5.(1520 – 1547) Bossange. Bellirard et cie .Paris Londres . 1836. p :240.

و ينظر،

Mercier. E. Histoire de l'Afrique Septentrionale (Barbarie) depuis les temps les plus recules jusqu'à la conquête .Française .1830 .T3 .E.Leroux. Paris .1891. p :27

[443]ــ **علال قدورة**: من فقهاء المالكية بمدينة الجزائر تولى القضاء بها، اعدمه محمد بكداش لما تولى الحكم، مع أخيه أحمد سنة 1118هــ/1706م. ينظر، ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 106.

[444]ــ **خليل باي وهران**: تولى الحكم سنة 1185هــ/1771م، وكان مبغضا للعلماء والمرابطين، توفي سنة 1193هــ/1778م بتلمسان. ينظر، مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق: رابح بونار، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1394هــ/1974م، ص:22.

[445]ــ **أبو العباس أحمد العلمي**: كان فقيها عارفا بالأحكام، تقلّد فتوى المالكية، ثمّ القضاء، ومات مقتولا سنة 1229هــ. ينظر، أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص:313.

المالكية، ثمّ القضاء[446]، وكانت نهاية الفقيه فتح الله[447] القتل سنة 1185هـ/ 1771م، وقد تولى خطابة مسجد سيدي الكتاني، والتدريس بمدرسة جامع سوق الغزل بقسنطينة، ثمّ الإفتاء فالقضاء على المذهب الحنفي[448]، والأمر نفسه مع يحي بن سليمان، الذي " ...تولى الإفتاء، والتدريس بقسنطينة، غير أن انشغاله بالتصوف، ثمّ لجوءه إلى الثورة ضدّ العثمانيين، قد سبب اضطرابا في حياته العلمية "[449]، ورغم أنه "... كان مخالطا لدار الإمارة، يعتقدون فيه الصلاح، ولا يقطعون دونه أمرا في كل مهماتهم، وكذا متلصصة الأعراب وغيرهم لا يؤمنون إلا به، فحسده أهل زمانه، وأكثروا الوشي به إلى الأمراء، وربما تقولوا عليه خلعة البيعة، والاستقلال بالرياسة، إلى أن فرّ من قسنطينة لجبل الأوراس، رفقة أخيه أبي العباس أحمد، واجتمع الناس حولهما، وتحملت لهم عساكر الجزائر، وقعت بينهم حروب كثيرة..." [450]،وكانت نهاية هذا الفقيه الموت قتلا.

كما عرفت عائلة ابن باديس تذبذبا في علاقتها مع السلطة[451]، وفي بسكرة هرب المفتي أبو القاسم الشبكي إلى سيدي عقبة خوفا من العامل التركي ببسكرة[452]، كما حرص أحمد خوجة[453] على إبعاد كل شخص يسيء الظّن به، أو الأمر بإعدامه بكل سهولة، وبهذه

---

[446]ــ أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر نفسه، ص:313.

[447]ــ **فتح الله:** ولد بالشام، ثمّ انتقل إلى قسنطينة، وتولى خطابة مسجد سيدي الكتاني، والتدريس بمدرسة جامع سوق الغزل، ثمّ الإفتاء على المذهب العثماني،ثمّ القضاء على المذهب المذكور، قتل في حدود 1185م. ينظر، أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر نفسه، ج2، ص:153.

[448]ــ أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر نفسه،ج2، ،ص:153.

[449]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 73.

[450]ــ عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص:54.

[451]ــ لطرش حنان، المرجع السابق، ص: 184. وينظر،

Vayssette ;Histoire des Derniers Beys de Constantine ; R-A1859 ;p:344.

[452]ــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 180.

[453]ــ **أحمد خوجة:** حكم الجزائر من سنة 1805 حتى سنة 1808م، قام بمجموعة من الأعمال منها، قضائه على الثوارات التي قامت في عهده، مثل ثورة درقاوة في الغرب الجزائري، التي عيّن على هذه المنطقة باي جديد هو محمد المقلش بكر باي

الطريقة قضى على حياة خزناجي وقائدين من قواد الجيش، ومفتي[454]، وعدد كبير من الموظفين السامين[455]. إن تصرفات أحمد خوجة هذه قد جعلت الناس يكرهونه، وينفرون منه، بعد أن كانوا يظهرون له احتراما كبيرا.

هذه تصرفات بعض الحكام في الجزائر العثمانية الذين كان بعضهم لم يهمهم سوى ملء جيوبهم، بفرض الضرائب المختلفة على سكان المحلّيين، خاصة بعدما حددت الخلافة العثمانية باسطنبول مدة تولي باشوات الجزائر بثلاث سنوات، ثمّ شهرين في عصر الأغاوات.

و ــ وباء الطاعون:

والمتتبع لحياة من نالوا منصب الإفتاء في الجزائر العثمانية، يجد بعضهم قد كانت نهاية حياته بسبب الطاعون الذي انتشر في البلاد، كالذي عرفته قسنطينة سنة 1044هـ/1634م، إذ أدّى إلى كارثة كبيرة، وتوفي بسببه ثلاثة علماء كبار، هم: بركات بن نعمان، عبد اللطيف المسبح، وبركات ابن عبد المؤمن[456]، وفي سنة 1073هـ/ 1663م، رجع هذا الوباء إلى هذه المدينة، واستمر فيها أكثر من شهرين، قضى على خلق كثير، منهم الشيخ عبد الكريم الفكون[457] الذي مات يوم 27 ذي الحجة

محمد الكبير، وانتهت هذه الثورة في الأخير، وكذلك ثورة المرابط أحمد شاوش في قسنطينة، وأُخمدت ثورته في النهاية، كما قتل ونفى كل من شكّ في أمره من منافسه حول الحكم، والذين يخشى نفوذهم، كما فرض على اليهود دفع 200 قرش عوض 100 للخزينة ، وغيرها من الأعمال. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص:56. وينظر، أبو العيددودو، الجزائر المرجع السابق، صص: 46 ــ 57.

[454] ــ **المفتي هو**: قديكون هذا المفتي هو الحنفي أحمد بن إبراهيم بن أحمد. ينظر إلى قائمة المفتين الحنفيين، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 74.

[455] ــ أبوالعيد دودو، المرجع نفسه، ص: 48.

[456] ــ محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 36.

[457] ــ **عبد الكريم الفكون:** هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني، هو أحد أبرز أفراد عائلة الفكون علما وعملا وسمعة، توفي بوباء الطاعون الذي عمّ مدينة قسنطينة، ترك هذا الفقيه كتابه :" منشور الهداية ..." الذي حققه أبو القاسم سعد الله. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 07.

1073هـ/1663م، وخلفه ابنه محمد[458] في مشيخة الإسلام[459]، وفي سنة 1155هـ/1742م انتشر الوباء في مدينة بسكرة توفي عبد الله بن عبد الواحد العمراني[460]، وهو عالم فقيه ومفتي، من علماء بسكرة[461].

5 ـ مدّة التوظيف:

ومن خلال قراءة تواريخ تعيين المفتين، وعزلهم، يُلاحظ **أن** مدة بقاء كل واحد في منصبه تختلف من مفتي إلى آخر، فمنهم من قضى في منصبه مدة طويلة، مثل الشيخ أبي عثمان سعيد المقري[462] الذي أقام مفتيا بتلمسان ستين عاما[463]، والأمر نفسه عند مفتي

---

[458]ـ **محمد بن عبد الكريم الفكون:** والد عبد الكريم صاحب كتاب " منشور الهداية"، تولى خطبة الإمامة بجامعها الأعظم الأقدم، وكان فقيها صوفيا، وربما يُرجع إليه في المسائل والإفتاء، وكان ذا سمت وتعفف، وأوراد وقيام ليل، توفي بعد رجوعه من الحج والزيارة أواخر محرم الحرام من عام خمسة وأربعين وألف. ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص:52.

[459]ـ محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص: 48.

[460]ـ **عبد الله بن عبد الواحد العمراني:** عالم فقيه مفتي، من علماء بسكرة، وحيد عصره، كان صديقا للفقيه محمد الطيب الخنقي، توفي بالطاعون سنة 1155هـ ببسكرة. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 39.

[461]ـ عبد المنعم القاسمي ، المرجع نفسه، ص:359.

[462]ـ **سعيد المقري:** ولد قبل سنة 930هـ من أسرة المقريين بتلمسان، قرأ بفاس، ثمّ رجع إلى تلمسان، وأقام بها ستين سنة مفتيا، توفي سنة 1010هـ. ينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 193.

[463]-نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه،: 193.

المالكية في مدينة الجزائر الفقيه سعيد قدورة[464]، ومدّة حسن أفندي[465] في خطة الفتوى على المذهب الحنفي أربعة وعشرين سنة[466].

وهناك من بقي في منصبه تفوق عشر سنوات، مثل: "الشيخ حسين رجب شاوش الذي تولى الفتوى في أوائل شهر جمادى الأولى سنة 1102هـ/1691م، ثم عزل بعد إثني عشر عاما من توليته"[467]، وهناك من المفتين من بقي في منصبه أقل من عشرة سنين، كالمفتي الحاج سعيد الذي دامت مدة مهمته في الفتوى أكثر من سبع سنوات[468]، في حين هناك من لم يدم تعيينه في المنصب سوى أسابيع فقط، مثل: محمد النيّار، حينما عُين مفتيا للمرة الثانية من طرف دالي إبراهيم الدولاتي، إذ بقي في منصبه أربعة أشهر وعشرين يوما[469].

كما يلاحظ أيضا، أنّ مِن المفتين مَن يُعيّن أكثر من مرة، فأحد المفاتي مثلا عّين ثم عزّل ثم عيّن مرة أخرى، مثل: محمد النيّار الذي تولى الفتوى ثلاث مرات[470]. و المفتي محمد بن الشاهد هو الآخر تولى الإفتاء ثلاث مرات من سنة 1198هـ/1784م إلى غاية سنة 1207هـ/1793م[471]، كما تولى أيضا علي ابن عبد القادر المعروف بالأمين هذا المنصب ستة مرات[472].

---

[464]- نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص: 279.

[465]- **حسن أفندي** : هو مفتي الحنفية بمدينة الجزائر، توفي سنة 1088هـ/ 1677م. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص:324.

[466]- نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص: 275.

[467]- نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص:05.

[468]- ابن المفتي ، المصدر السابق، ص: 107.

[469]- نور الدين عبدالقادر، المرجع نفسه، ص: 276.

[470]- نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص: 276.

[471] _Devoulx ; Les Edifces Religieux ; R .A ; n'10 ;1866 ;p :376.

[472]- تولي علي بن عبد القادر الأمين منصب الإفتاء حسب التواريخ التالية: الأولى كانت سنة 1206هـ/1792م، والثانية في رجب 1207هـ/1793م، والثالثة من سنة 1208هـ/1793م إلى سنة 1210هـ/1796م، أما الرابعة فكانت من سنة 1213هـ/1798م إلى سنة 1226هـ/1811م، والتعيين الخامس كان من سنة 1230هـ/1815م إلى سنة

وهكذا فمدّة التعيّين في منصب المفتي، لا تخضع لشرط معين سوى رضى السّلطة وأهل البلد عليه، فهي غير محددة مسبقا، ونهاية عمل كل مفت كانت تتدخل فيه عدة عوامل قد ذُكرت سلفا.

وممّا سبق يُستنتج أنّ الإفتاء الرسمي في الجزائر العثمانية تدخلت عدة عوامل في تعيين العلماء في هذا المنصب، منها ما تعلق بكفاءة المفتي العلمية، إضافة إلى رغبة السّلطة في استمالة العالم الفقيه حتى تكسب ودّه، لتخضع به أهل مدينته تحت نفوذها، كما لأهل البلد أيضا دور في اختيار المفتي الذي يرغبون فيه، وهذه الوظيفة الدّينية لا يشترط فيها السّن، كما لا تُحدد مدة أداء المفتي عمله مسبقا.

وإذا ثبت تورط الفقيه المفتي الرسمي في إعلان الثورة على السّلطة، فإنّ العزل أوالنفي أو القتل سيكون حتما مصيره المنتظر، وأحيانا تصبه شذايا بعض الاضطرابات، فيعزل من منصبه، مثلما وقع لأبي راس، كما كان لتنافس العلماء بينهم حول المنصب، والتحاسدِ بعضهم بعضا دور في عزل المفتين الرسميين من منصبهم، وإذا أصاب المفتي الوباء أوالطاعون فسيكون سببا آخر في موته، وإنهاء مهامه الوظيفي.

هذا بالنسبة للإفتاء الرسمي والعوامل المحيطة به، أمّا الإفتاء الأخر فبيانه سيكون في الفصل الموالي من هذا البحث.

1232هـ/ 1817م، أما التعيين الأخير فكان من سنة 1233هـ/ 1818 إلى سنة 1235هـ/1820م. ينظر: لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، ط1، 2009، ص: 93.

الفصل الثالث

الإفتاء الحر

1 ـ تعريفه

أ ـ الإفتاء عند شيوخ الزوايا والطرق الصوفية

ب ـ الإفتاء عند العلماء الجزائريين

ج ـ الإفتاء عند العلماء غير الجزائريين

د ـ الإفتاء عند علماء الإباضية

2 ـ الإفتاء الحر والسلطة

1ـــ تعريف الإفتاء الحر:

وهو الإفتاء الصادر عن مفتي مستقل عن السلطة، أي أنّه لم يُعيّن من طرف إدارة الحكومة، التي رغم تنظيمها لهذه الوظيفة، وجعلها منصبا رسميا، يُعيّن فيه المفتي بقرار من الحاكم إلاّ أنه بقي الإفتاء يُمارس من طرف أشخاص غير مُعيّنين، سواء كانوا شيوخ زوايا وطرق صوفية، أو علماء أحرار من المذهبين المالكي والحنفي، و لم ينالوا المنصب لسبب أو لأخر، أو عند بني ميزاب، الّذين كان لهم نظامهم الخاص في الإفتاء.

أـــ الإفتاء عند شيوخ الزوايا والطرق الصوفية:

1ـــ **الزوايا:** جمع زاوية، وقيل: " زاوية البيت: ركنه...وتزوى أي صار فيها [473]، وبذلك عرفت الزوايا اصطلاحا أنّها هي " عبار عن مجموعة من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت للصلاة كالمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم العربية، وأخرى لسكن الطلبة، وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية، والعلف للحيوانات.."[474]، أختارها أصحابها من المتصوفة والمرابطين لتكون لهم مركزا لدعوتهم، بعيدين عن صخب العمران، وضجيجه، طلبا للهدوء والسكون[475].

ويطلق الزوايّا كذلك اسم الرباط وجمعها الرباطات، وهي عبارة عن ثكنات للجهاد، وإعلان كلمة الله، وحماية الثغور الاسلامية من أي خطر خارجي فلمّا كانت ثائرة الجهاد عند الناس قائمة، وكان الطلبة فيها جنودا وعلماء في الوقت نفسه، وكانوا ينطلقون منها للجهاد، ويأوون إليها للزّاد، والسكن، فكانت مهمتها في البداية استقبال الغرباء،

---

[473]ـــ ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص: 363.

[474]ـــ نقلا عن يحي بوعزيز، ينظر، ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، إشراف: د. عائشة غطاش، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2007/2006م، ص: 18.

[475]ـــ صلاح مؤيد العقب، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، ط1، 2002م، ص : 300ـــ301.

والوافدين من البلدان القريبة والبعيدة، ثمّ أصبحت دُورا للعلم، تستقبل الطلبة من كلّ الأنحاء، وتنقسم ـــ حسب الأستاذ أحسن زقور[476] ـــ إلى قسمين: زوايا علمية، همها الأكبر نشر العلوم الشرعية، وزوايا ليست علمية، تهتم بالأوراد والحضرة[477]، وعادة ما تكون هذه الزاوية تابعة لإحدى الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد.

وتتكون الزاوية عادة من مسجد للصلوات الخمس، وقاعة لتعليم الطلبة، وبيوت مراقد هؤلاء الطلبة، مثلما تشير إليه إحدى وثائق الوقف الخاصة بزاوية كجاوة حيث أنّ السيد محمد خوجة حرص على بناء مسجد تقام فيه الصلاة ، ومما جاء في عقد التأسيس:"... أنه حبس ووقف و أبد لله تعالى بنية سنية على أسس من التقوى مبنية جميع ساحة الفندق العلوي المذكورين على أن يبني هنالك كمدرسة مشتملة على خمس بيوت يسكنها الطلبة للقراءة واشتغال العلم وعلى مسجد تقام فيه الصلوات الخمس الطلبة المذورون وغيرهم من المسلمين..."[478]، وفي وثيقة وقفية أخرى خاصة بناء زاوية القاضي، والتي جاء فيها ما يلي "... بعد أن كان السيد مصطفى آغة الصبايحية في التاريخ أحدث بناء الزاوية بمحكمة المالكية، وجعل فيها ماء راكدا ومطهرة، وبنى أعلا ذلك مسجدا..."[479]، وتحمل الزاويا اسم مؤسسها، أو الحي الذي بُنيت فيه، أو إسم الولي المدفون فيها، مثل زاوية عبد الرحمن الثعالبي، أو اسم الجماعة [480]مثل زاوية الأشراف، وزاوية الأندلس وغيرها.

وقد ظهرت العديد من الزوايّا في ربوع الجزائر، منها على سبيل المثال، دون الحصر:

ـــ الزاوية العثمانية بطولقة[481] التي تأسست سنة 1194هـــ/1780م من طرف علي بن عمر[482]، المعروف عنه أنّه كان لا يتدخل في الشؤون السيّاسية، بينما كان يلزم نفسه

---

[476]ـــ أستاذ التعليم العالي بقسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران.

[477]ـــ أحسن زقور، المرجع السابق، ص ص: 40ـــ 42.

[478]ـــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة : 129، الوثيقة: 11.

[479]ـــ الأرشيف الوطني الجزائري، بيت المال والبايلك، سجل: 100، ورقة: 58.

[480]ـــ ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص: 03.

[481]ـــ **طولقة**: مدينة من أعمال بسكرة بالجنوب الجزائري، ظهر فيها عدد كبير من العلماء من أمثال: أبو علي السني، عامر الشابي، أبوبكر المولدي وغيرهم. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 145.

في الصلح بين النّاس، وإطفاء نيران الفتنة بين المسلمين، عرفت زاويته قدوم الكثير من الطلبة إليها خاصة من المناطق المجاورة، مثل : سيدي عقبة، وبسكرة، أولاد جلال، ومن قسنطينة، والأغواط[483]، ووادي سوف[484].

لم تأخذ هذه الزاوية إسم مؤسسها، بل إسم أبناء بنته المسمى علي بن عثمان، الذي أصبح شيخها فيما بعد، ويعتبر هو المؤسس لمكتبتها الغنية بالمخطوطات[485].

ـــ زاوية ابن عباس تعتبر من أوائل الزوايا القادرية في الجزائر، يُرجع تأسيسها إلى بداية العهد العثماني حين قدم محمد بن ابراهيم بن موسى[486] إلى الأوراس، وحطّ الرحال بإحدى قراها المنيعة، وبعد وفاة الشيخ المؤسس، تولى أبناؤه تسيير شؤون الزاوية، التي أصبحت مركزا من مراكز العلم والمعرفة، حيث تعلّم القرآن، والعلوم الإسلامية لأبناء المنطقة، وما جاورها، بالإضافة إلى ما كانت تقدمه من خدمات إجتماعية، كمساعدة الفقراء والمحتاجين، والفصل في الخصومات التي تقع بين المواطنين[487].

---

[482]ـــ **علي بن عمر**: هو علي بن عمر بن أحمد بن الموفق ،ولد بطولقة سنة 1166هـــ/1754م، نشأ بها وتلقى علومه بها، أخذ أوراد الطريقة على يد شيخه محمد بن عزوز البرجي، ولما بلغ من العمر حوالي ثماني وعشرين سنة أمره شيخه بإنشاء زاوية خاصة به، زذلك سنة 1194هـــ، توفي سنة 1253ه/1837م أو 1259هـــ/1843م. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص ص: 243 ـــ245.

[483]ـــ **الأغواط**: بلدة كبيرة، محاطة بسور، وحولها تحصينات، لها أربعة أبواب، سكانها يتكلمون اللغة العربية، تنتج هذه البلدة الفواكه بكثرة، خاصة: التمور، التين، العنب، الرمان والإجاص، يُقسّمها وادي إمزي إلى شطرين، وتوجد في شرقها آثار قديمة. ينظر، الأغواطي الحاج ابن الدين، رحتله في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص: 87.

[484]ـــ **واد سوف**: في واد سوف عدد من الدشور، أهلها يعيشون على التمر والحليب، كما يتمتعون باستقلال كامل عن أي سلطان، معظم تجارتهم مع أهل غدامس الليبية، يبعون فيها العبيد. ينظر، الأغواطي، المصدر نفسه، ص: 96.

[485]ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص : 393

[486]ـــ **محمد بن ابراهيم بن موسى**: أصله من وارجلان، استقدمته بني يسجن بميزاب ليتولى مشيختها، وإدارة شؤونها في رمضان سنة 1109هـــ/1698م. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع نفسه، ص: 362.

[487]ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص : 415ـــ 416.

ـــ زاوية عبدالرحمن اليلولي[488]، تقع هذه الزاوية بجبل أيلولن قرب أقبو، وسميت هذه الزاوية باسم مؤسسها، الذي ينسب إلى قبيل أيلولة بنواحي عزازقة، أما تأسيسها فكان في عام 1045هـ/1635م[489]، تخصصت هذه الزاوية حفظ القرآن، مع معرفة كاملة بالقرءات، كما اشتهرت أيضا بالعلماء الذين درّسوا بها أمثال:الصادق بن زكري، شقيق مفتي الجزائر الشيخ السعيد بن زكري، وغيرهما كثير، ممن ساهموا في تدريس العلوم، والفنون المختلفة بهذه الزاوية[490].

ـــ زاوية أحمد بن إدريس[491] بيلولة، تحمل هذه الزاوية اسم مؤسسها، الذي أنشأها في القرن الثامن الهجري، وتعتبر من أقدم الزاويا على المستوى الوطني، إذ اشتهرت بتدريس علوم القرآن، بقراءاته العشر، إضافة إلى الفقه، التوحيد، الفرائض، التفسير، النحو الصرف والبلاغة، وكذلك علم الفلك[492].

ـــ زواية المغيلي نسبة لمؤسسها الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي[493]، الذي كان له الدور الفعّال في منطقة الصحراء، كان صاحب رأي، وعلم، قام بإنشائها في القرن العاشر

---

[488] ـــ **عبد الرحمن اليلولي:** هو أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي الزواوي، من أشهر علماء القراءات بالجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري، ولد سنة 1030هـ/1601م، في قرية أخردوشن بدائرة عزازقة، أخذ العلم عن شيخه محمد السعيد البهلولي، توفي سنة 1105هـ/1691م. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق: 198.

[489] ـــ عبد المنعم القاسمي، المرجع نفسه، ص: 199.

[490] ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق ، ص : 456.

[491] ـــ **أحمد بن ادريس:** هو من كبار علماء بجاية في وقته، كان عالما بارعا، وزاهدا ورعا، أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي، له شرح على ابن الحاجب، توفي سنة 760هـ. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص: 277.

[492] ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص : 471.

[493] ـــ **محمد المغيلي:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ولد بتلمسان وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى بجاية وأخذ عن أحمد الوغليسي، كما أخذ عن عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحي بن يدير، وغيرهما، اشتهر المغيلي بمجاهرته بالحق والدفاع عنه، وإخلاصه في عمله، هو صاحب قضية طرد اليهود من الصحراء بعدما افسدوا فيها. ينظر، محمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص: 272. وينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع نفسه، ص: 325.

الهجري بإقليم توات[494]، واشتهرت هذه الزواية بقضية يهود توات الذين أكثروا في هذه البلاد الفساد، مما دفع بالمغيلي أن يثور عليهم بعد استشارته لعدة علماء فاس وتلمسان وتونس.[495]

ــ زاوية كرزاز، بمنطقة الساورة، أُسست في القرن العاشر الهجري من طرف أحمد بن موسى[496]، واشتهرت هذه الزاوية بمؤسسها هذا الأخير، الذي أنشأ طريقة صوفية تدُعى بالموساوية، وهذا بإذن شيخه أحمد بن يوسف الملياني[497]، كما عُرفت أيضا بنشاطها المتزايد على السنين، في الحفاظ على قراءة القرآن، ودراسته[498].

ــ زاوية القيطنة[499] القادرية بولاية معسكر، أسسها مصطفى بن مختار الغربي[500] سنة 1200هــ/1785م، لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الإسلامية، واللغة العربية،

---

[494]ــ **إقليم توات:** هو مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية، الجنوبية الغربية، تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان، وينقسم هذا الإقليم إلى ثلاث مناطق متميزة: تنجورارين، توات وتيدكلت. ينظر، محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافقين للثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص: 28.

[495]ــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص ص: 532ــ 535 .

[496]ــ **أحمد بن موسى:** هو أحمد بن موسى الإدريسي، من أكابر العلماء والأولياء، تتلمذ على أحمد بن الحاج، كان صاحب أوراد ووظائف، كان يدرس " الرسالة" والعقائد، و"ابن الحاجب الفرعي"...توفي سنة 950هــ. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص: 353.

[497]ــ **أحمد ين يوسف الملياني:** نزيل مدينة مليانة ، وهو من أكابر مشايخ الصوفية، كان عارفا بالله تعالى، حيث برع في علم العقيدة. توفي في السنة العشرة الثالثة من القرن العشر الهجري. ينظر، محمد بن عسكر، دوحة الناشر، ص: 112.

[498]ــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص: 556.

[499]ــ **القيطنة:** هي قرية على بعد 28 كم من مدينة معسكر، اختطها مصطفى بلمختار سنة 1206هــ. ينظر، أبو راس الناصر المعسكري، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان، دراسة وتحقيق: حمدادو بن عمر، منشورات دار قرطبة، الجزائر، ط2، 1433هــ /2012م، ص:93.

[500]ــ **مصطفى بن المختار الغربي:** هو مصطفى بن المختار بن عبد القادر الحسني الغريسي، ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر، أخذ أوراد الطريقة القادرية عن نقيب الأشراف ببغداد عبد الرحمن الجيلاني، ولما رجع منها، أسس زاوية قرب معسكر، كانت له علاقة طيبة مع الباي محمد الكبير، توفي سنة 1212هــ بليبيا أثناء عودته من الحج. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 404.

ونشر الطريقة القادرية، وكانت هذه الزاوية مركزا للفقراء، والمحتاجين، وأبناء السبيل. وقد تخرج منها الكثير من العلماء، أمثال: أبي راس، ومحمد المشرفي[501]، وغيرهما من العلماء الذين تلقوا تعليمهم بهذه الزاوية[502].

ـــ زاوية علي بن أحمد أبهلول المجاجي[503] بمدينة تنس، وكانت هذه الزاوية مليئة بالطلبة، التي كانوا يقصدونها، من كل أنحاء التراب الوطني، لدراسة العلم، بمختلف فنونه، كالتفسير، وعلم الحديث، والأصول، والفقه، والتوحيد، والمنطق، وغيرها، وممن تخرج من هذه الزاوية: المفتي سعيد قدورة، ويحي الشاوي وغيرهما، كما اشتهرت أيضا بإكرامها للضيوف والغرباء[504]، واستقبال اللاجئين من الأندلسيين الفارين بدينهم، وأرواحهم من ظلم نصارى الإسبان، وإكرامهم[505]، ومساعدتهم على الاستقرار في الجزائر.

كما انخرطت هذه الزاوية في محاربة العدو الإسباني، حيث ساعد شيخها المذكور لعروج وخير الدين على محاربتهما للإسبان، ومشاركة ابنه محمد[506] في الجهاد، ثمّ أصبح هذا الأخير شيخا للزاوية بعد وفاته[507].

---

[501]ـــ **محمد المشرفي:** كان إماما في الفقه والحديث، تولى القضاء للأتراك، وكان ضمن الموقعين للمبايعة للأمير عبد القادر، وأصبح قاضيا في حكم الأمير عبد القادر، وعضو بارز في مجلس الشورى العالي الأميري، كانت له وفادة إلى المغرب يوم 19 ذي الحجة 1252هـــ/27 مارس 1837م، في مهمة دبلوماسية وشرعية فقهية، إذ حمل سؤالا إلى مفتي فاس أبي الحسن علي بن عبد السلام مدشيش التسولي، حول موقف الشرع الإسلامي من المتعاونين مع الكفار والرافضين لدفع الزكاه والأعشار لتموين حركة الجهاد. ينظر، الآغا بن المزاري، المصدر السابق،ج1، ص:100. وينظر، العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3326، ص: 20.

[502]ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص ص: 499 ـــ 501.

[503]ـــ **علي بن أحمد أبهلول المجاجي:** هو علي بن أحمد بن عبد الله بن يدر بن سعيد، ينتهي نسبه إلى شرفاء غرناطة، وكانوا ملوكا بها،أخذ الطريقة الشاذلية عن محمد بن الشاعة عن أحمد بن يوسف الملياني، انتقل إلى مجاجة، وبنى بها زاويته، وساعد خير الدين وعروج في محاربة الإسبان. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 232.

[504]ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص : 496.

[505]ـــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع نفسه، ص: 233.

[506]ـــ **محمد بن علي المجاجي:** ولد سنة 945هـــ/1535م، كان إماما هماما، عالما عاملا، زاهدا عابدا...اشتهر بالصلاح والتقوى..كانت تشدّ إليه الرحال في المسائل العلمية، كان له زاوية عامرة اشتهرت بالعلم والتدريس، وحسن الوفادة،

لقد ساهمت في ظهور الرباطات والزوايا في الجزائر عوامل منها: الاحتلال الإسباني لسواحل شمال إفريقيا، مثل بجاية، المرسى الكبير، تنس، دلس، ممّا أدى بسكان هذه المناطق وعلمائها إلى إقامة الثغور والمرابطة بها، وكذلك ظهور هذه الزوايا بشكل كبير في المغرب الأقصى، ومحاولة نشرها في الجزائر عن طريق علماء المغاربة، الّذين كانون يعبرون التراب الوطني في رحلاتهم المختلفة، أو عن طريق علماء الجزائر الّذين قصدوا المغرب للعلم، وعند عودتهم رجعوا مغذين بفكرة إنشاء زاوية.

كما عرفت الجزائر هذه الظاهرة قبل الحكم الزيّاني[508]، وأثناءه، أمّا في العهد العثماني فازداد عددها، ففي تلمسان على سبيل المثال بلغ عددها أكثر من ثلاثين زاوية[509]، وتقوّى نفوذها بسبب احترام الناس لمشايخ الزوايا، وإلى الدور الذي كانت تُؤدّيه هذه الأخيرة، ممّا جعل الحكام يتقربون إليها[510]، ويشجعونها في أداء مهامها، مثلما فعل ذلك الباي حسين سنة 1173هـ/1759م من شراء دار بستين مثقالا ذهبا، ووقفها على زاوية مولاي الطيب الوزاني[511] بتلمسان[512].

وكانت معدة لأفراد الضيفان، ولمن يجاهد في سبيل الله[506] وذلك على مقربة من ثغر تنس، مات مقتولا من طرف باي مازونة...ينظر، العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، ص: 32.وينظر، أحمد توفيق المداني، محمد عثمان باشا، ص:63. وينظر، الحفناوي، المصدر السابق،ج2، ص:279، وينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص ص:341ـ343.

[507]ـ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع نفسه، ص، ص: 233، 342.

[508]ـ هناك العديد من الزوايا التي ظهرت قبل الوجود العثماني، منها: زاوية سيدي يحي العيدلي تاموقرة، نسبة لمؤسسها يحي العيدلي، الذي أنشاها في القرن التاسع الهجري. زاوية أحمد بن ادريس بيلولة، نسبة لمؤسسها أحمد بن أدريس، أُنشئت في القرن السابع الهجري، زاوية فريحة، بدائرة بني ورتيلان ولاية سطيف، أنشاها حمدي بن يحي بن موسى في القرن التاسع الهجري، زاوية محمد بن عمر الهواري بولاية وهران، وغيرها من الزوايا الكثيرة التي انتشرت في الجزائر. ينظر، صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص، ص: 462، 471، 477، 813 .

[509] _ Emerti Marcel ;L'Alegérie d'Abdel Kader ;Paris ;Editios la rouse ; 1951 ; p :13.

[510]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه ، ص : 306.

[511]ـ **الطيب الوزاني:** هو الطيب بن محمد بن عبد الله الوزاني، ولد سنة 1101هـ/ 1689م، بمدينة وزان المغربية، ويعتبر مؤسس الطريقية الطيبية الفعلي والروحي، توفي سنة 1181هـ/ 1774م. ينظر، بومدين بوزيد، حمدادو بن عمر، أصول

ولم يقتصر دور الزوايا في تحفيظ القرآن للطلبة، ودراسة العلوم الشرعية واللغوية، وعلم المنطق وفقط، بل يتعدى هذا الدور التعليمي إلى حل المشاكل الاجتماعية، من فك للخصومات، وإصلاح ذات البيّن بين الناس، وأمّا في الأمور الدّينية، فشيخ الزاوية هو المرجع الذي يقصده الناس للإستفتاء في أمورهم الدينية المختلفة.

وللزوايا نظام داخلي خاص بكل زاوية، يُسيّرها مؤسسها، ويُلقب بالشيخ الذي يطاع في كل صغيرة وكبيرة، ولا يُعصى له أمر، وفي حالة وفاته، يخلفه عادة إبنه الأكبر، لأنّ منصب شيخ الزاوية منصب وراثي، ولا تتدخل الحكومة في تعيينه.

2 ـــ الطرق الصوفية: أمّا الطّريقة في اللّغة تطلق على السّيرة والمذهب والحال[513]، و تُعرف عند الصوفية بأنّها السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات، وتعني بأنها " مجموعة الآداب و الأخلاق والعقائد التي يتمسك بها طائفة الصوفية "[514]، وتأخذ الطريقة أيضا معنى المنهج، ويُقصد به منهج الإرشاد النفسي والخُلقي، الّذي يُربي به الشيخ مريده[515]، وقد قيل "...المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسها فهو عابد هواه لا يجد نفاذا"[516].

كما يمكن تعريف الطرق الصوفية بأنها حركة دينية، انتشرت في العالم الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري، تدعوا إلى الزهد، وشدّة العبادة، والبعد عن الانغماس في

الطريقة الطيبية وسيرة الصوفي سيدي الحسني الوهراني، دار الأديب، وهران، ط1، 2007م، ص: 48. وينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق:355.

[512]ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص : 316.

[513]ـــ ابن منظور، المصدر السابق، مادة: طرق، ج10، ص: 221.

[514]ـــ عامر النجار، الطريقة الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها: الرفاعي، الجيلاني، البدوي، الشاذلي، الدسوقي، دار المعارف، مصر، ط5، د ت ،ص:19

[515]ـــ عامر النجار، المرجع نفسه، ص:19

[516]ـــ هذا القول لأبي علي الدقاق. ينظر: عامر النجار، المرجع نفسه، ص:19

التّرف[517]، وهذا ما أشار إليه البشير الإبراهيمي في قوله:" ...فمبنى التصوف هو الانقطاع والزهد في الدنيا والتجرد، والتقشف، ورياضة النفس على المشاق، وفطمها عن الشهوات..."[518]، أمّا التصوف فقد عرّفه ابن خلدون، بأنه :" عزوف النفس عن الدنيا، والعكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا، وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الناس، من مال، وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة"[519].

وقد ظهر التصوف في بداية الأمر كظاهرة بارزة معروفة بهذا الاسم في القرن الثاني الهجري، حين تخلى أصحابه عن الحياة العامة، هروبا من المشاكل السياسية، والاقتصادية التي صاحبها التطور والتحضر، فابتعد هؤلاء عن زخارف الدنيا[520].

وخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين تعدى التصوف معنى الزهد، ومجاهدة النفس إلى درجة الفناء، أي فناء الانسان في نفسه، وهذا تأثرا بالمذاهب الفلسفية القديمة مثل اليونانية والفارسية وغيرها، عن طريق اختلاط الثقافات الموجودة في الدولة الاسلامية خاصة بعد اتساعها، وعن طريق حركة الترجمة، التي كانت خلال الخلافة العباسية، ثم استمر التصوف في التطور إلى حدود القرن السادس والسابع الهجري، حيث اتحد المتصوفة في شكل جماعات منظمة، وظهر بعد ذلك ما يسمى بالطرق الصوفية، فأصبح لكل طريقة شيخ[521].

---

[517]ــ عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هــ/2005م، ص ص: 09، 10.

[518]ــ محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مقتطفات من تصدير نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تقديم: مشهور حين سليمان، مكتبة الرضوان، الجزائر، ط1، 1429هــ/ 2008م، ص: 34.

[519]ــ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1424 هــ/ 2004م، ص: 462.

[520]ــ فاطمة الزهرة جدو، السلطة والتصوف في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479ــ 635هــ/ 1086ــ 1238م)، ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: د.إبراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1428ــ1429هــ/2007ــ2008م، ص : 07.

[521]ــ فاطمة الزهرة جدو، المرجع السابق، ص: 08.

ولكن بعض الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، كانت محل انتقاد بعض العلماء، أمثال عبد الكريم الفكون، وابن العنابي، وغيرهما، بسبب انحرافها عن التصوف الحقيقي الذي يعني الزهد والانقطاع لله تعالى، ولذا يقسم البعض[522] الطرق الصوفية إلى قسمين: قسم اهتم بالكرامات، والخرافات، والخوارق، وقسم تفرغ للعبادة وفعل الخيرات، فهذا الأخير اهتم بالعلم والعمل، وكان من نتائج القسم الأول، اختلاط التصوف بالبدعة والشعوذة، فتحول الزهد، والتفرغ لعبادة الله، إلى الدروشة والتوسل بالأضرحة، والتبرك بها[523]، واعتقادا بأنها تبريء من الأمراض، وتحفظ الأولاد من الشيطان، ونتيجة هذا الاعتقاد الفاسد، تُقدم القرابين للضريح مثل ذبح دجاج، وإقاد الشموع وغيرها من الخرافات، كما كانت سببا في انتشار الشعوذة والسحر[524]، كما أوقفت عليها أوقافا كثيرة.

ومن مميزات الطرق الصوفية التنظيمية، أنّ لكل منها شيخا، ذا نسب شريف[525]، يلتف حوله المريدون، يبايعونه، ويطيعونه، ولا يخالفون له أمرا، يشترط فيه الزهد في الدنيا، وأن يكون مُلما بالعلم الشرعي، يهدي به العباد، ويداوي به مريده إذا مرض بشبهة في علم التوحيد، وإذا تحيّر هذا المريد في مسألة من مسائل الفقه أفتاه[526].

والمشيخة في الطريقة الصوفية منصب وراثي، يرثه الإبن عن أبيه الشيخ، فهي كما قال البشير الإبراهيمي[527]: "...فلا تتوقف على تربية ولا تسليك ولا إجازة، وإنما على

---

[522] ـ DERMENGHEM, EMILE, Le culte des saints dans l’Islam Maghrebin, Gallimard, Paris,1951, p :05 .

وينظر، رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 42.

[523] ـ FERAUD (C.H), Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Arnault, Paris, 1869, p16.

[524]ـــ رشيدة شدري معمر، المرجع نفسه، ص: 43.

[525]ـــ عبد الله بن دجين السهلي،المرجع السابق، ص : 21.

[526]ـــ عامر النجار، المرجع السابق، ص:25.

[527]ـــ **البشير الإبراهيمي**: ولد بقرية " راس الوادي" بناحية سطيف، في يوم 14 جوان من سنة 1889م، حفظ القرآن الكريم على عمّه الشيخ المكي الإبراهيمي، وفي سنة 1911 هاجر إلى المدينة المنورة، ودرس على كبار علمائها، علوم التفسير،

قاعدة خبز الأب للإبن، وأن شيخ الطريقة لا يلد إلاّ شيخ طريقة"[528]، والشيخ في الطريقة الصوفية هو أعلى منصب فيها.

ثم بعد الشيخ في تنظيم الطريقة المريدُ، وهو السالك للطريق، الذي يسير فيه حسب إرشادات شيخه، وتوجيهاته، ويُشترط فيه أن يلتزم بالطريقة، التي ينتمي إليها، وأن يُطيع شيخه طاعة عمياء، فلا يعص له أمرا، وإخباره بكل أحواله، ولا يكتم عنه سرا من أسراره[529]، وغيرها من الواجبات الأخرى للمريد. ويربط بينه وبين شيخه العهد أوالبيعة.كما أنّ للطريقة كذلك أورادا معينة، وضعها الشيخ المؤسس للطريقة، وأيضا أضرحة تُزار، وتُحبس عليها الأوقاف[530].

وقد وصل عدد هذه الطرق بالجزائر أكثر من 23 طريقة، لها 349 زاوية، ومن هذه الطرق، منها:

أـــ القادرية:

تنسب إلى عبد القادر الجيلاني نسبة إلى جيلان من بلاد فارس، التي ولد بها سنة 470هـــ الموافق لسنة 1077م، ومنها انتقل إلى بغداد وفيها تتلمذ، وتخرج على كبار

زالحديث والفقه....، وفي سنة 1913م التقى بالشيخ عبد الحميد بن باديس في موسم الحج، وفي سنة 1917 انتقل إلى دمشق، واشتغل بها مدرسا للآداب العربية بالمدرسة السلطانية،كما كان يلقي الدروس والمواعظ في الجامع الأموي، وفي سنة1920 رجع إلى وطنه، ليجاهد بفكره وقلمه المحتل الفرنسي، فانشأ مدرسة ومسجدا بناحية سطيف، وفي سنة 1931م كان واحدا من مؤسسي جمعية العلماء الجزائريين، ثم اختار تلمسان لنشاطه الفكري والتعليمي، إلى أن سافر إلى القاهرة سنة 1952م، وواصل نضاله من أجل الجزائر إلى غاية الاستقلال، توفي في يوم 20 ماي من عام 1965م. ينظر، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ص ص: 09 ـ 13.

[528]ـــ محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، ص: 49ـــ 50.

[529]ـــ عامر النجار، المرجع السابق، ص ص: 26 ـــ28.

[530]ـــ عبد الله بن دجين السهلي، المرجع السابق، ص ص: 11، 13.

شيوخها ومتصوفتها، فكان علما في الفقه والحديث، فانتصب للوعظ والارشاد، وتصدى للتدريس والتأليف، وترك للثقافة العربية والاسلامية ثروة لا يستهان بها من الكتب والرسائل، منها: الفتح الرباني، الغنيمة لطالب الحق، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية...."[531] " توفي عبد القادر الجيلاني عام 561هـ الموافق لـ 1166م[532].

ويعدّ أبو مدين شعيب[533] هو من أدخل هذه الطريقة إلى الجزائر، بعد أن تتلمذ على شيخها، وأخذ عنه التصوف، وألبسه الخرقة كما هو معمول به عند المتصوفة[534]، وكان ذلك بعد رجوعه من البقاع المقدّسة حين أدّى فريضة الحجّ، كما كان قدوم ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى، ثمّ انتقاله إلى الجزائر، واستقراره بالأوراس، حيث أسس الزاوية القادرية بها[535].

توجد بالجزائر ما يربوا عن مائتي زاوية تابعة للطريقة القادرية، أشهرها زاوية القيطنة التي أسسها مصطفى الغريسي جدّ الأمير عبد القادر[536] حوالي سنة 1200 هـ الموافق لـ بالغرب الجزائري بالقرب من مدينة معسكر، وزاوية أخرى بالشرق الجزائري بالأوراس، التي كانت أسرة ابن عباس تشرف عليها.

---

[531]ــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص:143.

[532]ــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص: 148.

[533]ــ **أبو مدين شعيب:** هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، كان من أعلام العلماء، وحفاظ الحديث الشريف، كانت ترد عليه الفتاوى في مذهب مالك، فيجيب عنها في وقتها، تعرف على عبد القادر الجيلاني بالحرم المكي، وقرأ عليه كثيرا من الحديث، وأخذ عنه الطريقة القادرية. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص ص: 446 ــ 455. وينظر، محمد بن مريم، المصدر السابق، ص ص: 130 ــ 137.

[534]ــ محمد بن مريم، المصدر نفسه، ص: 132.

[535]ــ ينظر، صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص ص: 145 ــ 146.

[536]ــ **الأمير عبد القادر:** هو عبد القادر بن محي الدين الهاشمي، ولد بالقيطنة سنة 1807م، أسس الدولة الجزائرية الحديثة بعد انهيار الحكم العثماني، تولى قيادة الجهاد المسلح ضدّ فالاحتلال الفرنسي من سنة 1832 إلى سنة 1847م، ثم اُعتقل، ونفي إلى دمشق حيث توفي بها في يوم 19 رجب 1300هـ الموافق ليوم 24 ماي 1883م. ينظر، أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، المصدر السابق، ص: 35.

كان شيوخ هذه الزاوية منذ تأسيسها في الجزائر يرجع إليهم في حل المشكلات التي كانت تقع بين الناس، فيحكمون بين بالعدل[537]، وإذا وقع لهم لبس في أمر من أمور دينهم، أو أرادوا رفع اللبس على شئ لم يفهموه، خاصة أتباع هذه الطريقة رجعوا إلى شيخ الزاوية ليستفتوه، فيفتيهم، ويزيل عنهم الغموض فيما أّشكل عليهم.

ب ــ الشاذلية: نسبة لمؤسسها أبو الحسن علي ابن عبدالله بن عبد الجبار الشاذلي[538]، ولد سنة 593هـــ/1196م ببلدة غمارة قرب مدينة سبتة، وفيها تلقى تعليمه الأول، ثم توجّه إلى تونس حيث ازداد في طلب العلم خاصة في الفقه والتصوف، ثم انتقل إلى بلدة شاذلة بتونس، ليستقر فيها، وهي إحدى مدن تونس، التي نُسب إليها، وعّرفت طريقته باسمها، ثم غادرها نهائيا، وحطّ الرحال بمدينة الاسكندرية، إلى أن توفي بها سنة 656هـــ/1258م[539].

وقد ظهرت هذه الطريقة في الجزائر بعد القرن السادس عشر الميلادي، وتفرعت عنها العديد من الطرق الصوفية الأخرى، كالدرقاوية، والطيبية، واليوسفية، والزيانية، والزروقية، والشيخية، كما استطاعت الطريقة الشاذلية أن تستقطب إليها كبار العلماء أمثال: عبد الرحمن الثعالبي، وأحمد بن يوسف الملياني، وإبراهيم التازي[540]، وغيرهم الذين انتسبوا إليها.

ج ــ الدرقاوية: ينتسبون إلى مولاي محمد العربي بن أحمد، وهو من بني زروال من فرقة يُقال لها درقاوة بالمغرب، أخذ عنه هذه الطريقة السيد: عبد القادر بن الشريف[541]،

537ــ ينظر، صلاح العقبي، المرجع السابق، ص : 147.

538ــ لأبي الحسن الشاذلي مؤلفات منها: جزب الشاذلي، رسالة الأمين في آداب التصوف، السر الجليل في خواص حسبنا الله نعم الوكيل. ينظر، صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص : 154.

539ــ ينظر، صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص : 149.

540ــ ينظر، صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص:150.

541ــ **عبد القادر بن الشريف:** مقدم الطريقة الدرقاوية بنواحي وهران، أصله من قرية "بليل" قرب فرندة بتيارت، تعلم بمسقط رأسه، ثمّ التحق بزاوية محي الدين بالقيطنة، ذهب إلى المغرب، والتحق بزاوية محمد العربي الدرقاوي، وأخذ عنه أوراد طريقته،

الذي كان عالما، محققا، وكثير التعبّد، مدرسا للقرآن الكريم، يشير الناس إليه بالصلاح، قبل أن يذهب إلى المغرب، ويأخذ الطريقة الدرقاوية[542].

ولمّا رجع عبد القادر بن الشريف إلى الجزائر، لبس الخرقة، وعلّق الببوش[543] على رقبته، واقتدى به بعض الناس، وأخذوا عنه تعاليم طريقته وأورادها، ثمّ اتبعوه، حتى اجتمع عليه خلق كثير، وكان هؤلاء الأتباع لا يعصون له أمرا، وكانوا يشتكون إليه ضرر الحكومة العثمانية في الجزائر من أداء المغارم، وغيرها، وكان شيخ الطريقة يعدهم بالفرج القريب[544]، كما كان هذا الأخير أيضا المرجع الأول، في حلّ بعض المسائل الخلافية بين الأتباع، أو توضيح المسائل الفقهية لهم.

د ـــ التيجانية: أسسها أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني[545] نسبة إلى قبيلة توجين التي استقرت قديما بمدينة عين ماضي[546]، قرب الأغواط سنة 1150هـــ/1737م، وفيها حفظ القرآن الكريم، واللغة العربية، والفقه المالكي، ثم انتقل إلى

ولما عاد إلى مسقط رأسه، أسس زاوية بها، وكثر أتباعه ومريديه، قاد ثورة ضدّ العثمانيين سنة 1219هـــ/1805م، دامت عشر سنوات، آل أمره إلى فراره إلى جبل بني يزناسن بالمغرب، وأقام به إلى وفاته. ينظر، أحمد بن عبد الرحمن لراشدي، المصدر السابق، ص:26. وينظر، عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص: 205.

[542]ـــ الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:302.

[543]ـــ الببوش : كلمة استعملها الآغا بن عودة المزاري صاحب كتاب طلوع سعد السعود الذي أُخذت منه هذه العبارة، وهي تعني الحلزون، أو بقاياه، وهذه الكلمة متداولة في مجتمعنا اليوم.

[544]ـــ ينظر، الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص ص:302، 303.

[545]ـــ **أبو العباس أحمد بن المختار التيجاني:** هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني، ولد سنة 1150هـــ/1737م بعين ماضي بنواحي الأغواط بالجنوب الجزائري، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، نبغ في علوم الفقه والتفسير والحديث، ثم مال إلى التصوف، غادر عين ماضي سنة 1171هـــ إلى مدينة فاس، ولازم شيوخها هناك، ثم ثضى يتردد على تلمسان والصحراء، وبقي في منطقة الأبيض سيدي الشيخ خمس سنوات ثم توجه إلى المشرق العربي، ثم رجع إلى تلمسان ثم بوسمغون وتوات، وعرف إقبالا كبيرا من الطلبة والمريدين، مما سبب له مشاكل مع السلطات العثمانية مما اضطره إلى الفرار إلى المغرب، حيث توفي بها سنة 1230هـــ. ينظر، عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص: 97.

[546]ـــ **عين ماضي:** مدينة تابعة لولاية الأغواط، محاطة بالأسوار، لها بابان عظيمان، والمسافة بينها وبين مقر الولاية مسيرة يوم. ينظر، الأغواطي، المصدر السابق، ص:88.

منطقة توات، وتلمسان، ثم شدّ الرحال إلى المغرب الأقصى، حيث حلّ بمدينة فاس، وفيها تتلمذ على شيوخ التصوف مثل: الطيب الوزاني صاحب الطريقة الطيبّية، وشيوخ الطريقة القادرية والصديقية، ثم عاد إلى تلمسان، ومنها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وفي طريقه اتصل بمحمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية في الجزائر، فأخذ عنه فنون الحكمة، كما التقى بمحمد الكردي العراقي، الذي أذن له بتأسيس الطريقة، وتلقين الذّكر، وفي البقاع المقدسة التقى بمحمد بن عبد الكريم السماني، وأخذ عنه أحزاب الشاذلية، والوظيفة الزروقية[547].

وبعد عودته من الحجّ، ظلّ متنقلا بين تلمسان وبين الصحراء، ومن بلدة إلى أخرى بسبب مضايقته من طرف باي وهران محمد بن عثمان، وفي بوسمغون[548] جنوب البيض أسس الطريقة التيجانية، ثم قرر هجرة الجزائر، والاستقرار بمدينة فاس سنة 1213هـ/1799م[549]، حيث منحه سلطان المغرب الأقصى مولاي سليمان[550] قصرا لإقامته مع راتب يكفيه ومن معه[551]، ثمّ تفرّغ لنشر طريقته بين الناس، إلى أن توفي يوم 17 شوال سنة 1230هـ الموافق لـ 22 سبتمر 1815م بفاس[552].

---

[547]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص ص:175ـ 176.

[548] ـ **بوسمغون:** مدينة بولاية البيض، كانت محط رحال ركب الحجيج المغربي، وفيها كان يشترون ما يلزمهم من الزاد. ينظر، العياشي، الرحلة، ج1، ص: 111.

[549]ـ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع نفسه، ص:98.

[550]ـ **مولاي سليمان:** هو سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، أبو الربيع، بويع بفاس سنة 1206هـ/1797م، بعد وفاة أخيه يزيد، اتبع سياسة الانغلاق على العالم الخارجي، فقد قطع جميع الصلات التي بين المغرب وأوربا، توفي سنة 1238هـ/1822م. رحلة الشيخ عبد الرحمن بن ادريس التنلاني إلى ثغر الجزائر المحروسة، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ـ13هـ/18ـ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012م، ص: 174.

[551]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص:177.

[552]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص:179.

يُعرف المنتسبون إلى الطريقة التيجانية بالأحباب، وحسب تعاليم هذه الطريقة يمنع على هؤلاء الانخراط في طريقة أخرى، ومن أهم الزوايا[553] التابعة لها في الجزائر: الزاوية الأم بعين ماضي، وزاوية تماسين[554]، والأغواظ، وسوف، وورقلة، ثم توقرت[555].

تولى مشيخة هذه الطريقة في الجزائر السّيد محمد الكبير[556] خليفة والده الشيخ التيجاني، و"صاحب الثورة ضد الأتراك، ولد حوالي سنة 1212هـ/1797م، بالمغرب الأقصى، قدم مع أخيه محمد الصغير إلى زاوية عين ماضي، حيث تولى مشيخة الزاوية، حافظ على استقلال الطريقة التيجانية ضد نفوذ الأتراك ثم قاد ثورة ضد الباي حسن، بمؤازرة أتباع زاويته سنة 1243هـ/1827م، فجمع أعراب الصحراء، وجيّش جيشا، وجعل يدا مع حشم غريس، استولى على بعض الجهات في معسكر، ولكنه قتل في هذه المنطقة..."[557].

ج ــ الرحمانية: نسبة لمؤسسها محمد بن عبد الرحمن الجزائري، الذّي ولد في سنة 1126هـ/1714م بقرية بوعلاوة بجبال جرجرة، تلقى تعليمه الأول في زاوية الصديق بن أعراب في قرية آيت إيراتن، ثمّ استقر بالقاهرة، وبعد أدائه فريضة الحج ،وعودته من البقاع

---

[553]ــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص:180.

[554]ــ **تماسين**: هي إحدى المدن الصحراوية بالجزائر، تقع في محيط ولاية ورقلة، تبعد عن مقر الوية بـــ 150كم، سكانها يعتمدون على النخيل، وما تجنيه هذه الأشجار، كانت هذه المدينة تعجّ بالحركة الفكرية خلال العهد العثماني. ينظر، محمد بغداد، تماسين جوهرة الصحراء، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص،ص: 41،40،12.

[555]ــ **تقرت**: بلدة الثروة والرخاء، تنتج الفواكه المختلفة منها: التمر، التين، المشمش، التفاح، الإجاص،في هذه البلدة ينابيع المياه الكثيرة، وسوقها كبير جدا، وهذه البلدة هي عاصمة المنطقة، وهي محاطة بأسوار، ثم بخنادق فيها الماء،. ينظر، الأغواطي، المصدر السابق، ص ص: 99 ــ101.

[556]ــ **محمد الكبير التجاني**: هو محمد الكبير بن أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية، قاد ثورة ضدّ باي وهران حسن، انتهى به الأمر إلى قتله بسهل غريس سنة 1243هــ/1827م. ينظر، أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، المصدر السابق، ص:27.

[557]ــ عبد المنعم القاسمي القاسمي، المرجع السابق، ص: 292.

المقدسة، تتلمذ في الجامع الأزهر على كبار العلماء أمثال: علي بن أحمد الصعيدي[558]، علي العمروسي[559]، حسن الجداوي المالكي[560]، ومحمد بن سالم الحفناوي[561]، وعن هذا الأخير أخذ الطريقة الخلوتية[562].

وبعد عودته إلى الجزائر سنة 1183هـ/ 1769م، قام بتأسيس زاوية في مسقط رأسه بقرية آيت إسماعيل[563]، ومنها انطلق في نشر تعاليم الطريقة الخلوتية، التي أصبحت فيما بعد تنسب إليه باسم " الرحمانية"، وقد لقيت هذه الطريقة إقبالا كبيرا، من طرف مواطني المنطقة، الشئ الذي دفع بشيوخ الزوايا إلى تدبير المكائد والدسائس ضدّ هذا المؤسس، وأثاروا حوله الكثير من الشبهات والتّهم، مما أجبره على المثول أمام المجلس العلمي للعاصمة، الذي كان تحت رئاسة المفتي علي بن عبد القادر بن الأمين المفتي المالكي، وبعد الاستماع إليه، ومناقشة فيما اتهم به، تمّت براءته من طرف المجلس المذكور[564] ، توفي سنة 1208هـ الموافق لـ 1794م.

---

[558]ـ **علي بن أحمد الصعيدي:** هو أبو الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي (1112 ـ1189هـ/1700 ـ 1775م)، قدم مصر وحضر دروس عبد الوهاب الملوي، والشلبي، وسالم النفزاوي وغيرهم، من مؤلفاته: حاشية على ابن التركي، وحاشية على الزرقاني، وغيرهما. ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابع، ص: 341.

[559]ـ **علي العمروسي:** هو أبو الحسن علي بن خضر بن أحمد العمروسي، تتلمذ على يد محمد الزقاوي، والشهاب النفزاوي وغيرهما، درَّس بالأزهر، من مؤلفاته: اختصار المختصر الخليلي وشرحه. ينظر، محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص:339.

[560]ـ **حسن الجداوي المالكي:** هو حسن بن غالب الجداوي الأزهري المالكي (1128 ـ 1202هـ/1715 ـ1787م)، أخذ العلم عن محمد السلموني وخضر العمروسي، وغيرهما. ينظر، محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص: 360.

[561]ـ **محمد بن سالم الحفناوي:** فقيه شافعي، درس في الأزهر على عدة مشايخ منهم: أحمد الخليفي، ومحمد الديربي، وعبد الرءوف البشبيشيوغيرهم، ثمّ درّس فيه، تخرج عليه عدد من العلماء أمثال أبي العباس السلجماسي، كانت ولادته سنة 1101هـ، أما وفاته في عام 1181هـ. ينظر، الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 135.وينظر، الجبرتي، المصدر السابق، ج1، صص: 237 ـ 246.

[562]ـ صلاح مؤيد العقبي،المرجع السابق، ص ص:155ـ 156.

[563]ـ **قرية آيت إسماعيل:**هي قرية منسوبة إلى قبيلة تقطنها، وهي فرع من فروع قبائل قشتولة بجرجرة. ينظر، ياسين بودريعة ، المرجع السابق، ص: 41.

[564]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص :156.

ولهذه الطريقة عدة زوايا منتشرة في القطر الجزائري خاصة في وسط الوطن، وشرقه، وجنوبه، ومن أبرزها، الزاوية الأم بقرية آيت اسماعيل، والتي مرّ عليها علماء أفاضل مثل: أحمد بن الطيب الرحموني، وهو صاحب الرجز المعروف في الفقه، وزاوية الحامة بالعاصمة التي تضم ضريح مؤسسها، وكذلك زاوية الشيخ الحداد ببلدة صدوق، وأيضا الزاوية العثمانية بطولقة، وزاوية سيدي ناجي[565] ببسكرة[566].

ومّما سبق، يتبيّن أن لكل طريقة صوفية زوايا في ربوع الوطن وخارجه، تنشر أفكارها وأورادها، تتصل بالزاوية الأم، التي يُسيّر شيخ الطريقة بنفسه، وهناك زوايا مستقلة ليست تابعة لأيّة طريقة، ولكن كل هذه الزوايا والطرق الصوفية على اختلافها، تشترك في الدور الذي تُأديه من تحفيظ القرآن، وتدريس العلوم الشرعية والعقلية كالمنطق، وكذلك في فك الخصومات بين الناس، وإقامة الصلح بينهم، وأيضا في توضيح الأمور الدينية لهم، سواء عن طريق الدروس في المساجد، أو من خلال استفتاء شيوخ الزوايا.

كما أنه ليس للسلطة الحاكمة دخل في تعيين شيوخها، أو ترتيب لهم رواتب خاصة، إلاّ أنها كانت تحاول تقريب هذه الطرق الصوفية إليها، لما لها من نفوذ في أوساط المجتمع، فأوقفت عليها أوقافا مختلفة، وألغت دفع الضرائب المختلفة عن شيوخها، كما أوجبت الاحترام لهم من طرف عمال الإدارة المحلية، وأفراد الجيش، والنلس عامة.

ب ـــ الإفتاء عند العلماء:

[565]ـــ **خنقة سيدي ناجي**: مدينة تقع 100كم شرق بسكرة، أسسها مبارك بن قاسم بن ناجي حوالي سنة 1011هـــ/ 1602م، اشتهرت بكثرة علمائها. ينظر، عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص: 90.

[566]ـــ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص : 158.

وهو الإفتاء الصادر عن العلماء الذين قد يكون غير منتمين إلى طريقة أو زاوية معين، وهذا الإفتاء لا يقتصر على العلماء الجزائريين فقط، سواء المقيمين في الجزائر أو خارجه، بل نجد علماء المغرب الأقصى مثلا عند زيارتهم الجزائر لأغراض مختلفة، يلتفُّ حولهم الجزائريون يستفتونهم في أمور دينهم، مثلما هو الحال في رحلة العياشي التي رصدت لنا بعض حالات استفتاءه من طرف سكان المناطق التي مرّ بها وهو في طريقه إلى الحج, وحتى أمراء هذه المناطق، وعلماءها سألوا العياشي أيضا، وكذلك العلماء الذين جاؤا من المشرق العربي مثل الشيخ فتح الله، وغيره.

1 ــ العلماء الجزائريون: يوجد العلماء الجزائريون في العهد العثماني على وضعين مختلفين، فمنهم من بقي في الجزائر، يفيد أبناء وطنه بما فتح عليه الله من العلم، وفئة أخرى هجرت الوطن لأسباب مختلفة، منها: معارضتها للسلطة في الجزائر، أو من أجل الإستزادة في العلم، وهكذا اصبح العلماء الجزائريين بعضهم في الجزائر، وآخرون خارجها.

أ ـــ المقيمون في الجزائر: هناك العديد من العلماء الذين بزوا في الجزائر خاصة في ميدان الفقه، فأناروا به الناس الذين كانوا يقصدونه، سواء للعلم، أو للفتوى، ومن صنف هؤلاء العلماء الذين ذاع صيتهم في الجزائر وخارجها، وعلى سبيل المثال:

ـــ مصطفى الرماصي[567]: كان من أبرز المدرسين في رباط وهران قبل استرجاعها من

الإسبانيين[568]، اشتهر الرماصي بتبحره في الفقه المالكي داخل الوطن والخارجي، كان مرجع الفتوى في عصره، له حاشية على شرح التتائي على المختصر[569]، اعتمد عليها

---

[567] ـــ **مصطفى الرماصي:** هو مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، نسبة إلى رماصة، قرية صغيرة من قرى مستغانم، ولد بها سنة 1026هـــ، وصفه الحفناوي بـــ " العلامة المتفنن المحقق والجهيد النقاد المدقق..."، توفي سنة 1137هـــ/1723م. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 441. وينظر، عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص: 235.

[568]-احتلت وهران من طرف اسبانيا سنة 914هـــ/1508م، وتم تحريرها سنة 1119هـــ/1707م، والرماصي شارك في هذا الفتح، ثم احتلت من جديد سنة1144هـــ/1731م، إلى غاية تحريرها نهائيا على يد الباي محمد بن عثمان الكبير سنة

العلماء في الفقه المالكي، كالبناني الفاسي[570] الذي اعتمد عليها في شرحه على مختصر خليل، كما اعتمد عليها أيضا الدرير المصري[571] في شرحه على الكتاب نفسه[572]، وله نوازل عُرفت باسم " أجوبة الرماصي"[573]، أجاب فيها عن مجموعة من الأسئلة.

ب ــ العلماء الجزائريون المقيمون في الخارج: وهم الذي استوطنوا بلادا غير بلدهم، واستطاعوا بفضل علمهم نيل المناصب الدينية المختلفة، كالقضاء والإفتاء والخطابة والإمامة، فهناك الكثير من هؤلاء العلماء كسبوا الشهرة، وفرضوا أنفسهم علماء أجلاء، منهم:

ــ أحمد بن محمد المقري: ولد سنة 993هــ/1585م بتلمسان، تلقى تعليمه الأول بمدينته، وعن عمه أبي سعيد المقري ــ مفتي تلمسان ستين سنة ــ أخذ صحيح البخاري، وكتب الحديث الستة، ودرس الفقه عن غيره من أعلام تلمسان، ثم رحل إلى فاس ومراكش،

1206هــ/1791م، ولكن الرماصي كان قد توفي قبل هذا التاريخ. ينظر، ابن عودة الأغا المزاري، المصدر السابق، ص: 235. وينظر، ابن سحنون أحمد بن محمد الراشدي، المصدر السابق، ص:09.

[569] المختصر: هو مختصر خليل.

[570]ــ **البناني الفاسي**: هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي، الإمام الفقيه العلامة النظار، شيخ الجماعة، وخاتمة العلماء الكبار، أخذ العلم عن أحمد بن ناصر، وميارة الصغير، وأبي سالم العياشي، والعلامة اليوسي، وعبد الرحمن ومحمد إبني الفقيه عبد القادر الفاسي، ثمّ ارتحل إلى المشرق، فأخذ عن علماء منهم: الخرشي، عبد الباقي الزرقاني ومحمد الطيب الفاسي، وله إجازات عنهم، وأخذ عنه طلبة كثر منهم: محمد جسوس، التاودي، محمد بن عبد العزيز السلجماسي، علي قصارة ومحمد البناني وغيرهم، له مؤلفات كثيرة، منها: شرح لامية الزقاق، شرح الإكتفاء للكلاعي، اختصار شرح الشهاب على الشفاء، وشرح الحزب الكبير للشاذلي، وغيرها ممّا ترك هذا الفقيه، الذي توفي سنة 1163هــ/ 1749م. ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 353.

[571]ــ **الدردير**: هو أحمد بن محمد بن أحمد الصعيد ي العدوي الأزهري (1127 ــ1201هــ/1714 ــ 1787م)، قرأ على عدة شيوخ منهم الملوي والجوهري، عُين مفتيا وناظرا على وقف الصعايدة، من مؤلفاته:" أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك".ينظر، محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص:359.

[572]ــ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، ص: 171.

[573]ــ أجوبة الرماصي لا زالت مخطوطة ولم تحقق بعد، رغم وجود عدة نسخ منها، مثل نسخة بالخزانة العامة بالرباط بالمغرب تحت رقم: 1641. ونسخة بخزانة القرويين تحت رقم: 1324.

فلقي عددا من علماء البلد، أخذ عنهم واستجازهم منهم: وأبو عبد الله القصار[574]، وأحمد التنبكتي[575]، وغيرهما، تولى في سن مبكرة الخطابة والإمامة بجامع القرويين سنة 1022هـ/1613م، ثم منصب الإفتاء الذي استمر فيه إلى غاية مغادرته للمدينة سنة 1027هـ/1618م، متجها نحو المشرق للحج، ثم استقر بالقاهرة أستاذا بالجامع الأزهر، ثم دخل دمشق سنة 1037هـ/1627م وبقي فيها أكثر من شهر يلقي الدروس في الجامع الأموي، ثم رجع إلى القاهرة التي وافته المنية بها في جمادى الثانية 1041هـ/جانفي 1632م[576].

ومن الفقهاء الذين اشتهروا في مدينة فاس، عبد الواحد بن أحمد بن علي الونشريسي، الذي تولى بها القضاء والإفتاء، وكان يدرِّس في مدرستها الفقه والتفسير والحديث، وكان عدلا مهيبا، ذا سمت، وتؤدة وسكون، توفي مقتولا سنة 955هـ/1549م[577].

ومن العلماء الذين ذاع صيتهم خارج الجزائر أيضا، عيسى بن محمد الثعالبي، المتوفي سنة 1080هـ/1669م، ولد بمتيجة، وتعلم بالجزائر على سعيد قدورة، وعبد الواحد الأنصاري، وغيرهما، كان كاتبا خاصا ليوسف باشا، انتقل معه إلى قسنطينة لمواجهة ثورة ابن

---

[574]ــ **أبو عبد الله القصار:** هو أبو عبد الله محمد بن قاسم القبسي الشهير بالقصار، العلامة المحقق، الفقيه المحدث النظار، المتفنن في العلوم، شيخ الفتيا بفاس، وخاتمة أعلامها، أخذ عن السيبي بسنده، وعبد الوهاب الزقاق، وابن مجبر، وأبي القاسم بن ابراهيم الراشدي، وأخذ عنه خلق كثير منهم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي، وشهاب الدين أحمد المقري، ومحمد العربي الفاسي وغيرهم، له مؤلفات مفيدة، وفهرست جمعت روايته في الفقه والحديث، ولد سنة 936هـ، وتوفي في سنة 1012م. ينظر، محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص: 295.

[575]ــ **أحمد التنبكتي:** هو المؤرخ العالم أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر محمد أقيت التنبكتي، نسبة إلى مدينة تنبكتو بمالي، أخذ العلم عن والده، وعمه أبي بكر، وغيرهم، له عدة تآليف منها: شرح على المختصر، شرح على صغرى السنوسي، وكتاب في الأعلام سمّاه " نيل الابتهاج..." توفي سنة 1032هـ/ 1622م. ينظر، أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص ص : 11 ــ 15. وينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص: 14.

[576]ــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص ص: 112ــ114.

[577]ــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع نفسه، ص، ص:222، 223.

صخري، وفي سنة 1061هـ/1650م خرج من الجزائر قاصدا البيت الحرام، وأخذ عن مشايخه أمثال: عبد العزيز الزمزمي[578]، ثمّ قصد مصر، وأخذ عن علمائها من أمثال علي الأجهوري[579]، وشهاب الدين الخفاجي[580] وغيرهما لمدة سنتين ما بين 1064ـ1065هـ/1653ـ1654م[581]، ثم عاد إلى مكة المكرمة، واستوطنها، وشرع في تدريس الحديث، حتى توفي بها في يوم 24 رجب 1080هـ/12 ديسمبر 1669[582]، فأخذ عن علمائها، وأخذوا عنه، منهم على سبيل المثال القاضي تاج الدين المالكي[583]،

---

[578]ـ **عبد العزيز الزمزمي**: عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز، الشيخ الإمام، العالم المفنن عز الدين المكي، الزمزمي الشافعي. مولده سنة997هـ/1589م ، وله مؤلفان أحدهما سماه بالفتح المبين في مدح سيد المرسلين والثاني بفيض الجود على حديث شيبتني هود ودخل بلاد الشام ماراً بها إلى الروم سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة. هو والد شيخنا شيخ الإسلام شمس الدين محمد الزمزمي مفتي مكة، وتوفي في سنة 1072هـ/1662م. ينظر، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، لكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج2، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط**1**، **1418** هـ/**1997**م، ص: 170. وينظر، مصطفى بن عبد الله الشهير بـ حاجي خليفة ، كشف الطنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، تصحيح وتعليق: محمد شرف الدين يالتقايا، رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، ص، ص: 1234، 1305.

[579]ـ **الأجهوري**: هو على بن محمد بن عبد الرحمن الاجهوري، المصري، المالكي، عالم وأديب، مشارك في الفقه، والكلام، والحديث ومصطلحه، والسيرة النبوية، والمنطق، وغيرها.ولد بمصر سنة 967هـ/1560م، وتوفي بها مستهل جمادى الاولى من سنة 1066 هـ/ 1656م، ومن تصانيفه الكثيرة: مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، شرح على منظومته في العقائد، شرح الفية الوافي في مصطلح الحديث في مجلدين وسماه فتح الباقي، شرح التهذيب للتفتازاني في المنطق، وشرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية للعراقي. ينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص: 164.

[580]ـ **شهاب الدين الخفاجي**: هو أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة، الملقب بـ شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، توفي سنة 1069هـ تاركا وراءه عدة مؤلفات منها: " الريحانة..". ينظر، محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ج2، ص: 210.

[581]ـ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 295.

[582]ـ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص ص:261ـ263.

[583]ـ **تاج الدين المالكي**: هو القاضي تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد، أخذ عن كبار شيوخ عصره كالعلامة عبد القادر الطبرين وعبد الملك العصامي، وغيرهم، تصدر للتدريس والخطابة بالمسجد الحرام، من مؤلفاته رسالة في شرح قصيدة لعفيف التلمساني. ينظر، المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص ص: 457ـ464.

والإمام زين العابدين الطبري[584]، وله مؤلفات منها[585]: مقاليد الأسانيد، وفهرست البابلي، وكتر الرواة.

ومن الفقهاء الجزائريين الذين اشتهروا في الخارج، محمد بن السعيد الهبري، ولد بمستغانم في القرن الحادي عشر الهجرين رحل إلى المغرب وتونس وطرابلس، أدركته المنية بطرابلس سنة 1093هـ/1683م، له أجوبة ورسائل ونصائح[586].

وكذلك العالم محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف بالمنور التلمساني، وهو من فقهاء المالكية، ومحدث كبير وأديب، ولد بتلمسان ونشأ بها، أخذ الفقه عن شيخه مصطفى الرماصي، ثم رحل إلى المشرق، فأخذ عن كثير من علمائه: أحمد بن عبد الفتاح الشافعي الملوي[587]، محمد المسناوي[588]، وغيرهما،ثم تولى التدريس بالجامع الأزهر، وأخذ عنه أعلام

---

[584]ـــ **زين العابدين الطبري**: هو علي بن عبد القادر الطبري الحسني المكي الشافعي، من مؤلفاته " التاريخ المسمى بالأرج المسكي والتاريخ المكي". ينظر، المحبي، المصدر السابق، ج3، ص ص: 161ـــ 166.

[585]ـــ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج3، ص ص:169ـــ 172.

[586]ـــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص:310.

[587]ـــ **أحمد بن عبد الفتاح الشافعي الملوي**: هو أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الشافعي الأزهري، الشهري بالملوي (1088 ـــ 1181هـــ/1677 ـــ1767م)، قرأ على العديد من علماء المالكية والشافعية والحنفية بالأزهر، منهم: أحمد بن الفقيه، والشهاب الخليفي وغيرهما، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين في سنة 1122هـــ، وأخذ عن عدة شيوخ وأجازوه، له عدة مؤلفات منها: شرح على الياسمينية، وشرحان على السمرقندية في البلاغة، وغيرها. ينظر، الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص:234.

[588]ـــ **محمد المسناوي**: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، وخاتمة المحقيقين، وقدوة الموفقين، شيخ الجماعة، وعمدة المفتين، أخذ العلم عن أعلام منهم: والده، محمد المرابط، عبد القادر الفاسي، وعبد السلام القادري، وأخيه العربي، وأبي عبد الله القسنطيني، وأبو العباس أحمد بن الحاج، وغيرهم، وأخذ عنه طلبة كثيرون، منهم: محمد الشرقي، محمد جسوس، محمد اليفريني، ومحمد العلمي، وغيرهم، كان مولده في سنة 1072هـــ/ 1662م، ووفاته في عام 1136هـــ/ 1724م. ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 333.

منهم: محمد بن عبد الرحمن الأزهري، أحمد بن عمار[589]، الحافظ محمد المرتضى الزبيدي[590]، عبد القادر المشرفي وغيرهم، توفي يوم 12 شوال سنة 1173هـ/1760م[591] .

وهناك علماء كثر اشتهروا في الخارج بعلمهم، فمنهم من تقلد المناصب مثل الافتاء، والقضاء، والتدريس، في المشرق العربي وفي مغربه[592].

2 ـ العلماء غير الجزائريين:

لقد توافد على الجزائر علماء جاؤوا من المشرق ومن المغرب الأقصى، لأغراض مختلفة، فمنهم من كان هدفه الوظيفة، وكسب المال، أو من كان مارا على الجزائر، فالتقى به الجزائريون، وكانت بينهم أسئلة وأجوبة في أمور الدّين، ومن العلماء الذين قصدوا الجزائر من المشرق، أؤلئك الذين أُرسلوا إليها خدمة للمذهب الحنفي، فاستقروا بها، وأصبحت المناصب الدّينية تخصّ بعض هذه العائلات.

ومن العلماء الذين استوطنوا الجزائر، علي بن عبد الواحد الأنصاري[593]، الفقيه المغربي الذي استقر بمدينة الجزائر، لإفادة العلم، فتتلمذ عليه طلبة كثر/ منهم: يحي الشاوي، عمر المانجلاني، وعيسى الثعالبي، إلى أن توفي شهيدا بالطاعون عام 1057هـ/1646م[594].

---

[589]ـ **أحمد بن عمار**: هو الفقيه أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، اشتغل بالحديث والتاريخ، ولد ونشأ بمدينة الجزائر، وولي الإفتاء بها. ينظر، عادل نويهض، االمرجع السابق، ص: 101.

[590]ـ **الحافظ محمد المرتضى الزبيدي**: هو أو الفيض محمد بن محمد العلوي، الزبيدي النسب (1145ـ 1205هـ/ 1732 ـ1791م)، نشأ في بلاد الهند، ثم رحل في طلب العلم، وفي سنة 1167هـ دخل مصر، وقرأ على مشايخها، وعرف بحرصه الشديد على جمع الأسانيد، وتخاريج الأحاديث، من مؤلفاته: " ألفية السند"، وكتاب" تاج العروس". ينظر، الجبرتي عبد الرحمن المصدر السابق، ج2، صص:73ـ 79.

[591]ـ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص:327.

[592]ـ للاطلاع على العلماء الجزائريين الذين هجروا وطنهم، ينظر، عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص ص: 293ـ 324.

[593]ـ **علي بن عبد الواحد الأنصاري**: هو علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله، أو الحسن الأنصاري السلجماسي، ولد بتافيلالت ونشأ بسلجماسة، ثم رحل إلى فاس، وأدرك بها جلة العلماء فأخذ عنهم بها عدة علوم، وكان جل أخذه عن عبد

وكذلك الفقيه فتح الله، الذي ولد بالشام ثم رحل إلى مصر ثم إلى الجزائر، واستقر في قسنطينة، حيث أقام بها، ودرّس بها الفقه والحديث واللغة، وكذا علم الفلك، بمدرسة جامع الغزل، كما تولى الإفتاء لمدة عامين، ثم منصب القضاء على المذهب الحنفي.

وأمّا العلماء الذّين اتخذوا الجزائر ممرا لهم في طريقهم للحج، الفقيه المغربي أبوسالم العياشي[595] برحلته نحو المشرق العربي لأداء فريضة الحج، وعند عبوره أرض الجزائر، استغل أهل المدن الجزائرية التي كان ركب العياشي يمر بها، فطرحوا عليه جملة من الأسئلة الفقهية، ولحسن الحظ أن صاحب الرحلة قد سجل بعضها في رحلته، ومنها على سبيل المثال، أنه لما مر بورقلة[596]، سئل من طرف رجل اسمه محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر سؤالين :أحدهما نازلة في الأحباس، ونازلة أخرى في البيوع[597].

كما اتصل بعض الطلبة بالعياشي وسألوه عن رجل نشزت امرأته عنه، فطلقها، ثم اشهد عليها شهودا يسترعيهم، ويقول لهم: اشهدوا أني ما طلقت امرأتي إلاّ كي أكسر من سورتها وشدتها، فمتى أرادت التزوج استظهر بذلك، الرسم، فلا يتزوجها أحد حتى ترجع

الله بن علي السلجماسي، ومحمد بن أبي بكر الدلائي الصنهاجي، وأحمد بن محمد المقري التلمساني، ....حج ودخل مصر سنة 1043هـ/1634م،له مؤلفات كثيرة منها: " شرح النخبة لابن عاصم"، " المنح الإحساسية في الأجوبة التلمسانية" . ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 308.

[594]ـــ عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص: 190. وينظر، عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع نفسه، ص:241.

[595]ـــ **العياشي:** هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى الملقب بعفيف الدين، ينتمي إلى قبيلة آيت عياش بسجلماسة، ولد في آخر ليلة من شهر شعبان من سنة 1037هـ الموافق لـ 04 ماي 1628م، تلقى تعاليمه الأولى بزاوية قريته ـــ الزاوية العياشية ـــ ثم ارتحل إلى المشرق، فتلقى مشايخ أجازوه بها، كما تصدى للتدريس في المدينة المنورة، توفي بالطاعون يوم الجمعة 18 دي القعدة عام 1090هـ/ 1679م، تاركا وراءه عدة مؤلفات، منها: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، واتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، وغيرها من الكتب التي تركها العياشي. ينظر، مقدمة الرحلة، العياشي، المصدر السابق،ج1، ص ص: 29 ـ31.

[596]ـــ **ورقلة:** هي مدينة أزلية بناها النورمانديون بين إفريقية وبين بلاد الجريد، ضابرة في في البر، كثيرة النخل والخيرات. ينظر، الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ص: 29. وينظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص:920.

[597]ـــ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر نفسه، ص ص: 81ـ82.

إليه، وأخبر هؤلاء الطلبة العياشي أن حكامهم يحكمون بصحة هذا العمل، وهي عادة عند أهل البلد، ولكن صاحب الرحلة تحفظ على ذلك، إلاّ أن يكون الزوج لم يصدر من طلاق، ويأمر من يشيع عند الناس أنها مطلقة، ويستحفظ عند الشهود أن ما شاع لا أصل له، وهي حيلة من الحيل الفقهية[598].

ولما وصل العياشي تقرت سُئل ثلاث أسئلة فقهية، في شكل أبيات شعرية، فالسؤال الأول يتعلق بصلاة الرجل على بساط رخوي لا صلابة فيه، وكانت الإجابة بالمنع، أما السؤال الثاني فكان متعلقا برجل رأى النبي صلي الله عليه وسلم في منامه،وأمره بفعل، فهل الإتيان بهذا الفعل من باب الأمر، واجب تنفيذه أم ماذا؟ فأجابه العياشي على هذه النازلة: أنه إذا وافق أمره صلى الله عليه وسلم شريعته، فذلك أحرى باللزوم، وإن خالف المنصوص فهومؤل، وتأويله بالعلم يُدرى وبالكشف[599]، والسؤال الأخير، في الرجل الذي ينوي الإقامة بأرض، ثم يبدو له أنه لا يمكنه البقاء فيها، فهل يقصر في الصلاة أم يُتم لأنه مقيم؟ فرد العياشي أنه يتم إلا أن يريد السفر[600].

هذه بعض الأمثلة التي ذكرت في رحلة العياشي عن استفتاء الجزائريين خلال العهد العثماني ، ولكن المفتي لم يكن جزائريا مقيما بينهم، بل عابر سبيل، شأنه شأن أبي العباس الهلالي السلجماسي[601] الذي قام برحلة إلى المشرق سنة1114هـ/1702م بنيّة الحج، وقام

---

[598]ـ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر نفسه، ص: 84.

[599]ـ للمزيد عن إجابة العياشي على هذا السؤال. ينظر، أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق،ج1، ص ص: 86ـ105.

[600]ـ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر نفسه، ص ص: 85ـ86.

[601]ـ **ابو العباس الهلالي السلجماسي**: هو أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد السلجماسي، الشهير بالهلالي، كنيته أبو العباس، ولد بسلجماسة عام 1114هـ، تلقى تعليمة الإبتدائي على شيوخ بلدته، أمثال: أبو العباس أحمد الحبيب بن محمد اللمطي، وأحمد بن أبي القاسم السلجماسي، وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق، ولقي بها العلماء، منهم: محمد بن الطيب بن محمد الشرقي الصميلي، أبو عبد الله محمد بن محمد البليدي، أبو حامد التلمساني، وغيرهم ممن أخذ عنهم،كما تخرج علي يديه جماعة من الطلبة، توفي بسلجماسة يوم 21 ربيع الأول من سنة 1175هـ الموافق لـ: 10 أكتوبر 1761م، تاركا وراءه مجموعة من المؤلفات في شتى العلوم والفنون.ينظر، أبو العباس الهلالي السلجماسي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة

بتسجيلها تحت اسم:" التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام"، وقد ذكر فيها أهم الأماكن، التي مرّ بها ركب الحجيج، كما رصد فيها بعض الأسئلة التي كانت تُوجه إليه، من طرف سكان المناطق، التي كان يمر بها هذا الركب. ومن هذه الأسئلة:

لما كان الركب بمدينة بوسمغون سُئل أبا العباس:" من اشترى شيئا شراء فاسدا، فمات المشتري، فهل موته مفيت للفاسد لدخوله في قول المصنف، وخروج عن يد، أم غير مفيت؟" و لم يجبه المفتي على هذه المسألة، بحجة أنه لم تحضره الإجابة الأن[602].

كما سُئل "عن قوم اشتركوا في جمل وحوائج وزاد، فجاء أحدهم بالجمل والآخر بالحوائج وآخر بالزاد، و لم يقوّموا ما أخرجوا، واشتركوا على التساوي"، فأجاب صاحب هذه الرحلة بجواز الشركة المذكورة، واعتبرها معاوضة لأنه لا يشترط فيها تقويم، وإنما يشترط فيه معرفة أعيان العروض لا معرفة قيمتها[603].

وفي نواحي منطقة الغاسول[604]، لما نزل الحجيج يشترون ما يحتاجونه من الزّاد، فممّا عُرض عليهم عُشبة تسمى " تبغى"، وهنا سُئل ابو العباس الهلالي السلجماسي عن هذه العُشبة، هل تجوز التجارة فيها؟ وقد ذكر المفتي أن حكم التجارة بهذه العشبة ينبني على حكم استعمالها، وبيّن اختلاف الفقهاء بين المنع والجواز، وختم قوله بقول أبي سالم العياشي: أكثر العلماء قالوا بتحريمه وهو الصحيح لما اشتمل عليه من المفاسد، ولا منفعة فيه أصلا، كما اتفق أرباب القلوب شرقا وغرابا على التنفير منه وكراهته[605].وسُئل عن البارود أطاهر هو أم

والسلام، رحلة أبي العباس الهلالي السلجماسي، دراسة وتحقيق: محمد بوزيان بن علي، مطبعة الجسور، المغرب، ط1، 2012، ص ص: 15 ــ52.

[602]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر السابق، ص: 130.

[603]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر نفسه، ص: 134.

[604]ــ **الغاسول**: إحدى بلديات ولاية البيض، تبعد عنها نحو الجنوب بــ 60 كم. ينظر، أبو العباس السلجماسي، المصدر السابق، ص: 135.

[605]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر نفسه، ص: 138.

نجس؟ وكان الجواب بطهارة البارود مادام أنه يصنع من الملح الذي يطبخ بالماء طبخا ناعما[606].

وسؤال في علم التفسير متعلق تفسير المفسرين قوله تعالى :"...يُهرعون.." بيسرعون، فقال: يُهرعون مبني للمفعول، ويسرعون مبني للفاعل، فكيف يصح تفسير أحدهما بالأخر؟، وكانت إجابة أبي العباس الهلالي، على الشكل التالي: "...فأجبته بأنه تفسير باللازم إلى حاصل المعنى، وحقيقة يُهرعون: يحملون على الإسراع ويزعجون، والحامل على الإسراع والمزعج إليه لم يتعلق الغرض ببيانه، وإنما تعلق ببيان حالهم اللازمة عن ذلك، وهي إسراعهم، فلذا فسر به بعضهم..."[607]

كما سُئل عن من نذر بصوم عام لأجل ألاّ يفعل شيئا، ثم يأتيه، هل يلزمه الصوم أم لا؟ فأجاب بلزوم الصوم، وإن لم يُصرح بلفظ " علي" فهو مقصوده، ثم قال:" أن مشهور المذهب أن الحالف بالصوم أو غيره من الطاعات يلزمه ما حلف به، وإن لم يقصد به القربة، وإنما قصد الامتناع من الفعل، وقيل: يجزيه عن فعل ما حلف به كفارة يمين بالله، لعدم قصد القربة، فعليه ما على الحانث في اليمين باسم الله تعالى، ورجحه بعض الأئمة"[608].

هذا بالنسبة للاستفتاء الجزائريين لعلماء المغرب الذين مرّ على بلدهم، قاصدين بيت الله الحرام، لتأدية مناسك الحج، فاستغلوا وجود العلماء بينهم، فسألوهم عن دينهم، وعن كل ما أمر ديني أو دنياوي، و من جهة أخرى استجاب العلماء لرغبتهم، وأفتوهم في ما سألوا عنه، و لم يبخلوا بما علّمهم الله.

وهناك فئة أخرى في المجتمع الجزائري لها خصوصياته الفقهية، والمذهبية، لها تنظيماتها الاجتماعية والثقافية، وهم بني ميزاب، الذين استقروا في بعض المدن الصحراوية بالجزائر،

---

[606]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر نفسه، ص:140.

[607]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر السابق، ص:161.

[608]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر نفسه، ص:162.

فلهم نظامهم الخاص في الإفتاء، علما أن الدولة العثمانية لم تستطع أن تفرض عليهم أيّ نظام، ما عدى دفع الضرائب، كعربون تابعيتهم للسلطة العثمانية.

ج ــ الإفتاء عند الميزابيين:

تضمّ بلاد الميزابين سبعة مدن[609]: غرداية[610]، بني يزقن[611]، بونورة[612]، العطف[613]، برّيان[614] والقرارة[615]، ومليكة[616]، وكل قبيلة تدبّر شؤونها، وكانت كل قرية تحكم نفسها،

---

[609]ــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية،1427هــ/2006م، ص:03.

[610]ــ **غرداية:** معناها الأرض المستصلحة الواقعة على ضفة مجرى الوادي، أسّست عام 477هــ/ 1085م، على جبيل منقطع عن باقي الهضبة، وقيل إنّ تغردايت هي تصغير لكلمة أغرداي الذي هو الجبل. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 17.

[611] ــ **بني يزقن:**أسّست عام 720هــ/ 1312م، يقال أن اسم هذه المدينة مأخوذ من اسم القبيلة البربرية "إزقن" المنتشرة جنوب قسنطينة، مركزها الحالي مليلة. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 17.

[612]ــ **بنورة:** أسّست عام 457هــ/ 1065م على جبل منقطع عن باقي الهضبة، وبنور اسم قبيلة بربرية. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 16.

[613]ــ **العطف:** هي من أقدم المدن الميزابية الحالية تأسيسا، أنشأها خليفة بن أبغور عام 402هــ/1012م، بها محاجر الجبس. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 16.

[614]ــ **بريان:** تبعد بريّان عن غرداية بنحو أربعين كيلومتر شمالا، تمتاز بمنسوجاتها الصوفية البيضاء، وبفلاحتها للأرض، التي ساعدها موقعها الطبيعي الخصب، فهي قرب ملتقى واديين: وادي السودان ووادي بالوح. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص:78.

[615]ــ **القرارة:** تقع القرارة على بعد تسعين كيلومتر في الشمال الشرقي لغرداية، وتبعد عن تقرت بنحو 180كلم، موقعها على طريق القوافل التجارية، لها واحة مزدهرة يسقيها واد زقرير، أقاموا عليه سدّا في عهد المقدم الناصر بن كاسي سنة 1122هــ/1710م. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، صص:77 ــ78.

[616]ــ **مليكة:** هي آخر المدن الميزابية تأسيسا، سنة 756هــ/1355م، أخذت اسمها من اسم القبيلة الأمازيغية مليكشمنتشرة في الشرق الجزائري. ينظر، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 18.

بواسطة مجلس ينتخبه أعيانها، لتدبير أمور القرية المختلفة، وسنّ القوانين، وتنظيم المجتمع الميزابي، وفضّ الخصومات[617].

لقد كان الميزابيون شبه مستقلين عن الدولة العثمانية، في تسيير أمورهم الإجتماعية والإقتصادية والثقافية، وكان ولاءهم للسلطة العثمانية يتمثل في دفع الضريبة[618]، ومشاركتهم في الجهاد، وفي صدّ هجمات الأعداء، كما أنهم شاركوا حكام الجزائر في إخماد الثورات التي كانت تقام ضدهم،وكان المذهب الإباضي خاص بهم، وتنظيمات تُسيّر حياتهم الجماعية، مثل مجلس العزابة ومجلس عمي سعيد، وكان ا الإفتاء عندهم من اختصاص هاتين الهيئتين.

1 ـــ مجلس العزابة[619]:

هو هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا. تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإبّاضي الدّينية، والتعليمية، والاجتماعية، والسيّاسية والاقتصادية[620].

ويعتبر مجلس العزّابة الهيئة العليا في المدينة على الإطلاق، والهيئة الشرعية الحاكمة، في كل ما يتعلق بالدّين والسيّاسة، تصدر أوامرها حسب كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال المجتهدين في المذهب الإباضي. وكان أوّل استعمال لهذه التسمية في عصر الفقيه أبي عبد الله محمد بن بكر[621] (345ـــ440هـــ/956 ـــ 1048م)، الذي أسّس

---

[617]ـــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص: 12ـــ13.

[618]ـــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 68.

[619]ـــ للمزيد عن عزابة ونشأتها وتطورها، ينظر، صالح بن عمر أسماوي، المرجع السابق، ج1، ص ـــ ص: 288 ـــ 380.

[620]ـــ حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م إلى 1962، ج1، دار الكروان، باريس، 1984، ص ص: 155 ـــ 156.

[621]ـــ **أبو عبد الله محمد بن بكر:** أحد أقطاب الإباضية في المغرب، ومن أبرز المصلحين الاجتماعيينن ولد سنة 345هـــ/956م، بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، تلقى تعليمه على يد علماء كل من القيروان وجربة والحامة، كان له شرف تأسيس نظام حلقة العزّابة، سنة 409هـــ/ 1018م، تخرج على يده العديد من العلماء منهم: إبنا زكرياء يونس وزكرياء، ويعقوب بن يعدل وغيرهم، كانت وفاته سنة 440هـــ/1049م. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص: 370.

نظام العزّابة، ووضع له القوانين سنة 409هـ/1018م[622]، وكان الهدف الوحيد من هذا النظام هو الدعوة إلى المذهب الإباضي، وتطبيق مبادئه ميدانيا، ولم يكن يرمي إلى إخضاع المجتمع الإباضي لحلقته[623].

لقد كانت مهمة الحلقة في بداية عهدها هيئة تربوية تعليمية، بعيدة عن السّلطة والسياسة، فلم يكن لها مقر دائم، فكانت تعقد حلقات هذه الهيئة بغار في تين يسلي ـــ بلدة اعمر حاليا ـــ وسُمي هذا الغار بـــ " الغار التسعي"[624]،ولم تقام في المساجد، إلاّ في النصف الأول من القرن السادس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي، وأول من اتخذ المسجد مقرا لهذه الهيئة هو أبو زيد عبد الرحمن بن المعلي[625]، الذي نظّم حلقة العزّابة في إحدى مساجد تقرت[626].

وخلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي زمن أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني[627]، الذي ساهم مساهم كبيرة في تطوير هذه الحلقة، حتى أصبحت لها مهام قيادية في مجتمع المدينة الميزابية، فهي تقوم مقام السلطة العليا في البلاد،فهي التي تحكم بين

622ــ مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296 ــ 442هـ/909 ــ 1058م) المطبعة العربية، غرداية، نشر جمعية التراث، القرارة، 1417هـ/1996م، ص: 196.

623ــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص: 25.

624ــ محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص: 369.

625ــ **أبو زيد عبد الرحمن بن المعلي**: من مشايخ أريغ، كان شيخا عالما، أخذ عنه العلم كثير من الطلبة، يعتبر المؤسس الأول لحلقة العزّابة في بمسجد أريغ. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع نفسه، ص: 246.

626ــ عوض محمد خلفيات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية، عمان، 1982، ص:32.

627ــ **أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني**: من أشهر علماء وارجلان، خلال القرن السادس الهجري، تتلمذ على مشايخ منهم: أبي زكريا يحي بن زكريا، وأبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي، ثم ارتحل إلى تونس لاستكمال معارفه، وبقي بها سنيني عديدة، ثمّ رجع إلى وطنه، وتصدى لإحياء الدين بحلقات العلم، فقصده الطلبة من مختلف مواطن الإباضية بالمغرب، منهم: أبو يحي إسماعيل بن يحي، وسليمان بن محمد بن إسحاق، وغيرهما، كما ترك العديد من المؤلفات، منها: " كتاب الموجز" و" كتاب شرح الجهالات للملشوطي". ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع نفسه، ص: 258.

المتخاصمين، وتنظم الأسواق، وتتكفل بمراقبة السلع، وتحديد الأسعار وغيرها من وظائف هذه الهيئة[628].

أ ـــ شروط العضوية في مجلس العزابة:

وضع أبو عبد الله محمد بن بكر شروطا، للإرتقاء إلى هيئة العزابة، حيث يشترط في العزابي أن يكون أديبا، مشمرا في طلب العلم، لا يكثر دخول الأسواق، والقعود في الجماعات،كما يشترط فيه كذلك أن يكون حافظا للقرآن الكريم، وأن يكون تلميذا من التلاميذ قد تعلم الآداب الإسلامية والسير منذ مدة[629].

ومجلس العزابة يتركب غالبا من اثني عشر عضوا، وقد يزيد العدد لتزايد المهام، كزيادة المحاضر والمساجد ليصل إلى أربعة عشر عضوا أو أكثر، ولكل عضو في الهيئة خليفة، يكون مرشحا لتولي المهمة، في حالة غيابه، أو موته أو البراءة منه. له حق اختيار أعضائه، بدون أدنى مداخلة، لمن عداه في ذلك. ويختار من كل عشيرة في المدينة قدر ما ينوبها من الرجال، ويتحرى في اختيارهم أعلم، وأورع، وأصلح من في العشيرة، بشرط أن يكون متخرجا من دار التلاميذ، إلا أذا لم يوجد مثله في العشيرة، فإنه يختار من أصحاب المحاضر لا سواهم[630].

---

[628]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص،ص: 26، 28.

[629]ـــ عمر سليمان بن حمو سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان ورقلة من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراتة، منشورات مديرية الثقافة لولاية ورقلة، دت، صص: 54ـــ55.

[630]ـــ مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296 ـــ 442هـــ/909 ـــ 1058م) المطبعة العربية، غرداية، نشر جمعية التراث، القرارة، 1417هـــ/1996م، ص: 205.

ويختار من بين أعضاء المجلس شيخ البلد، وهو مرجع الفتوى، والإمام، والمؤذن، وناظر الأوقاف ومؤدب الصبيان، وغسلة الأموات، وكل حسب مؤهلاته العلمية، وقدرته البدنية من بينهم. وتُوزع المهام في هذا المجلس على الشكل التالي[631]:

1ـــ شيخ الحلقة (وهو أكبر المناصب في نظام العزابة)

2ـــ إمام الصلاة

3ـــ المؤذن

4ـــ ثلاثة أعضاء يقرئون التلاميذ

5ـــ أربعة أو خمسة أعضاء يغسلون الموتى

6ـــ وكيل للمسجد

7ـــ قاضي البلد.

ب ـــ مقر هيئة العزّابة:

أمّا عن اجتماعات هذه الهيئة، فإن العزّابة يعقدونها في إحدى زوايا المسجد المخصصة للعبادة وقراءة القرآن، كما خُصصت لهم دار بجانب المسجد، يعقدون فيها هي الأخرى الإجتماعات، ولا يسمح لأحد من خارج الهيئة بحضورها، بل حتى دخولها، ذلك أن المجلس يحتفظ بكل وثائقه، وقراراته في هذه الدّار، ويسمى هذا المكان باسم " تمنايت"، ويعني مكان الفرسان ويقصد به فرسان الدّين[632].

---

[631]ـــ مسعود مزهودي، المرجع نفسه، ص: 207. وينظر، سامية مقري، التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296 ـــ 409هـــ/909 ـــ 1018م)، مذكرة ما جستير، إشراف: أ.د. مجاني بوبة، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1426ـــ1427هـــ/ 2005 ـــ2006م، ص ص: 71ـــ 74.

[632]ـــ مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص: 208.

ج ــ مهام مجلس عزّابة[633]:

يشرف على المجتمع الإباضي إشرافا تاما، في مختلف شؤون الحياة، فهو الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، وهو القاضي الذي ينصف المظلوم، ويدافع عن حقه، وهو الذي يقوم بإصدار الأحكام في المشاكل التي تقع بين الناس[634]، فدور هذا المجلس هو الاشراف الروحي على المجتمع الميزابي بالدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[635]، وأحيانا يوحد الرؤى والقرارات في المسائل المصيرية، والقضايا المشتركة بين القرى، والبثّ في النوازل الفقهية المستجدة[636].

د ــ شيخ الحلقة:

يعتبر شيخ الحلقة قمة الهرم، في نظام العزّابة، لذلك يجب أن يستشيره الناس، وكذلك المجلس في كل كبيرة وصغيرة، ومهامه ترتيب أهل الحل والعقد، حيث يقوم بتعيين إمام الصلاة والمؤذن، وبقية الأعضاء، ويشرف على شؤون الحلقة، وله مسؤولية دينية كبيرة، باعتباره المرشد، والواعظ للعامة، كما يقوم بدور ثقافي بارز حيث يعلم الطلبة[637].

ولكل مدينة من المدن السبع بوادي ميزاب مجلس للعزّابة، ومن المجالس السّبع ينتخب المجلس التشريعي، وهو مجلس سعيد الجربي[638]، تتوفر في أعضائه النزاهة، والكفاءة العلمية، وقوة الشخصية.

633ــ سيُذكر مهام مجلس العزابة مع دور المفتي في الفصل الخامس من هذا البحث.

634ــ مسعود مزهودي، المرجع نفسه، ص: 195.

635ــ بشير بن موسى الحاج موسى، ملامح عن الحياة الاجتماعية بواد ميزاب في القرن 13هــ من خلال نوازل عمر بن يوسف بن عدون اليسجني، أعمال الملتقى الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ــ13هــ/18ــ19م من خلال المصادر المحلية، المنعقد يومي: 24ــ25 جانفي 2012 بالمركز الجامعي بالوادي، ص: 73.

636ــ إبراهيم بن عبد الرحمن الثميني اليسجيني، ديوان ابن بحمان، دراسة وتحقيق: يحي بن بهون حاج امحمد، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص: 17.

637ــ مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص ص:209 ــ 210.

638ــ **سعيد ابن علي بن بوحميدة بن عبد الرزاق بن سعيد الجربي المشهور بعمي سعيد:** المتوفي سنة 898هــ/1492م ولد في قرية أجيم، بجزيرة جربة بتونس، وبها نشأ، وأخذ العلم عن أبي النجاة يونس بن سعيد بن يحي الجربي، وأبي بكر بن عيسى

2 ــ مجلس "عمي سعيد"[639]:

يُنسب إلى سعيد بن علي بن يحي بن يدر بن سليمان بن عثمان الجربي المتوفي سنة 898هـ/ 1492م، وهو مجلس يضمّ قضاة وعلماء يرأسهم أحد العلماء الأفذاذ[640]، وهو المجلس الأعلى لبني ميزاب، "...يضع القوانين والأحكام في الجرائم والجنيات والمعاملات، كما يضع اللوائح الدّاخلية التي تخصّ حياة البلاد العامة،...ورئيس هذا المجلس يسمى شيخ واد مزاب، تنتخبه عزابة القرى من بينهم، ويتم تتويجه في اجتماع عام للعزّابة، يلبسونه عمامة بيضاء معهودة، ....يتولى قيادة الأمة فيما إذا نزل بساحتها عدو،.... وهو الذي يعلن الاتفاقات التي صدرت عن المجلس، وليس له أن يصدر أمرا إلى جميع سكان الوادي دون الرجوع إلى انعقاد المجلس، واتخاذ القرار فيه"[641].

أما تاريخ إنشاء هذا المجلس فيبقى مجهولا، ليس سعيد بن علي الجربي هو الذي أسس هذا المجلس بدليل أن هناك قرارت له سبقت عهده[642]، فوُجد أقدم قرار له يحمل تاريخ أوّل رجب 807هـ/1405م، الذي انعقد في مسجد الشيخ باعبد الرّحمن الكرتي[643]، ثم أخذ

الباروني، ولّما تفشى الجهل بوادي ميزاب، بعث أهله إلى مقدم جماعة علي بن حميدة وفدا يطلبون منه إرسال أحد تلامذته ليحي العلم والدين بالوادي، فقدم سعيد بن علي إليهم سنة 854هـ/1450م وهو ابن ثماني عشرة سنة، رفقة بلحاج محمد بن سعيد، والفقيه دحمان، من أعماله: تأسيس مجلس للفتوى سنة 855هـ/1450م، ثم أصبح يعرف هذا المجلس باسمه، له عدة تآليف، منها: منظومة في الفقه، وهي عبارة عن سؤال على شطل قصيدة لبعض فقهاء غير الإباضية. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص: 182.

[639] ــ حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص: 164.

[640] ــ عمر إسماعيل آل حكيم، الإمام ضياء الدين عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه: معالم الدين في الفلسفة، وأصول الدين، نشر جمعية التراث، ط1، 1428هـ/2007م، ص: 62.

[641] ــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص: 58ــ 59.

[642] ــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 58.

[643] ــ **عبد الرحمن الكرتي**: هو عبد الرحمن الكرتي المصعبي الشهير بــ با عبد الرحمن، من علماء بني ميزاب في القرن السادس الهجري، كان ينشط بمنطقة مليكة مدينة من مدن وادي ميزاب، له مصلى في في هذه المدينة يعقد فيه جلسات مجلس عمي سعيد، كما كانت تقام فيه المؤتمرات الدينية النسوية. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص: 245.

يتجول حسب الظروف، فأحيانا ينعقد في المسجد السابق، وأحيانا في مسجد الشيخ أبي مهدي عيسى وأحيانا أخرى في مسجد "الشيخ عمي سعيد"[644].

تشبه هذه الهيئة المجلس العلمي الذي يعقد جلساته كل خميس بالجامع الأعظم، فهي هيئة تشريعية، ومجلس للإستئناف، يتركب أعضاؤه من قضاة البلاد، وعلمائها الأفذاذ، يتولى رئاسته أحد العلماء المبرزين، تعقد جلساته على رأس كل ثلاثة أشهر، في مسجد سعيد بن علي بن بوحميدة بن عبد الرزاق بن سعيد الجربي، وتارة في مسجد الشيخ أبي عبد الرحمن الكرثي، وإذا حزّ بالمجلس أمر طارئ مستعجل، فجلساته لا تتقيد بزمن.

وأعضاء الهيئتين السابقتين المنتخبون من الصلحاء، من علماء الأمة وقادتها، يحتسبون أعمالهم خالصة لوجه الله الكريم، في تفان وأمانة، وإخلاص، لا يتقاضون أجرا من حكومة على صلاة، أو أذان، أو فتوى، أو وعظ، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ولا يلتمسون إعانة مادية من الشعب، ولا يرجون محمدة، أو ثناء من أحد.

وجاء هذا الاستقلال في الإفتاء عند بني ميزاب، بعيدا عن تدخل السلطة، نتيجة الاتفاق الذي وقع بينهم وبين صالح باي، بعد أن أخضع هذا الأخير جهات الجنوب الجزائري، على أن تبقى ميزاب حرة، مستقلة في داخليتها، كما كانت على عهد خير الدين[645].

ومن أشهر العلماء الإباضيين الذين كان لهم شرف تولي رئاسة هاتين الهيئتين: أبوبكر بن داود[646]، الذي كان مربيا، وواعظا بمسجد مدينة العطف، ثمّ قدّمه أهل هذه المدينة ممثلا

644ـــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص: 58.

645ـــ حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص: 228.

646ـــ **أبو بكر بن داود بن يوسف:** هو شيخ مدينة العطف بميزاب، تلقى علمه على يد والده الذي كان مدرسا وواعظا في المسجد، وبعد وفاة الوالد عيُن بإجماع مشايخ ميزاب خلفا له، وقدّمته مدينته ممثلا لها في مجلس عمي سعيد، فكان كاتبا له رغم صغر سنّه، ولهذا الفقيه مكاتبات مع علماء عمان ونفوسة. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص: 88.

لها في مجلس "عمي سعيد"، لمّا كان إبراهيم بن بحمان[647] رئيسا له، ثم حلف هذا الأخير بعد موته، كما عيّنه قومه ضمن اللّجنة، التي كلّفها المجلس لاتخاذ الموقف اللازم من قضية صالح باي قسنطينة، الذي أراد إلحاق ميزاب بولايته عام 1206هـ/1792م[648].

ومن علماء المذهب الإباضي في الجزائر العثمانية، الفقيه ضياء الدين عبد العزيز الثميني[649]، الذي تلقى تعليمه في بلاد ميزاب، ثم ارتحل إلى جربة لتكميل دراسته، ولّما أتمّ تكوينه العلمي بها، قفل راجعا إلى وطنه، فاشتغل بالتدريس، والتفّ حوله الطلبة من سائر بلاد ميزاب، وفي أيّامه كثرت البدع، واشتهرت عادات فاسدة بالنسبة للإباضيين،كعدم احتجاب المرأة من أحمائها، وتفشي ظاهرة الوشم بين الرجال والنساء، وتعاطي " الشمة" جهارا، وعدم توريث المرأة، وغيرها، وفي ظل هذه الظروف تولى هذا الفقيه مشيخة الهيئة العليا في بلاد

---

[647]ـــ **إبراهيم بن بيحمان :** هو إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسجيني، من علماء بني يسجن البارزين، أخذ العلم عن خاله عبد العزيز الثميني، وعن أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، كان يتنقل بين مدن وادي ميزاب يدعو الناس إلى العلم، ويحارب الجهل والبدع، كانت له صلات وثيقة بعلماء الجزائر والمغرب وعمان، كما كانت له مراسلات مع داي الجزائر الحسن الدولاتي، ترك الكثير من المؤلفات منها: تفسير بعض الآيات، مثل تفسير آيات النور من سورة النور، وسورة الفاتحة، وسورة العصر، وشرح مجموعة من الأحاديث، له كتاب سمّاه:" تلخيص عقائد الوهابية في نكتة توحيد خالق البرية "، وغيرها من الأعمال التي تركها هذا العالم. إبراهيم بن بيحمان الثميني، أصداف الدّر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، تحقيق وتعليق: إبراهيم محمد طلاي، دط، دت ، ص: 02، وينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع نفسه، ص: 13.

[648]ـــ محمد بن موسى وَ آخرون، المرجع نفسه، ص: 175.

[649]ـــ **ضياء الدين عبد العزيز الثميني:** هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني الملقب بـــ ضياء الدين، ولد سنة 1130هـ/ 1718م، وهو عالم من مدينة يسجن بميزاب، ولد بها، ونشأ، حفظ القرآن الكريم ببلدته ثم سافر إلى وارجلان ليدير أملاك والده،ولما بلغ من العمر ثلاثين رجع إلى ميزاب طالبا للعلم، فلازم أبا زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع، وفي سنة 1201هـ/1786م أُسندت إليه مهمة مشيخة مجلس العزّابة، فتفرغ للعمل الاجتماعي والاصلاحي، والمهام الدينية، كما اشتغل بالتدريس ايضا حيث تخرج على يده العالم إبراهم بن بيحمان، والفقيه يوسف بن حمو بن عدّون، له عدّة مؤلفات منها:" أرجوزة في الفلك ومنازل البروج" و" الأسرار النورانية" وهي مختصر شرح رائية أبي نصر في الصلاة، وكتاب " التاج على المنهاج" في ستة وعشرين جزء، وغيرها من الكتب التي تركها هذا المفتي. ينظر، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع نفسه، ص: 255.

ميزاب، مجلس عمي سعيد سنة 1201هـ/1787م، فقام بما أُسند إليه أفضل قيام[650]. فظلّ يكافح فساد مجتمعه، ويُقوِم اعوجاجه، ويعالج مشكاله، حتى أحيى السنن التي نبذوها وراء ظهورهم[651].

ونظرا للمكانة العلمية لهذا الفقيه كانت له مراسلات بينه وبين أهل عمان، فكانت ترد إليه أسئلة منهم، ويجيب عليها، كما كانت له مراسلات مع داي الجزائر، إذ هنّأه على على انتصاره على النصارى بوهران، ومدحه فيها[652].

2 ــ الإفتاء الحر والسلطة:

إذا كان للدولة العثمانية السبق في ترسيم منصب الإفتاء، وتدخلت في تعيّين من تراهم أهلا لهذا المنصب، فهل تركت للعلماء الذين لم يسعفهم الحظ في تولية هذا المنصب أحرارا في فتواهم، و لم تتدخل في منعهم؟

إن ما تذكره المصادر التاريخة[653] أن أصحاب الزواية وكذلك بعض شيوخ الطرق الصوفية، كانوا من المرشدون للعثمانيين في الجزائر، فهم الذين طلبوا منهم المجيء إليهم لمساعدتهم، في تحرير المدن الساحلية من المحتل الإسباني، وهم الذين طلبوا من خير الدين بربروس البقاء بينهم، حينما أراد الرجوع إلى بلدته الأصلية، بعد مقتل أخيه عروج في الغرب الجزائري سنة 924هـ/1518م، كما كان أيضا لبني ميزاب أيضا الدور في ترسيخ الحكم العثماني في الجزائر.

ومقابل هذه المساعدات التي أسدلها شيوخ الطرق الصوفية وبنو ميزاب في الجزائر، للحكام العثمانيين، وإيمان هؤلاء أن تسيير الجزائر لا يتم إلا عن طريق هؤلاء المشايخ الذين

---

[650] ــ محمد حسن المهدي، الإباضية: نشأتها وعقائدها، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011م، ص ص: 13ــ14.

[651] ــ محمد حسن المهدي، المرجع نفسه، ص: 11.

[652] ــ عمر إسماعيل، المرجع السابق، ص: 45.

[653] ــ مؤلف مجهول، خبر قدوم عروج وأخيه خير الدين ، ص و: 09. وينظر، عبد الله الأعرج السليماني، زهرة الشماريخ، ص: 193.

كان لهم أتباع كُثر، من أمثال أحمد بن يوسف الملياني، والشيخ الفكون وغيرهما، فقربوهم إليهم، وأغدقوا عليهم بالهدايا، وأوقفوا على زواياهم أوقافا، مثل أراضي زراعية، وبساتين، وغيرها من أضراب الأوقاف الأخرى، التي تدر على أصحابها بالعوائد المالية، إضافة إلى إعفائهم عن دفع الضرائب.

ولكن من خالف أمر السلطة العثمانية من شيوخ زوايا، أو شيوخ الطرق الصوفية، فإن القتل سيكون مصيره، مثلما كان الحال مع شيخ زاوية تنس: محمد بن علي المجاجي، الذي كانت له صلات مع العلماء، إذا كانوا يَستفتونه، وكانت الأسئلة تأتيه من المشرق ومن المغرب، كما كان محل احترام الناس له، وتقديره، فهذه المكانة التي كان يتمتع بها هذا الشيخ، سببت له مشاكل مع السلطة العثمانية، حيث تخوف منه باي مازونة، " ...فدبّر له مكيدة ،وقتله، فأرسل له من يستفتيه في أمر الزواج من زوجة أبيه التي عقد عليها أبوه ومات، و لم يدخل بها، ويروى أنه استفتى بعض العلماء ،فأجازوا له ذلك، لكن جواب محمد بن علي كان بالرفض: إنها أمك إنها أمك إنها أمك، فبعث له شبابا على أنهم طلاب علم، وفي منتصف الليل، وهو يتهجد دخلوا عليه، وذبحوه وفروا..."[654]، ولكن يروى أن الداي التركي بالجزائر أخذ بثار الولي الصالح فقتل الباي، والمنفذين للعملية سنة 1008هـ/1589م[655].

وفي إطار حملة الأتراك على الطريقة الدرقاوية، نهاية العهد التركي، ارتكب حسين باي وهران جرائم بشعة في حق العلماء، تركت أثرا بالغا لدى الناس عامة، والعلماء على الخصوص، إذ احمّرت يداه بالدماء، فكان كل من يشك فيه أنّه درقاويُ، كان مصيره التعذيب حتى الموت، فذهب جراء هذه الأعمال البشعة علماء أجلاء [656]من أمثال: والفقيه

---

[654]ـــ عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:342.

[655]ـــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع نفسه، ص ص: 342ـــ343.

[656]ـــ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 166. وينظر، مفلاح، أعلام من منطقة غليزان: سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864م، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص: 57ـــ 58.

ابن القندوز، وفرقان الفليتي[657]، وعبد الله بن الطيب بن حوا التيجيني[658]، وكان هذا الأخير شيخ الطريقة الدرقاوية بالغرب الجزائري، يُلقِن الورد الدرقاوي بوهران..."[659]، وكانت نهاية هؤلاء العلماء القتل[660] من طرف هذا الباي، وتسجل المصادر التاريخية[661] أيضا أن والد الأمير عبد القادر الشيخ محي الدين[662] وهو شيخ طريقة القادرية، قد فُرضت عليه الإقامة الجبرية في وهران سنة 1236هـ/1821م، وبقي تحت هذه الإقامة مدة أربع سنوات.

وهناك العديد من الفقهاء الذين كانوا يفتون للنّاس، ويبيّنون لهم أمور دينهم، ولم ينالوا المناصب من الدولة، كانت نهايتهم مختلفة، فمنهم من كانت الوفاة، أو الطاعون، أو قتل من طرف الحكام.

ولكن حياة المفتين بصفة عامة الرسميين والأحرار، تتميز عن باقي فئات المجتمع، فهم فئة مثقفة لهم دور كبير في مجتمعهم، فهم المفتون، والخطباء، والأئمة، ومسيرون للأوقاف. ومعرفة مكانة المفتي في مجتمعه، وبيان طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بالفئات الأخرى في المجتمع، ستكون في الفصل الموالي من هذا البحث.

---

[657]ـ **الفرقان الفليتي**: لم يُعثر على ترجمته إلاّ أنّه قتل من طرف الباي حسن بن موسى وذلك بوشاية محمود بن حواء، وكان قتله في شهر شعبان من سنة 1239هـ/أفريل 1824م. ينظر، الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص: 90.

[658]ـ **عبد الله بن الطيب بن حواء**: هو أبو محمد عبد الله بن الطيب بن حواء القدّاري التيجاني، وصفه المزاري بـ:" العلامة الكبير، والقدوة الشهير الجامع بين العلم والعمل، الشيخ الربّاني...". ينظر، الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص: 90.

[659]ـ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص:217.

[660]ـ السبب الذي دفع بالباي لقتل هؤلاء العلماء حسب الآغا المزاري، هو وشاية القاضي محمود بن حواء التيجيني، لدى الباي بأنهما يريدان القيام عليه كما قام ابن الشريف عليه من قبل، لينال هو سعده. ينظر، الآغا المزاري، المصدر نفسه، ص: 90.

[661]ـ الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص: 103.

[662]ـ **محي الدين** : هو محي الدين بن مصطفى، والد الأمير عبد القادر، ولد بواد الحمام عام 1190هـ/1776م، درس على أبيه، وعلى شيوخ معهد القيطنة، منهم الشيخ عبد القادر المشرفي، ورث على والده مشيخة الزاوية، وأصبح من علمائها وكثر عليه طلاب العلم، ومريدو الطريقة الصوفية، واشتهر بالصلاح وسداد الرأي، وغزارة العلم والمعرفة، بعد فع العقوبة عنه، زار عدة عواصم عربية منها: تونس ومصر والحجاز وبغداد، وخلال هذه المدة حجّ ثلاث مرات رفقة إبنه عبد القادر، ويوم احتلال مدينة وهران من طرف المحتل الفرنسي في يوم 04 جانفي 1831م، تزعم حركة الجهاد مع ابنه عبد القادر. توفي عام 1249هـ/1833م. ينظر، الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، صص:102 ـ 104 .

الفصل الرابع

مكانة المفتي في المجتمع

1 ـ واجبات المفتي

2 ـ حقوق المفتي

3 ـ علاقة المفتي بمحيطه

4 ـ المستوى المعيشي للمفتي

5 ـ المكانة العلمية للمفتي

تظهر مكانة المفتي في مجتمعه، من خلال الواجبات التي يقدمها، وكذا حقوقه المادية والمعنوية، كما تظهر أيضا في علاقاته مع أفراد مجتمعه، وأيضا في بيان المستوى المعييشي الذي يعيشه في بلاده ، وفي المكانة العلمية التي يتمتع بها.

1 ـــ الواجبات:

تنحصر واجبات المفتي في الجزائر العثمانية في شئين إثنين، هما: أداء مهمته مفتيا، يُجيب الناس عن أسئلتهم الدّينية، دون أن ينسى تقديم الولاء للسلطة.

أ ـــ أداء مهمة الإفتاء: يقوم المفتي بأداء مهمته المتمثلة في حل إشكالات الناس الدّينية، الذين يريدون معرفة موقع تصرافاتهم، وسلوكاتهم من الشرع الحنيف، فهل ما قام به المستفتي مطابق لشرع الله، أم مخالف له؟ فأداء هذه المهمة واجب شرعي، يمليه عليه الدّين الحنيف، لقوله تعالى:"إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللّاعنون "[663]، ولقول رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار "[664].

ولكن تأدية هذه المهمة غير مشروطة بمفتي رسمي أو غير رسمي، ولكن كل عالم تتوفر فيه الشروط التي ذُكرت في الفصل الأول من هذا البحث، فهو مؤهل للنظر في نوازل الناس، ولكن الدولة العثمانية، رسّمت منصب المفتي، وجعلته من وظائف الدولة يقوم بها وفق مرسوم مفتي، يُعيّن فيه من طرف الحاكم، ورغم هذا الترسيم، إلاّ أنّه بقي العلماء الآخرون الذين لم ينالوه يقومون بالمهمة نفسها، دون تعيين من طرف أيّة جهة إدارية كانت، ولكن امتثالا للواجب الشرعي.

---

[663] ـــ سورة : البقرة، آية: 159.

[664] ـــ أخرجه الترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، رقم: 2649، ص: 429.

وخلال فترة تأدية المهام يكون هذا المفتي الرسمي، يقوم ببعض الوظائف الآخرى، كالمشاركة في دورات المجلس العلمي، أو حضور اجتماعات الدّيوان الحكومي، لكونه عضو فيه، ونتيجة أداء المفتي الرسمي لوظفيته المتمثل في إجابة الناس عن أسئلتهم المتنوعة، يكون قد قام بواجبه.

ب ــ الولاء للسلطة: استطاعت الدولة العثمانية ترسيم منصب المفتي، قصد كسب نفوذ العلماء في مجتمعاتهم، وكسب ودهم من جهة، وخلق التنافس على المناصب بين العلماء من جهة أخرى، وبالفعل فقد برز هذا التنافس بين أهل العلم إلى درجة انحطاط مستواهم وشراء المنصب، وتدبير المكائد بينهم[665]، ولكنها فشلت في احتواء ميدان الإفتاء كلّه، إذ بقي علماء آخرون لم ينالوا المنصب لسبب أو لآخر، يفتون الناس في أمورهم، ولا يبالون رأي السلطة فيما يفتون.

ففي مقابل المنصب وإمتيازاته،يُوجَب على المفتي تقديمُ الولاء للسلطة، وهذا الولاء لا يقتصر على المفتي الرسمي وفقط، بل على كل عالم في الجزائر العثمانية، لأنّ هناك مفتين كانت نهايتهم سئية، بسبب عدم رضا السلطة عنهم، سواء كانوا رسميين أو أحرارا، فقد أُغتيل صاحب زاوية تنس، بسبب رفضه فتوى على طلب باي مازونة، وغيره من العلماء الذين كان النفي أو القتل مصيرهم[666].

والولاء للسلطة يتمثل في الدعوة للسلطان على المنبر، وعدم إثار الناس عليه، وفي استخلاص الضرائب المتنوعة، هذه المظاهر دالة على خضوع الناس لسلطة الدولة العثمانية، وطاعة المفتي لأوامر السلطة.

---

[665]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص:409.

[666]ــ عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:342.

2 ــ حقوق المفتي:

لقد اعتمد العثمانيون في بسط نفوذهم، وفي إخضاع الرعية إليهم، على أهل العلم والتصوف، لما لهذه الفئة من سلطة روحية على سكان مناطقهم، فقربتهم السلطة العثمانية، وعملت على كسب ودّهم[667]، ومجاملتهم روحيا وماديا، تمثلت هذه الامتيازات في ما يلي:

أ ــ الامتيازات المعنوية:

من الامتيازات الروحية التي بالغ فيها العثمانيون على أهل العلم والتصوف ومنهم المفتيين، إظهار لهم الاحترام أحياء أو أمواتا، وذلك لمعرفتهم بأنّ العلماء أو المرابطين لهم مكانتهم في الأوساط الشعبية، وهذا منذ بداية الحكم العثماني بالجزائر، إذ "...أحاطوهم بالرعاية، بمظاهر الاحترام، ورفعوا من شأنهم في نظر العامة..." [668]، فاحتقار هذه الفئة معناه الثورة ضدّهم.

ومن مظاهر هذا الاحترام، إقرار الحكام بوجوب احترام المفتي أو المرابط من طرف جميع الناس، فقد أظهرت ذلك بعض الظهائر الخاصة بتعيين المفتي أحمد بن خدة بن علي[669] من عائلة كتروسي بمازونة سنة 1080هــ/1669م، حيث جاء فيها "... ويكون مفتيا على مذهبنا مالك تغمده الله برحمته بغير معارض له، ولا يخالف عليه أحد، وأوصينا على حرمه

---

[667]ــ ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك ، ص: 76.

[668]ــ محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص:108.

[669]ــ **أحمد بن خدة بن علي الكتروسي:** هو من عائلة آل سيد علي الكتروسي الشريف الحسني الشهيرة بمازونة، عيّنه باشا الجزائر أحمد أبو العباس عبدالله مفتيا وإمام جامع سيدي عيسى وعزوز بحي بوماتع مع أمر السلطات بحمايته وإعفائه من كل الالتزامات. ينظر، جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة،ثغر حربي وإشعاع حضاري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1426هــ/2005م، ص:45.

واحترامه، وحفظ جانبه، بحيث لا يتعدّ عليه، ولا يوقس بما قيسنه الناس، وجميع المطالب المخزنية، والوظايف السلطانية، قلّت أو جلّت، وكذا يحترمونه خماسه، وخدامه، من حرم السيد المذكور..."[670]، فاحترام المفتي مطلوب من الجميع، حسب هذا الظهير.

وجاء في ظهير آخر فيه تعيّين محمد بن المهدي[671] مفتيا بمازونة سنة 1212هـ/1797م "...وأوصينا بحرمهم واحترامهم وبروزهم وإكرامهم وإنعامهم بحيث لا تهتك لهم حرمة ولا يُهضم لهم جناب ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم من جميع الأمور المخزنية والوظائف السلطانية قلّت أم جلّت..."[672]، هكذا نصّ هذا التعيّين على وجوب احترام الجميع للمفتي.

كما أظهروه كذلك في مراسلاتهم للعلماء والمرابطين، مثل رسالة الباشا للشيخ الفكون عندما ثار ابن الأحرش[673] سنة 1804م، جاء فيها :"...العالم الأشهر، أكبر الأنوار، مأوى القليلين، وملجأ الضعفاء والمساكين، العارف بجميع العلوم والفنون.... السلام على مقامكم الرفيع، وشخصكم الرائق البديع...."[674]، كما يظهر التقدير والاحترام للعالم والرفع

---

[670]ـــ ينظر، ملحق، رقم:01.

[671]ـــ **محمد بن مهدي:** هو أبو عبد الله محمد بن المهدي بن محمد بن المهدي بن أحمد بن علي الإدريسي الحسني المازوني الكتروسي، ينتمي إلى عائلة آل الكتروسي العلمية، التي حظيت بتأييد كبير من طرف بايات الغرب الجزائري، تولى عدد من أفرادها مناصب دينية هامة، كالقضاء، والفتوى، والإمامة، والخطابة. ينظر، لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 255.

[672]ـــ ينظر، ملحق رقم: 02.

[673]ـــ **ابن الأحرش:** هو أحمد بن الأحرش، مغربي الوطن، مالكي المذهب، درقاوي الطريقة، ادعى أنّه المهدي المنتظر، كان صاحب شعوذة، وحيل سحرية، اتبعه النّاس في الشرق الجزائري، وأراد الثورة على الحكم العثماني بدء من محاصرة مدينة قسنطينة، وكانت بينه وبين الجيش العثماني عدة معارك منها معركة وادي الزهور التي وقعت في شهر أوت سنة 1804م، وقتل فيها باي المنطقة. ينظر، الآغا المزاري، المصدر السابق، ص: 299.

[674]ـــ العنتري، المصدر السابق، ص: 72.

من شأنه في رسالة الداي محمد بكداش لأحمد قاسم البوني حينما أوصفه فيها بــ" ...الهلال الفرقد، الكوكب الدري..."[675].

وفي ظهير وقّعه خليفة الباي الحاج أحمد سنة 1215هـ/ 1800م، يمنح فيه مجموعة من الامتيازات لمفتي مازونة محمد بن المهدي، جاء فيه:" ...وأنّنا أنعمنا على ماسكه العالم الأجل المرعي المبجّل، الزكي الأفضل السيد محمد بن المهدي، نجل العالم الأوّاه، الخايف من مولاه، المرحوم بكرم الله، الحيّ القيوم، السّيد محمد بن المهدي برّد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وجدّدنا له على ما بيده من تحرير لاغواتنا ، الذين قبلنا ، وأوصينا له بحرمه واحترامه ، ورعيه وإكرامه ..."[676]، ففي هذا الظهير يُظهر الاحترام والرفع من شأن المفتي محمد بن المهدي.

والاحترام نفسه لوالده المتوفي، وحتى أبناءه الأخرين، الذين لم يُعيّنوا في منصب، ولكن أُعفيوا جميعا من دفع الضرائب المختلفة، وهم وأبناءهم وأبناء أبنائهم، حيثما تناسلوا، مثلما جاء في نص هذا الظهير"... كما أننا أنعمنا على كافة إخوانه السيد علي، والسيد أحمد، والسيد علي الصغير، وعلى أولادهم وأولاد أولادهم، وعقبهم وعقب عقبهم، حيثما تناسلوا، وامتدت فروعهم في الإسلام، وحررناهم من جميع التكاليف المخزنية، والوظائف السلطانية ، بحيث لا يقاسون بما يقاس به غيرهم، لا قليلا ولا كثيرا، إنعاما تاما شاملا عاملا ، لهم ولكل ما تنسّل منهم ..."[677].

ومن مظاهر الاحترام للعالم وللمرابط كذلك، تقديس أضرحتهم بعد موتهم، فقد عمد بعض الحكام في صيانة الأضرحة، والإعتناء بها، بوقف الأوقاف لصالحها، وتعيين وُكلاء

---

[675]- رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 106.

[676]ـــ ينظر ملحق رقم: 02.

[677]ـــ المصدر نفسه.

يسيروها، مثلما قام به الداي عبدي باشا[678]، لّما عمل على صيانة ضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة 1142هـ/1730م[679]، ووقفية الداي أحمد لصالح هذا الضريح سنة 1222هـ/ 1807م المتضمنة مخزن وحانوت[680].

ومقابل وقوف أحمد بن يوسف في صف الأخوين بربروس، في صراعهما مع بني زيّان وحلفائهم الإسبان[681]، تلقى هذا الرجل من عروج رسالة ودية، وهدية قدرها 4000 دينار، وبعض العروض النّفيسة، كما عيّن له خير الدين منحة قدرها ثمانية صيعان مأخوذة من الجزية تدفع له كل سنة، بمناسبة ذهاب الحجاج إلى الحرمين، وظلّ أتباعه مؤيدين للعثمانيين، كما حافظ هؤلاء على التزامهم له، ولطريقته، ولأولاده وأتباعه[682].

ومن أجل هذا التعاون بين الطرفين، شيّدوا على قبره ضريحا، ومسجدا، بناهما محمد الكبير باي وهران، وبذلت السلطة العثمانية جهودها في الحفاظ على ذكراه، وتقوية نفوذه روحيا في المجتمع، حتى يكون كالقطب الجاذب المساعد على تهدئة الفتن بين سكان الجبل، وعلى كبح الفوضى المزمنة في قبائل السهل، تماشيا مع معتقدات الناس المنتشرة[683]

وهكذا أصبح العثمانيون يقدّسون الأضرحة، "...ويقدمون لها أكبر الامتيازات، وأثمنها، وصارت أماكن سكناهم وشرائحهم، بعد موتهم مقدّسة، كما أنّ القانون لا يمس كل

---

[678]ــ **الداي عبدي باشا:** حكم البلاد (1136هـ/1724م ــ 1145هـ/ 1732م)، في عهده تمكن الاسبان من استرجاع وهران واحتلال المرسى الكبير، وانسحاب بوشلاغم إلى مستغانم، كان قوي الشخصية، استطاع أن يضمن الأمن والسلام في البلاد. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 49.

[679]ــ ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص:40.

[680]ــ ياسين بودريعة، المرجع نفسه، ص: 78.

[681]ــ محمد حاج صادق، مليانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت ، ص:105.

[682]ــ محمد حاج صادق، المرجع نفسه، ص:104.

[683]ــ **الباي محمد الكبير:** محمد بن عثمان الكبير، تولى شؤون بايليك الغرب سنة 1192هـ/ 1779م، واشتهر بأعماله الحربية، ومآثره العمرانية، وقد تمّ على يده استرجاع وهران، للمرة الأخيرة من يد الأسبان سنة 1206هـ/1791م، ونقل مقر بايليك الغرب إليها، وافته المنية ببلاد أصبيح سنة 1213هـ/1798م. ينظر، أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي، المصدر السابق، ص:72.

من لجأ إليها..."[684]، فلا يعاقبون كل من فرّ إلى ضريح أي مرابط، فقد كانت الأضرحة ملجأ للفارين من العقاب العثماني، فلا يطاردون من تخبأ فيه، لوقارة المكان عندهم.

فقد أوصى الباي محمد المقلش[685] أثناء حرب درقاوة جنوده بعدم التعرض لأي شخص يفرّ إلى ضريح[686] بوادي مينا، بأي حال من الأحوال، ولّما انتهى القتال قاموا بزيارة هذا الضريح، وقدّموا له صدقة، تزيد عن مائتي ريال دراهم[687]، رغم أنه أساء للعلماء كثيرا، وقد عفى هذا الباي عن أهل الشريف الدرقاوي الثائر، لّما فرّوا إلى قيطنة الشيخ محي الدين، مستجيرين به، وكان العفو عنهم مراعاة لكرامة الشيخ، وحفظا لذمّته[688]، مظهرين الاحترام لهذا الضريح، والشيء نفسه فعله الباي عثمان بن إبراهيم[689]، حينما عفى عن أنصار وأبناء الباي بوشلاغم[690]، الذين حاولوا قتله، وقد جاء هذا العفو بعدما فرّوا إلى ضريح محمد بن عودة.

---

[684]ــ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص:73.

[685]ــ **الباي محمد المقلش** : هو محمد بن محمد باي المقلش، تولى الحكم ببايلك الغرب سنة 1220هــ/1805م، في وقت كان الدرقاوي محاصرا، فتصدى لحربه، وألحق به الهزائم المتوالية، فأمّن البلاد وصواحيها، ونشر العدل والعافيه فيها،وقطع منه العدو وبدّده، عُزل من طرف باشا الجزائر، وقتل من طرفه سنة 1222هــ/1807م. ينظر، الأغا المزاري، المصدر السابق، ص: 325، وينظر، مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص:27.

[686]ــ هذا الضريح هو لمحمد بن عودة. ينظر، المزاري، المصدر السابق، ص: 315.

[687]ــ المزاري، المصدر نفسه، ص: 315.

[688]ــ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 106.

[689]ــ **الباي عثمان بن إبراهيم:** تولى الحكم بتلمسان سنة 1160هــ/1747م، دام في حكمه تسع سنوات، توفي سنة 1169هــ/1755م. ينظر، مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص:20.

[690]ــ **الباي بوشلاغم:** هو مصطفى بن يوسف المسراتي، باي الغرب الجزائري الذي حاصر الأسبانيين بوهران، وأبان خلال هذا الحصار وأثناء مقاتلتهم شجاعة وفراسة وكفاءة كبيرة، حتى استطاع إرجاع وهران إلى الحاضرة الإسلامية، بعد احتلالها، في يوم 26 شوال 1119هــ/ 19 جانفي 1708م، ونقل مقر إدارته من معسكر إلى وهران، ولكن هذا النصر لم يدم طويلا، حتى رجع النصار لحكم وهران، مما اضطر إلى الانسحاب إلى مدينة مستغانم فاتخذها مقرا لبايلك الغرب حتى توفي بها. ينظر، الأغا المزاري، المصدر السابق، ص، ص: 235، 236، 258،256.

ومن الامتيازات المعنوية التي كان ينالها بعض المفتين الرسميين والأحرار، من شيوخ الزوايا ومقدمي الطرق الصوفية، حصر بعض المناصب في عائلة المفتي، مثل القضاء، الإمامة، والخطابة، وغيرها من الوظائف الدينية الأخرى، لأنّ المنصب في حد ذاته يعد امتيازا ماديا ومعنويا[691]، سيما ما كانت تجلبه هذه الوظائف لصاحبها من مكانة مرموقة بين الخواص والعوام، وما كان يستفيده من راتب، وامتيازات مادية أخرى، وهناك نماذج كثيرة عن العائلات، التي توارثت المناصب، مثل: عائلة الفكون في قسنطينة، وقدورة في العاصمة، وعائلة الكتروسي في مازونة، وغيرها من العائلات الأخرى.

ولكن أحيانا هذا الاحترام لم يبق له معنى، خاصة في نهاية العهد العثماني، حيث رصدت بعض المصادر التاريخية[692] معاملة العلماء والمفتين منهم معاملة سيئة من طرف البايات، منهم على سبيل المثال: الشيخ محي الدين الذي وُضع تحت الإقامة الجبرية بوهران، هو وإبنه الأمير عبد القادر، بأمر من حسن باي وهران[693]، رغم أنّه كان شيخ الطريقة القادرية التي كانت تسير في فلك السلطة.

ب ـــ الامتيازات المادية:

691ـــ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 107.

692ـــ المصادر يقصد بها، طلوع السعد السعود للمزاري، دليل الحيران لمحمد بن ميمون، أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر وغيرها.

693ـــ ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 49. وينظر، الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ج1، ص: 103.

فبالإضافة إلى الاحترام والتقدير، والرفع من شأن العالم أو المرابط، وبالطبع من بينهم أهل الإفتاء، هناك ملموسات مادية، كان يستفيد منها هؤلاء، في إطار محاولة كسب السلطة العثمانية ودّهم، واستغلالهم في إخضاع الرعيّة لهم، ومن هذه الامتيازات المادية:

1 ــ تكليفهم بتسيير الأوقاف: لقد كُلف المفتي بتسيير الأوقاف، وعلى سبيل المثال، كانت أوقاف المالكية في مدينة الجزائر تحت مسؤولية المفتي سعيد قدورة، وفي مدينة مازونة كُلّف أحمد بن خدّة بن علي الكتروسي، بتسيير الأوقاف، كما جاء في ظهير تعيّينه مفتيا "...وأننا انعمنا عليه أن يكون مفتيا ببلاد مازونة، وسائر عملته من المحال والأعراب، ويكون إماما محضيا، وثيقة مرضيا بجامع الكبير المعروف بسيدي عيسى وسيدي عزوز بأبي مانغ، ويكون في أحباسها، ومتكلفا بالمسجد المذكور ..."[694]، فهذا الظهير يُبّين تكليف هذا المفتي بمهام أخرى متمثلة في الإمامة، وتسيير الأوقاف.

2 ــ إسقاط دفع الضرائب:

لقد أسقطت الحكومة العثمانية المطالب الضريبية عن المفتين والمرابطين، مثلما جاء في ظهير إعفاء مفتي مازونة من دفع الضرائب المتنوعة، "...وأنّنا أنعمنا على ماسكه العالم الأجل المرعي المبجّل، الزكي الأفضل السيد محمد بن المهدي ، ... وأوصينا له بحرمه وإحترامه، ورعيه، وإكرامه ؛ بحيث لا يطالبه أحد من العشور والعشرات ، ومبيت ومونة، وصخرة، وغير ذلك من التكاليف المخزنية، والوظائف السلطانية، قلّت أم جلّت ، وأبقيناه مفتيا بمازونة ..."[695].

3 ــ الأجرة: تكون الأجرة عادة للأجير الذي أدّى مهمة، أو وظيفة ما، فلمّا جعلت الدولة العثمانية للإفتاء منصبا، تُوظف فيه من العلماء، جعلت أيضا لمن ينال هذا

---

[694] ــ ينظر، ملحق رقم: 01.

[695] ــ ينظر، ملحق رقم: 03.

المنصب راتبا شهريا، وإن كان يجوز شرعا لولي الأمر " أنّ يخصص مرتبا شهريا للمفتي من بيت المال بالقدر الذي يكفيه ويغنيه عن الكسب، ليتفرغ للفتوى والعلم"[696]، فإن السلطة العثمانية لم تتدخل في كفاية كل العلماء عن الكسب، بل الذين نالوا المنصب الإداري وفقط، فالعلماء الأحرار كانوا يفتون للناس، ولكن منهم من عاش فقيرا، مثل العالم حمودة المقايسي، وغيره.

فرجال الإفتاء الرسميين، كانوا يتلقون أجورهم، شهريا وبشكل منتظم، وكان قائد الدار[697] مكلفا بدفع الرواتب الشهرية، لكل من: أئمة المساجد، ووعاظها، والقضاة والمفاتي، وتمتد مسؤوليته أيضا على القسم الأكبر من أملاك البايلك وعقاراته، ومخازن الحبوب، فكان مسؤولا عل دفع لهم أجورهم، وأرزاقهم المستحقة[698]، ومن حسن الحظّ أن بعض هذه المرتبات بقيت محفوظة في مراكز الأرشيف.

ومن خلال الاطلاع على بعض الوثائق الأرشيفية المتضمنة رواتب أصحاب الوظائف الدّينية حسب الشهور، يتبيّن أنّ المفتي يتصدر قائمة السلك الديني[699] في قيمة راتبه الشهري الذي بلغ 10000[700]، في حين يليه في هذه القائمة إمام الصلوات الخمس بمقدار 1800، هذا الترتيب حسب موظفي جامع جديد، الذي كان منهم المفتي.

---

[696]ــ محمد منصور، المختصر المفيد في النظم الإسلامية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 1417هــ/1998م، ص:230.

[697]ــ **قائد الدار**: هو المكلف بحراسة المدينة، وحفظها، ومد الجند بالمرتبات والأرزاق كل شهر، والواقف على ضبط أملاك الدولة، والحاكم المطلق في أمر المخالفات التي تقع في المدينة. أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 143.

[698]ــ يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ،ص:84.

[699]ــ الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 336، سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور.

[700]ــ الدخل الشهري لكل موظف في هذه الوثيقة لم تحدد وحدته النقدية.

وكذلك في وثيقة أخرى [701]متضمنة " مصروف ....غرة محرم سنة 1228هـ" يوجد المفتي الحنفي في صدارة قائمة الموظفين بدخل 344[702]، ويليه مفتي السادة المالكية في المرتبة الثانية بدخل 150، وفي المرتبة الثالثة يوجد القاضي الحنفي، وبعده مباشرة القاضي المالكي.

إضافة على هذ الدخل الشهري، كان المفتي يتلقى بعض الهدايا والصدقات من طرف السلطات والمحسنين، ومن خلال ما يُوقف على المؤسسات الدينية مثل الزوايا والمساجد وغيرها[703]، ومن الأمثلة على ذلك، ما خصصه صالح باي للمعلمين والفقهاء[704]والوعاظ، والأئمة أجورا سنوية قارة من أموال الأوقاف الاسلامية، حينما بنى مدرسة في مدينة قسنطينة، ومسجدا بعنابة سنة 1789م[705].

كما كانت مؤسسة سبل الخيرات تتكفل بدفع رواتب خاصة لكبار الموظفين مثل المفتي الحنفي الذي يخصص له دخل سنوي لا يقل عن 150 ريالا، بالإضافة إلى نفقات 28 حزابا، ومساهمة مهمة في إعانة الفقراء الذي يلتقون الصدقات كل يوم خميس[706].

ويخبر دفتر التشريفات أن المفتي الحنفي كان يتقاضى كل شهر نصيبا من الضرائب التي يدفعها اليهود، والمقدر بثمانين صائمة، أما المفتي والقاضي المالكيين فكانا يتلقيان شهريا

---

[701]ـــ الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 332، سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور.

[702]ـــ قيمة الدخل لكل موظف بقيت ثابتة دون زيادة أو نقصان، خلال السنوات: 1227هـ ، 1228هـ، 1229هـ. ينظر، الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 332، وسلسلة نفسها، رقم: 333، وسلسلة نفسها، رقم: 334.

[703]ـــ أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991، ص: 63.

[704]ـــ ومن الفقهاء الذين قربهم صالح باي إليه ، وجعل لهم راتب شهري: المفتي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي، والقاضي الحنفي الشيخ شعبان بن جلول، والقاضي المالكي الشيخ العباسي. ينظر، محمد الصالح بن العنتري،المصدر السابق، ص:64.

[705]ـــ محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص: 64.

[706]ـــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ص: 267. وينظر، ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، ص:89.

من نفس الضرائب مبلغا قدره خمسين صائمة لكل واحد منهما[707]، وفي الإطار نفسه يذكر ناصر الدين سعيدوني: "...أن المفتي الحنفي كان يتقاضى شهريا ثمانين صائمة، والمفتي والقاضي المالكيين يتسلم كل واحد منهما خمسين صائمة، بينما رئيس الشرفاء لا ينال سوى ثلاثين صائمة، وهو مع ذلك أحسن حظا من العدول الإثنى عشر، الذين كانوا يعملون في تحرير الوثائق، وتقديمها للقاضيين المالكي والحنفي، لختمها والمصادقة عليها، فهؤلاء العدول لا تتعدى أجرة كل واحد منهم سكة جزائرية واحدة..."[708].

وكان هؤلاء الموظفون يتلقون إلى جانب رواتبهم، أجورا عينية على شكل هدايا وهبات، خاصة خلال الاحتفالات الدّينية، كشهر رمضان والعيدين، فكان الداي يرسل إلى موظفي المساجد مؤونة غذائية، تشمل عددا من رؤوس الماشية، وكمية من الحبوب والزيت، لتُقسَّم بينهم، فقد ورد في دفتر التشريفات أن المفتي ــ دون ذكر مذهبه ــ كان يتلقى في عام 1757م أربعة أحمال من مواد غذائية متنوعة، كما وردت إحدى الوثائق موظفين يتلقون موادا تموينية من السلطان إنهم: الباشا والمفتي والقاضي.

وذكر الفقيه عبد الكريم الفكون طريقة أخرى في الكسب لذى المفتي وهي أخذ الأجرة على الفتوى من عند المستفتي، حين قال أنّ "... يحي بن محجوبة كان يأخذ الأجر على فتواه تارة بالإشتراط، وتارة مكارمة..."[709]، كما للمفتي مهام أخرى، مثل الخطابة في المساجد، و التدريس، وأيضا تسيير الأوقاف، فكان يأخذ عن كل مهام مقابل.

حيث كان " أغلب الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والثانية عشر كانوا يتعلمون بالمدارس الابتدائية، حيث كان المعلمون يتقاضون أجورهم من عند آباء

---

[707]ــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 328. وينظر، محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص: 143.

[708] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985،ط:02،ص:136.

[709]ــ عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:63.

التلاميذ..."[710]، ولكن بعض الزوايا[711] يكون تعليمهم على " نفقة الزاوية، التي تتكفل بإطعامهم، وإيوائهم دون مقابل، أما مورد الزاوية فمن أملاكها الموقوفة، وكذلك من تبرعات المحسنين ..."[712].

فبرغم أنّ السّلطة العثمانية قد أهملت الجانب الثقافي في سياستها، واهتمت فقط بجمع المال عن طريق الضرائب، وبالأعمال العسكرية، إلاّ أنّ الشعب ومن خلال الأوقاف المتنوعة التي كان يوقفها على مؤسسات التعليم المختلفة، كالأراضي، وغابات الزيتون، والنخيل، والعقارات وغيرها، أو الهبات، والتبرعات[713]، التي كانت تُقدم، هو المساهم الفعّال في تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر، مثل التعليم، وخدمة أهله من العلماء والفقهاء، حيث كان الناس يقدرون المفتي والإمام كثيرا، فكانوا يقدمون لهم الهدايا في مختلف المناسبات[714].

أمّا مشايخ الزوايّا والطرق الصوفية، فكانت الهبات التي تأتي من المتبرعين والمحسنين، سواء من السكان، أو من أصحاب الوظائف المختلفة، هي مصدر مداخيلهم[715]، فعلى سبيل المثال، قام الباي حسين سنة 1173هـ/ بشراء دار بستين مثقالا ذهبا، ووقفها على زاوية مولاي الطيب الوزاني بتلمسان[716].

---

[710]ـ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص: 144ـ 145.

[711]ـ مثل زاوية يحي العيدلي بتاموقورة، وزاية العثمانية بطولقة وغيرهما.

[712]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص : 464.

[713]ـ صلاح مؤيد العقبي، االمرجع نفسه، ص : 307.

[714] -Thomas Shaw ;voyage dans la régence d'Alger au XVIII siecle ;traduction :Mac Carthy ;Marlin éditeur; Paris ;1830 ;p :79.

[715]ـ عبد الله بن دجين السهلي، المرجع السابق، ص: 19.

[716]ـ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص : 316.

وأمام عدم كفاية الأجور والسعي لزيادة المدخول والثروة، اضطر كثير من المفتيين والقضاة إلى ممارسة التجارة، فقد كان المفتي المالكي سعيد قدورة يشترك مع بعض التجار بماله[717].

3 ـــ علاقة بمحيطه:

المفتون هم الفئة ذات الثقافة والعلم، فهي في درجة العليا من جهة العلم والمعرفة، وحتى المناصب التي ينالوها هي مناصب تزيد في علو قيمتهم في مجتمعهم، مثل القضاء، والإفتاء، والخطابة وتسيير الأوقاف، وغيرها، ولكن ما هي العلاقة التي تربط المفتي بمحيطه الإجتماعي؟

أ ـــ علاقة المفتي بالسلطة:

لقد كان للعلماء دور كبير في توطيد الحكم العثماني في الجزائر، فهم الذين استدعوا عروج وأخاه خير الدين بربروس، وهم الذين أصرّوا على بقاء هذا الأخير بينهم، وحاكما عليهم، خاصة بعد وفاة عروج سنة 1518م، وكان يرأس الوفد الذي توجه إلى اسطنبول، حاملا طلب الجزائريين، للانضمام إلى الخلافة العثمانية، فقيه من فقهاء الجزائر وهو أحمد بن القاضي.

ومنذ أن أرسى الحكم العثماني في الجزائر قواعده سنة 1520م، كانت العلاقة بين الفقهاء والسلطة الحاكمة على ثلاث أصناف[718]، فالصنف الأول، يمثله العلماء الذين ساندوا

---

[717]ـــ بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص:145.

العثمانيين في توطيد حكمهم في البلاد، أمثال: عبد الكريم الفكون، عائلة آل كتروسي وغيرهما، فنالت هذه الفئة المناصب، والاحترام، والعفو عن دفع الضرائب، ومقابل هذه الإمتيازات، كان العلماء يقدمون الولاء للحاكم، والدعاء له على المنبر. وكل من خالف هذا الأمر سواء من المفتيين الرسميين أو الأحرار، كانت له عقوبة المنفى، أو القتل .

أمّا الصنف الثاني من العلماء، فقد أعلن معارضته للعثمانيين، سواء بإعلان الثورة ضد السّلطة، أو الهجرة إلى الخارج. ومن الأمثّلة عن ذلك، فقد ثار بعض شيوخ الطرق الصوفية على الحاكم العثماني في الجزائر، مثل الطريقة التيجانية، والدرقاوية في الغرب الجزائري، وثورة ابن الأحرش، وغيره في الشرق، وحتى الطريقة القادرية ساءت علاقتها مع السلطة العثمانية، إذ أُجبر الشيخ محي الدين وإبنه الأمير عبد القادر على الإقامة الجبرية بوهران في نهاية الحكم العثماني بالجزائر[719].

كما ثار الفقيه يحي بن سليمان المعروف بالأوراسي الذي تولى الإفتاء، والتدريس بقسنطينة، ورغم المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها، كما أنه من المقربين للعثمانيين، إلاّ أنّه ساءت علاقته بهم، وكان مصيره القتل غدرا، بواسطة أحد المندسين في الجيش الذي كوّنه من اتباعه، واستقرّ به بجبل الأوراس رفقة أخيه أبو العباس أحمد[720].

ويُذكر[721] أيضا أن المجاجي محمد بن علي صاحب زاوية تنس، كان ناقما على الأوضاع السياسية والاجتماعية في وطنه، فكان كثيرا ما ينتقد هذه الأوضاع، ولكنه لم يثور

---

[718]ــ هذا التقسيم هو للدكتور محمد بوشنافي، ينظر بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر (ق10ــ 13هــ/ ق 16ــ 17م)، مجلة عصور جديدة، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، عدد:02، 1432هــ/2011م، ص:208.

[719]ــ الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص: 103.

[720]ــ عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص:54. ويظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 73.

[721]ــ بوشمة خالد، التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتصيير أو التمريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري، دراسة وتحقيق، رسالة

على الحاكم، بحجة أن الخروج على الحاكم محرم، ولكنه هو الآخر مات مقتولا بطعنات خنجر[722]، على أيدي باي مازونة، لرفضه الإفتاء بالباطل[723].

وفي بسكرة هرب المفتي أبو القاسم الشبكي إلى سيدي عقبة خوفا من العامل التركي بها[724]، وكان القتل أيضا مصير كل من أبي العباس أحمد العلمي سنة 1229هـ/1813م، وهو الذي "..كان فقيها عارفا بالأحكام، تقلّد فتوى المالكية، ثمّ القضاء..."[725]، والشيخ العالم فتح الله، الذي وُلد بالشام، ثمّ انتقل إلى قسنطينة، وتولى خطابة مسجد سيدي الكتاني، والتدريس بمدرسة جامع سوق الغزل، ثمّ الإفتاء، فالقضاء على المذهب العثماني، قتل في حدود 1185هـ/1771م[726].

والصنف الثالث من العلماء وهو صنف الذي وقف ناصحا للسلطة في وقت الشدة، فعلاقة هذه الفئة من العلماء بالسلطة الإدارية تميزت بالنصح والمشورة والثقة وتبادل الرسائل

ماجستير في العلوم الإسلامية اشراف: أ.د.نورالدين عباسي، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 1430هـ/1999م، ص: 121.

[722]ــ ذكره المجاجي في رحلته:

أبو علي له أب حبّذا أب	مناقبه في الغرب شاعت كثيرة
وخير الأسامي من تسمى محمد	فذاك اسمه قد زاده الله رفعة
فحاز مقاما شامخا شبه من مضى	مقام أبيه في القرى والمدينة
فأبقاه رب العالمين لخلقه	يدبّ عليهم أن أصابتهم نكبة

ينظر، آل سيد الشيخ سعاد، رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، أشراف: أ.د.بن نعمية عبد المجيد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1428ــ 1429هـ/ 2007ــ 2008م، ص ص: 176ــ177.

[723]ــ ينظر، عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص، ص: 440، 449.

[724]ــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 180.

[725]ــ أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص:313.

[726]ــ أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر نفسه، ج2، ص:153.

لمعرفة أحوال العباد، ففي رسالة بعثها الشيخ الفقيه محمد الساسي البوني إلى يوسف باشا [727] جاء فيها:" ولتعلم أعزكم الله أن كل شدة مآلها إلى الارتخاء وإن كل غمة إنتهائها إلى الانجلاء وغاية كل متحرك إلى السكون وكم كربة أورثت خيرا وكم من شوكة اجتنيت ثمرا".[728]

وكان جواب" يوسف باشا " :"سيادة الولي الصالح البركة العارف بالله ...فلتعلم رضي الله عنكم أن العامة لا تعرف حقائق المذاهب، ولا تنظر عواقب المتاعب والتجارب ومنازعة الملوك تسلب النصح"[729].

ومن العلماء الذين أرادوا تحييد البلاد عن الفتنة، والفوضى السياسية، بسبب سياسة بعض البايات في أقاليمهم، التي غضب منها السكان، ودفعتهم للثورة عليه، الفقيه محمد بن علي العبدلي[730]، الذي تدخل لدي القائد العثماني بتلمسان محمد بن سوري، الذي ثار سكان هذه المدينة ضدّه، بسبب ظلمه، وجوره سنة 1035هـ/ 1625م، وقد نصح الفقيه هذا القائد قائلا له: " لا تجعل نفسك هدفا للنصال، ولا تنصبها لرمي النبال، باعد البلاء يباعدك البلاء"، ثم اتجه هذا العالم إلى كبار القوم، وطلب منهم التدخل لمنع العامة من تنفيذ ثورتها[731].

والدور نفسه قام به الشاعر محمد أقوجيل الجزائري الذي خاطب الداي أحمد باشا، وحثّه على استرجاع مدينة وهران في قصيدة[732]، كما نصحه فيها باهتمام بالعلماء، وجاء فيها:

---

[727]ــ **يوسف باشا**:حكم البلاد ما بين سنتي 1647ــ 1650م، في عهده جهّز مولاي محمد حاكم المغرب الأقصى جيشا ووصل إلى بني يزناسن بتلمسان، ثم عقدت معاهدة بين البلدين رسموا من خلالها الحدود بينهم. .ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص:38

[728]ــ حسان كشرود، المرجع السابق، ص: 24.

[729]ــ حسان كشرود، المرجع نفسه، ص: 24.

[730]ــ **محمد بن علي العبدلي**: وصفه الحفناوي أنّه" ذو العلم والمهابة والحلم والإنابة والسطوة، والإستيجابة والتحقيق والإصابة...."ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 336.

[731]ــ محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر، ص:208.

[732]ــ توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، ص : 438.

شاور ذوي علم ودي ناصح   ودع الغواة وكل ذي تزوير

كم في بلادك من نجيب حافظ   ومشارك في النظم والمنثور

لكن فقدوا الإعانة واغتدوا   ما أن يراعيهم ذوي التأمير

ونظرا للمكانة الاجتماعية والسياسية التي كان المفتي الرسمي يتمتع بها، كان يُستدعى لحضور في النشاطات السياسية للباشا، مثل حضور مراسيم تنصيب حاكم جديد، فقد أشار الزهار في مذكراته أنه عند مبايعة أي حاكم جديد، يُدعى أعضاء الديوان[733]، ومنهم المفتون[734].

وبعد انتهاء عملية تنصيب الداي الجديد يكلف أحد الأشخاص بالذهاب إلى الباب العالي، للإخبار عن وفاة الباشا القديم، وقيام الديوان بانتخاب الحاكم الجديد، حاملا معه رسالة، تحمل إمضاء وخاتم كل واحد من أعضاء الديوان، وخاصة القاضي، والمفتي، ونقيب الأشراف، ويوافق أعيان المدينة على هذا الاختيار، ويشهدون على مقدرة الشخص المعين[735].

وتكررت هذه العملية عند كل تنصيب داي جديد، وحضور المفتين إلى جانب القضاة وغيرهم، دلالة على مكانتهم، ومترلتهم بين هؤلاء الموظفين. ولم يقتصر هذا الحضور فقط في تنصيب الدايات بل حتى البايات.

ويُرتب في المرتبة الثانية بعد الباشا مباشرة في السلم الإداري للإيالة، ويُبيّن حمدان خوجة أهمية منصب المفتي الحنفي، ومكانته، فيقول: " يحظى بلقب افندي الذي لا يحظى به

---

[733]ــ أبو القاسم سعدالله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،دار الرائد/دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص: 50. عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة: أبوالقاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني ومحمد البشير الشنيتي وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص: 297.

[734]ــ أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار،1168ــ 1246هــ/1754ــ 1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980، ص: 23.

[735]ــ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 94.

إلا ثلاثة أشخاص: الداي المقطعجي (رئيس الكتيبة) الذي يشرف على سجلات محاسبات الدولة، وسجل القوانين العسكرية، والمفتي الحنفي، كما أنّ القادة العسكريين الذين يشكلون الديوان مضطرون للوقوف لأربعة أشخاص هم: الداي، المقطعجي، الخزناجي، والمفتي الحنفي"[736].

ب ــ علاقة المفتيين فيما بينهم:

لم يكن المذهب الحنفي منتشرا في الجزائر، قبل مجيء العثمانيين، الذين أدخلوه معهم إلى هذه البلاد، وخدموه فيها، حيث أصبح هذا المذهب مذهب الحكام، وإلى درجة أن بعض المفتين والقضاة غيّروا مذهبهم من المالكي إلى الحنفي، بطلب من الباي، ومن هؤلاء: محمد بن المسبح[737] الذي تولى القضاء بقسنطينة على المذهب الحنفي بطلب من عثمان باي[738].

ومن خلال قراءة بعض الوثائق سواء الخاصة بصرف الرواتب الشهرية، أو الخاصة بجلسات المجلس العلمي، يتبيّن أن المفتي الحنفي يُقدم أولا، ثم يليه المفتي المالكي، مثلما هو في وثيقة متضمنة " مصروف ....غرة محرم سنة 1228هــ" يوجد المفتي الحنفي في صدارة

[736]ــ حمدان خوجة، المصدر نفسه، ص:129.

[737]ــ **محمد بن المسبح**: هو أبو عبد الله محمد بن المسبح، تولى القضاء على مذهب الحنفية بقسنطينة، كان أديبا بليغا عارفا باللغة العربية، واللغة، والحديث، مشاركا في فنون من العلم الجليلة، خطيبا فارس المنابر، له با ع مديد في صناعة الخطابة والإنشاء، تعلم عن شيخه عبد القادر الراشدي، والحسن الونيسي وغيرهما، كان مالكي المذهب حوّله عثمان باي إلى المذهب الحنفي، وولاه الخطابة بجامع سوق الغزل، الذي كان الأمير يصلي فيه، كما وولي القضا مرارا، توفي عام 1242هــ. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ص ص: 203 ــ 204.

[738]ــ ينظر، بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:34.

قائمة الموظفين بدخل 344، ويليه مفتي السادة المالكية في المرتبة الثانية بدخل 150[739]. وفي ترتيب أعضاء المجلس العلمي، يُرتب كذلك المفتي الحنفي في الصدارة ثم يليه زميله المالكي في المرتبة الثانية.

هذه مكانة المفتيين الحنفي والمالكي الرسميين، الذين تتدخل السلطة في تعيّينهما، أمّا علاقة هؤلاء بالعلماء عامة، والذين بلغوا درجة الإفتاء، ومارسوه بصفة حرة، أي بدون أن تُكلفهم الدولة بذلك، فكان أحيانا التنافس بينهم على المناصب، بسبب الامتيازات التي كانت تعطى للمفتي مثل الإعفاء عن دفع الضرائب، وتسيير الوقف، وأيضا التقرب من السلطان.

ومن ذلك التنافس الذي كان محتدما بين المفتي سعيد قدورة ومحمد القوجيلي، أو بين المفتي محمد بن نيكرو ونائبه في الخطابة بالجامع الكبير، وكان هذا الأخير قد التجأ إلى الخزناجي، وإثارة العامة ضد ابن نيكرو، كما تحالف مع خصومه، وهم المفتي الحنفي محمد بن علي، وقاضي بيت المال محمد بن ميمون ومصطفى العنابي[740].

وقد أدى هذا التنافس أحيانا إلى خلق بعض المكائد لبعضهم البعض، أو اتهام بعضهم بالزندقة، مثلما اُتهم بها الشيخ محمد بن عبدالرحمن القشتالي الجرجري الأزهري، مؤسس الطريقة الرحمانية وكذا الانحراف عن الدين الحق، من طرف المرابطين والعلماء، الذين كانوا ينظرون إلى نشاطه بازدراء واشمئزاز، حيث يرون أنه ينافسهم، ويهدد مكانتهم، بالزندقة والانحراف عن خط الإسلام، وأرغموه على المثول أمام المجلس العلمي، آملين الحصول على فتوى تفسد دعوته، وترغمه على العدول عن نشر تعاليمه الصوفية الجديدة، غير أن المجلس أصدر الفتوى لصالحه، وبرّأه من هذه التهمة[741].

---

[739]ـــ الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 332، سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور.

[740]ـــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص:409.

[741]ـــ لطرش حنان، المرجع السابق، ص: 121.

ج ـــ علاقة المفتي بالقاضي:

لقد كانت العلاقة بين المفتي وبين القاضي في الجزائر العثمانية علاقة متكاملة، فكلاهما تُعرض عليهما مشاغل النّاس، ومشاكلهم، فيجبونهم بما أنزل الله في كتابه، وما أقرته السنّة الشريفة، ولكن جواب المفتي لا يكون ملزما، عكس حكم القاضي الذي يتوجب العمل به، كما أن القاضي ينظر في مسألة تكون مشتركة بين طرفين، فيحكم بينهما، أما المفتي فقد يسأله شخص على مسألة تخصه هو دون غيره.

أما بالنّسبة للمكانة الوظيفية، فالقاضي حسب بعض وثائق المحاكم الشرعية يتبع المفتي، فيُذكر اسما المفتيين الحنفي والمالكي، ثم يتبعان باسمي القاضيين، مثلما هو الحال في إحدى هذه الوثائق المتعلقة بجلسات المجلس العلمي:" ...حضره ...السيدان المفتيان وهما الفقير لله سبحانه مصطفى بن عبد الله (المفتي الحنفي) لطف الله به، والفقير إليه سبحانه أحمد بن عثمان (المفتي المالكي) لطف الله به بمنه...والشيخ...أبو عبد الله السيد محمد قاضي الحنفية...والشيخ...قاضي المالكية..."[742].

والأمر نفسه في وثيقة أخرى تتعلق بجلسة من جلسات المجلس العلمي، ذُكر اسم المفتيين قبل ذكر اسم القاضيين:" ....مصطفى بن عبد الله لطف الله به بمنه (المفتي الحنفي)، و...محمد بن أحمد بن جعدور(المفتي المالكي)، ...والشيخ...السيد أحمد أفاندي قاضي الحنفية، والشيخ....قاضي المالكي..."[743].

وفي الوثائق الخاصة بصرف رواتب السلك الديني، يُرتب المفتي الحنفي ثم المفتي المالكين ثم القاضي الحنفي في المرتبة الثالثة، والقاضي المالكي في المرتبة الرابعة، كما هو الحال

---

[742]ـــ المركز الوطني للأرشيف، الجزائر، سجلات المحاكم الشرعية، علبة 28، وثيقة:10. وينظر، بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:33.

[743]ـــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:33.

في وثيقة[744] متضمنة " مصروف ....غرة محرم سنة 1228هـ" يوجد المفتي الحنفي في صدارة قائمة الموظفين بدخل 344[745]، ويليه مفتي السادة المالكية في المرتبة الثانية بدخل 150، وفي المرتبة الثالثة يوجد القاضي الحنفي، وبعده مباشرة القاضي المالكي.

وممّا يدلّ على أولوية منصب الفتوى على القضاء، وتبعية القاضي للمفتي هو رئاسة المجلس العلمي الذي كان ينعقد كل يوم الخميس، التي كانت للمفتي الحنفي الذي كان يترأس الإجتماع[746]، إضافة إلى أن القاضي كان يعتمد على فتاوى المفتي لإصدار أحكامه، كما كان أصحاب القضايا قبل وصوله إلى القاضي لطرح قضاياهم، كانوا يطرحونها على المفتي، فيمنحهم فتوى شرعية مكتوبة على وثيقة، يحملونها إلى القاضي، وبناء على هذه الوثيقة يصدر هذا الأخير حكمه[747].

د ـــ علاقة المفتي بعامة الناس:

لقد كان الناس يثقون في الإمام والمفتي أكثر مما يثقون في رجال السياسة، فكانت للمفتي مكانة مرموقة في مجتمعه، إذ يحظى بالثقة والاحترام من طرف الناس، فكان بعض العلماء يجلسون في المقاهي، ويختلطون بالناس، وفي الأسواق أيضا، وكان بعضهم يكثر الإزدحام في الدرس والخطبة[748].

---

[744]ـــ الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 332، سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور. وينظر، سلسلة نفسها، رقم: 333، والسلسلة نفسها، رقم: 334.

[745]ـــ ذُكر الرقم دون ذكر اسم العملة.

[746]ـــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص: 33.

[747]ـــ بوشنافي محمد، المرجع نفسه، ص:34.

[748]ـــ أحمد السليماني،المرجع السابق، ص:71.

ففي بداية العهد العثماني بالجزائر، أراد سكان مدينة الجزائر، الثورة ضدّ خيرالدين، بتحريّض من أحمد بن القاضي، ولما سمع خير الدين بذلك، أرسل إليهم علماء المدينة وشيوخها ".. فنصحوهم، وذكروا لهم من الآيات والأحاديث، التي تنصّ على وجوب طاعة الحاكم، وعدم الخروج على الجماعة..."[749]، بهذه الطريقة اُستعمل العلماء وشيوخ الزوايا في الجزائر العثمانية لإخماد الثورات، وإطفاء نيران التمرادات، مستغلين احترام الجميع للعلماء، وتوقيرهم.

ويظهر احترام الناس للمفتي خاصة والعلماء عامة، في قبولهم مسعى العالم الفقيه في إصلاح ذات البيّن، وفك الخصومات بين الناس، فهم الذين يرتاحون لحكمه بينهم، ومثل عن ذلك العالم" محمد بن عزوز البرجي[750]، الذي كان يستدعي لحل الخلافات بين الناس، حيث كانوا يدعونه للصلح بينهم في مشكلاتهم، ويطلب منهم أمراء وطنه في إخماد الثائرين، فيسعى في تليينهم بعظيم جاهه، ولطف قوله...." [751]،والأمر نفسه عند بني ميزاب فشيخ حلقة عزّابة، أو مجلس "عمي سعيد" كانت قراراته تنفذ، كما كان محل الاحترام والتقدير في المجتمع الميزابي.

---

[749]ـــ مؤلف مجهول، خبر قدوم عروج وأخيه خير الدين، و:22. وينظر، محمد لعباسي، الأعمال العسكرية لخيرالدين بربروس في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط " خبر قدوم عروج وأخيه خير الدين " مذكرة ماجستير، إشراف: أ.د. الجيلالي سلطاني، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1426- 1427هـــ/ 2005- 2006م ،ص:67

[750]ـــ **محمد بن عزوز البرجي**: ولد سنة 1170هـــ بالبرج من صحراء بسكرة، أخذ الطريقة على محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وفي سنة 1232هـــ سافر إلى الحج رفقة تلامذته: علي بن عمر الطولقي، وعبد الحفيظ الخنقي، ومبارك بن خويدم،ولما رجع من الحج، وجد الوباء ضاربا أطنابه في الزيبان، فاستشهد به، في السنة المذكورة، لهذا الفقيه أرجوزة سمّاها " المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته". الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص ص:329 ـــ 334.

[751]ـــ الحفناوي، المصدر نفسه، ص:330. وينظر، بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:151.

وممّا زاد في احترام الناس للمفتين في إطار احترامهم للعلماء عامة، هو المنصب الذي يعطي لصاحبه مكانة اجتماعية خاصة، لما له من نفوذ في السلطة من جهة، وما يجنيه المفتي من مداخيل مادية، فأحيانا يكون المفتي وسيطا بين المواطن والسلطة، وهنا يعظم احترامهم له.

ونظرا لهذه المكانة التي كان يتمتع بها العلماء عامة في المجتمع الجزائري، كان الناس يحترمونهم وهم أحياء، وحتى بعد مماتهم، وكثيرا ما كان يلجأ الناس إلى شيوخ الزوايا والعلماء إلى طلب الدعاء لهم، لكي تتحقق أمانيهم، وأكثر من ذلك شاع بين الناس خلال العهد العثماني بعد ان انحرفت بعض الطرق الصوفية عن جادة الحق، وأصبح المرابط أو شيخ الزاوية يحظى بطاعة عمياء، وتقديم القرابين للضريح اعتقادا أنه مستجابة الدعوة، وأن سعادة الفرد تتوقف على رضى الولي الصالح أو سخطه[752]، أو إعتقادهم أن الضريح يدفع الشر عن المنطقة، فهو حاميها من كل عدو[753].

ومن مظاهر تبجيل المرابط كثرة أوقاف الناس على أضرحتهم بعد موتهم، معتقدين أن تنفعهم هذه الأوقاف، ولنيل البركة من هذا الذي مات، وبقي هم في الشرك يعمهون، فيذكر الورتيلاني في رحلته إلى الحج أنّه كلما مرّ بمنطقة، إلاّ وزار ضريح ولي صالح[754]، كما اعتقدوا كذلك أن الضريح يشفي الكثير من الأمراض العضوية، والنفسية، كالعقم، والحسد، والمسّ من الجنّ، ومن أجل الحفاظ على العلاقة الزوجية، كان الزوجان يزوران الضريح[755].

وانتشرت ظاهرة الاهتمام بالأضرحة في الجزائر، بشكل كبير جدا، حتى ضمت كل مدينة منها العشرات من الأضرحة والزوايا، حيث أصبحت معظم المدن الجزائرية تعرف بالولي الأكثر شهرة، وتأثيرا في نفوس أهاليها، فمدينة قسنطينة عرفت بسيدي راشد، ومدينة وهران

752_ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 79.

753_ ياسين بودريعة ، المرجع السابق، ص: 81.

754_ ينظر، رحلة الورتيلاني، المسماة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

755_ ياسين بودريعة ،المرجع نفسه ، ص: 85,

عرفت بسيدي الهواري، ومدينة تلمسان عرفت بسيدي بومدين، وبعض المدن والمناطق اشتقت تسميتها من اسم وليها، وعلى سبيل المثال مدينة سيدي بلعباس في الغرب الجزائري، ومنطقة سيدي موسى بضواحي مدينة الجزائر[756].

وأمّا مدينة الجزائر وضواحيها، فضمّت عددا كبيرا من الأضرحة، والزوايا، منها ضريح عبد الرحمن الثعالبي، حتى أنها عرفت بمدينة " سيدي عبد الرحمن"، على أنه توجد أضرحة أخرى مشهورة، كضريح محمد بن عبد الرحمن" بوقبرين "و ضريح محمد الشريف الزهّار، وغيرها، كما اشتهرت بعض الزوايا مثل: زاوية الشرفة، وزاوية الأندلس، فمعظم هذه الأضرحة والزوايا قد ظهرت في الجزائر خلال الحكم العثماني، وتزايدت، كما تزايدت أملاكها نتيجة تضاعف الوقف عليها من طرف الناس حكاما ومحكومين[757].

وفي ظلّ هذه المعتقدات، استغل مقدموا الطرق الصوفية، وشيوخ الزوايا التي بها أضرحة، الأوقاف الكثيرة التي كانت توقف على الضريح، سواء كانت من الحكام، أو من الناس، فعظمت ثروتهم، وأصبحوا من أغنياء الوطن، كما ورث أبناءهم مشيخة الطريقة أو الزاوية، وورثوا معها الأوقاف المتنوعة، من عقارات وغيرها.

وأمام هذه الحال التي كان المجتمع الجزائر عليها في العهد العثماني، وقف بعض العلماء ضدّ مثل هذه الخرافات والخزعبلات، التي ما أُنزل الله بها من سلطان، فحاربوا البدع، مثل الشيخ عبد الكريم الفكون، وعبد الرحمن الخضري، وعلى العموم كان العلماء محل احترام وتقدير من طرف الناس أجمعين.

ونظرا لهذه المكانة التي كانت للمفتي في وسط مجتمعه، كانت الحكومة الجزائرية تستغل هذه المكانة، التي كان يتمتع بها المفتي، في حل بعض المشاكل العويصة، مثل القضاء

---

[756]ـــ ياسين بودريعة، المرجع نفسه، ص:أ.

[757]ـــ ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص:أ.

على التمردات، والفتن، والاضطرابات السياسية، التي كانت تواجهها من حين لآخر، فبفضل احترام الجميع للمفتي، حلت الكثير من المشاكل السياسية، والاجتماعية.

4 ــ المستوى المعيشي للمفتي:

يقول ابن خلدون في مقدمته: " بأن القائمين على بأمور الدين..... لا تعظم ثورتهم في الغالب"[758]، فتبدو هذه المقولة صحيحة نسبيا في العهد العثماني، إذ يُميز في هذه الفترة فئتان من العلماء، من حيث الفقر والثراء.

فمن العلماء الأغنياء الذين تولوا الإفتاء، الكثير منهم من العائلات التي توارثت المناصب الدينية، وكذا البيوتات العلمية، ومشيخة الزوايا، فعائلة الفكون وابن باديس، وابن جلول في قسنطينة، وعائلة قدورة، وأحفاد الثعالبي في مدينة الجزائر، أمثلة عن العائلات التي سيرت المدارس والزوايا. ويرجع سبب ثرائهم في تسييرهم للأملاك المحبسة على المؤسسات التي تحت أيديهم، من مساجد، وزوايا، وأضرحة وغيرها[759]، إضافة إلى توارثها للمناصب: مثل الإفتاء، والقضاء، الخطابة والإمامة بالجوامع الكبرى.

فيُذكر أنّ أحمد بن يوسف الملياني وهو" أحد المرابطين في منطقة الونشريس، كان يلتف حوله جمع كبير من الأنصار، وكان يملك خمسمائة حصان، وعشرة آلاف من الغنم،

---

[758]ــ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص:492.

[759] ــ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 328.

وألفين من البقر، ويتلقى من أربعة إلى خمسة آلاف دوكا من الهدايا، والصدقات، ريع أراضيه يبلغ ثمانية آلاف روقي في السنة"[760]، هذا ما تؤكده تركته التي احتوت سنة 1700م " ...ثمانية منازل بمدينة الجزائر ومليانة، وجنان وحمام ومتجرا، وإقطاعات زراعية..."[761]، وبقي أحفاد هذا المرابط يمتلكون، ويستغلون الآلاف من الهكتارات في متيجة[762] والشلف[763].

كما ضمّت تركة محمد الشريف الزهار سنة 1153هـ/1741م على "...ربع منزل، وكوشة، وحوشين زراعين، وقدرت مبيعات حيواناته من المزرعتين بـ1615 بتاك شيك..."[764]، كما كان المفتي سعيد بن ابراهيم قدورة من كبار التجار الأثرياء، جمع ثرواته بالتجارة[765]، واالمشاركة في امتلاك سفن القرصنة، وعمليات تصدير السلع، التي تدر على صاحبها بالغنائم الكثيرة[766]، وكان أيضا يمتلك عقارات فلاحية، يخدمها. ونتيجة لهذا الثراء، كان هذا المفتي لا ينفق على نفسه من دخل أوقاف الجامع الأعظم، وكان له أربع خلفاء ينوبون عنه بالتداول، إن تأخر عن الخطبة أو صلاة الظهر أو العصر، وكانت أرزاقهم من عند هذا المفتي[767]، وكذلك بالنسبة للمفتي أحمد زروق بن سيدي عمار[768] الذي جدد ما انهدم من جدار الجامع الأعظم، من ماله الخاص، إلى أن تمّ البناء[769].

---

[760]ـــ المنور مروش، المرجع نفسه، ص: 329.

[761]ـــ حسان كشرود، المرجع السابق، ص: 175.

[762]ـــ **متيجة**: بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد، وهي بلد جليل قديم، على نهر كبير، ولها مزارع ومسارح.ينظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص: 53.

[763]ـــ **الشلف**: هي مدينة أزلية فيها آثار قديمة، قرب نهر ينسب إليها، وهي قريبة من مليانة. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 343.

[764]ـــ حسان كشرود، المرجع نفسه، ص: 175.

[765]ـــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 390.

[766]ـــ المنور مروش، المرجع السابق، صص: 330ـــ331.

[767]ـــ ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 97.

وعرفت الزاوية في بلدة الخنقة، التي يترأسها محمد بن محمد الخنقي[770]، خاصة في عهد هذا الشيخ حركة علمية ودينية وسياسية نشطة، حيث اهتم بالفلاحة والتعمير، وقام بشق القنوات لسقي الأراضي، كما كان له الفضل في بناء مسجد سيدي المبارك سنة 1147هـ/1734م. والذي أصبح منارة علم وصرحا لتلقي المعارف الدينية[771].

هذا بالنسبة للعلماء الأثرياء، أمّا زملاءهم الفقراء، فهم كثر، منهم على سبيل المثال العالم حمودة المقايسي الذي رفض تولي المناصب الحكومية، بعد عودته إلى الجزائر، وفضّل على ذلك حرفة صناعة الأساور، ومنها استمد لقبه، فعاش حياة الفقر والبؤس، حتى مات على تلك الحالة[772]، ولعلّ الفقر كان متفشيا في أوساط العلماء، مما جعل أحدهم، وهو محمد أقوجيل ينصح باشا الجزائر الداي أحمد، بمشاورة العلماء، وتحسين ظروفهم المعاشة، لأنهم حسب قوله :" ضاعوا وجاعوا " في قصيدة[773]، جاء فيها:

شاور ذوي علم ودين ناصح   ودع الغواة وكل ذي تزوير

كم في بلادك من نجيب حافظ   ومشارك في النظم والمنثور

---

[768]ـــ **أحمد زروق:** هو أحمد زروق بن عمار ، ممن كان أهل الديوان والبلدية يقصدونه كثيرا، كانت توليته مفتيا قصد الاستفادة من ثرواته لإصلاح ما تهدم من المسجد الأعظم، لأنه رجل صاحب ثروة ورفعةأ ولّما أتمّ بناء ما الهدم من الجامع، عزلوه سنة 1028هـ/1618م، وعيّنوا في مكانه المفتي سعيد قدورة. ينظر، ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 96.

[769]ـــ ابن المفتي، المصدر نفسه، ص: 96.

[770]ـــ **محمد بن محمد الطيب الخنقي**:(1078ـــ1154هـ/1667ـــ1740م)، هو محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك بن قاسم بن ناجي الخنقي، ينتمي إلى أسرة عريقة ورثت الحكم، والعلم والتصوف، فأبوه حاكم البلدة، وشيخ الزاوية، التي درس فيها، وجده المبارك بن قاسم هو مؤسس بلدة ناجي، تلقى تعليمه على أيديعلماء زاوية جده، ثم علماء تونس أمثال: علي النوري الصفاقسي، تولى رئاسة الزاوية سنة 1107هـ/1696م، اشتهر إضافة إلى علمه باشتغاله بالسياسةن حيث اعتمد عليه في وفادات كثيرة، منها وساطته بين بايات قسنطينة وتونس. عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 358.

[771]ـــ عبد المنعم القاسمي، المرجع نفسه، ص:358.

[772]ـــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص:322.

[773]ـــ توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، ص : 438.

لكن فقدوا الإعانة واغتدوا	ما أن يراعيهم ذوي التأمير
ضاعوا وجاعوا لا محالة وابتلوا	في ذا الزمان الصعب بالتقتير
لا ينبغي أن يحرم الأحباس من	إن يعطيها يعرف بكل ضرور
والبعض يمنحها ويصرفها لدى	شرب الدّخان وخسة وخمور
إني نصحتك والنصيحة ديننا	فاقبل و لم ينصحك دوني خبير

وممّا سبق، فأنّ المفتي احتلّ مكانة مرموقة في مجتمعه، فالناس يحترمونه، ويقدرونه، ويثقون فيه كثيرا، وحتى السلطة أخذت هذه المكانة المرموقة للمفتي في الحسبان طيلة الوجود العثماني في الجزائر، فعملت على كسب ودّه، واستغلاله، في بسط نفوذها في أوساط المجتمع، قصد إخضاع الجميع تحت سلطتها.

5 ــ المكانة العلمية للمفتي الجزائري:

بعد عرض المكانة الاجتماعية التي كان العلماء عامة والمفتون، فما هو المستوى العلمي الذي كان عليه المفتي؟ فهل المفتي في الجزائر كان ناقلا لفتوى غيره، مقلدا إيّاهم، أم بلغ درجة الاجتهاد، وأصبح ويصنع الحكم من معارفه العلمية، وإدراكاته العقلية؟

من خلال تتبع تراجم العلماء، وعلاقاته بمحيطه، وما أنتجه هؤلاء من سواء في الفقه أو غيره، يجد الباحث أنّ المفتين الجزائريين الذين عاشوا خارج الوطن، قد نالوا المناصب المختلفة، مثل القضاء، والفتوى، والتدريس في أهمّ المدارس والجامعات العربية والإسلامية، خلال هذه الفترة من تاريخ الجزائر، وعلى سبيل المثال ممن برزوا في خارج وطنهم: أحمد المقري الذي نال شرف الإفتاء بالمغرب الأقصى، والتدريس بالقاهرة، والسمعة نفسها كانت لعيسى الثعالبي[774] في الحجاز حينما كان الطلبة يحلقون حوله، وينهلون من علمه[775].

---

[774]ــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص ص:261ــ263.

[775]ــ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 295.

أمّا العلماء الذّين فضّلوا البقاء في بلادهم، فمنهم من كانت شهرتهم العلمية تنتشر خارج الوطن بسبب ما ألّفوه من كتب، أو من خلال ما سمع عن علمهم الواسع، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الأخضري الذي اشتهر بكتابه في علم المنطق الذي سمّاه " السلم المرونق" ،ووسعت سمعته الوطن الإسلامي، حيث اُهتمّ بهذا الكتاب، شرحا وتدريسا، في المغرب والمشرق الإسلاميين[776]، والأمر نفسه مع عبد الرحمن المجاجي الذي اشتهر بفضل كتابه المشهور بـــ" المغارسة"[777] الذي انتشر في خارج الحدود الجزائرية، واُعتبر من الكتب الفقهية المهمة الخاصة بموضوع المغارسة، وما يلحق بها.

ومن العلماء الذين كانت سمعتهم اخترقت حدود الجزائر، أبو راس الناصري الذي لُقب في القاهرة بـــ " الحافظ" لسعة حفظه، وملكته العلمية[778]، اعترف علماء المغرب به عالما حافظا، والشيء نفسه لمّا نزل بمصر، والتقى علماءها، وامتحانوه في العلوم التي يحفظها، وخرج من هذا الامتحان سالما، و بعدها قال أبوراس:" ...فألقوا السلم واعترفوا لي بالفضل والنبل، فصرت عندهم لا نجارى، ولا نبارى، ولا يقاس لي عندهم عبارة، ولا يشق لي غبارة، وارتفع ذكري، وازداد فخري، وعلموا أن العلم بين سحري ونحري..."[779]، وكان أبوراس أين ما حلّ يُطرح عليه جملة من الأسئلة العلمية، مثلما زار المدينة المنورة، سُئل عن مسائل عقائدية، فأجاب عنها[780]. وهكذا فأبو راس أين ما حلّ أو ارتحل كان لقاءه مع العلماء

---

[776]ـــ بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، منشورات وزارة الثقافة، ط2، 2009م، ص: 275.

[777]ـــ بالعنوان الكامل هو " التسيير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتضيير أو التمريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج ".

[778]ـــ محمد بوركبة، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري المعسكري، ص ص: 03ـــ 25.

[779]ـــ أبوراس، فتح المنّة، ص: 116.

[780]ـــ أبو راس، المصدر نفسه، صص: 139 ـــ141.

للاستزادة في العلم، كان يثبت جدارته في الإجابة عن الأسئلة التي تُوجه إليه، ممّا يدل على مستواه العلمي الواسع، وكفاءته المعرفية العالية.

كما تدّل أيضا المواضيع التي أفتى فيها العلماء، وأراؤهم الفقهية على علو همّة المفتي الجزائري وبيان مستواه العلمي العالي، فعبد القادر الراشدي لّما أفتى بتحريم التدخين، وبيّن علّة ذلك، وطريقته في التعليل تُبيّن بأنّ الفقيه بلغ درجة الإجتهاد، حيث استعمل القياس في تبرير تحريمه للتدخين، كما أنّه عارض من استباح هذا السلوك[781].

وهناك أيضا أمر آخر يدلّ على شهرة المفتي، نتيجة سعة علمه، ألا وهو ورود الأسئلة عليه حتى من خارج الحدود، مثلما كان الحال مع محمد بن علي المجاجي، الذي كانت الأسئلة تأتيه من المغرب، كما وردت وردت على ابن عزوز بن عيسى الشلفي أسئلة من أهل القدس، يسألونه عن بيان شروط الخلوة، وآدابها[782]، فألّف رسالة سمّاها " هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب"، وهذه الرسالة هي عبارة جواب عن هذه الأسئلة.

والمهتم بأمر الإجازات العلّمية يجد أن علماء جزائريون قد أجازوا نظراءهم في المغرب والمشرق العربين، والمجيز في فنّ أو علم معيّن، أكيد أنّه يكون متفوقا فيه، والمجيزون من الجزائريين كثيرين[783]، على سبيل المثال لا الحصر: العالم عيسى الثعالبي الذي أجاز العديد من طلبته، أمثال: محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي[784]، وغيره.

781_ ينظر، عبد القادر الراشدي، تحفة الإخوان في تحريم الدخان، دراسة وتحقيق: عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 19997م.

782_ حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص ص: 78_ 79.

783_ للمزيد في موضوع الإجازات العلمية، ينظر، لزغم فوزية، الإجاوات العلمية في الجزائر العثمانية.

784_ **محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي**: كان علامة في جميع العلوم، أخذ عن شيوخ كثيرين منهم: عبد الرحمن العمادي، ورمضان المكاري، درّس في الجامع الأموي، توفي سنة 1080هـ/1669م. ينظر، لزغم فوزية، المرجع نفسه، ص: 301.

هذه الأمثلة التي تدلّ على بلوغ المفتي الجزائري درجة علمية كبيرة، له مكانته في الوطن العربي، ولكن هذا لا يغطي على الذين ادّعوا العلم، ونالوا المنصب، مثلما وصفهم الفكون في كتابه " منشور الهداية "، فالمفتون في الجزائر ليس كلهم على قدر واحد من المستوى، ولكن هناك تفاوت في ما بينهم.

6 ــ مهمات أخرى للمفتي:

إضافة عن مهامه الأصلية التي كُلّف بها المفتي، وهي إجابة السائل عن سؤاله المتعلق بأمور دينه، كان يشغل عدة وظائف أخرى، منها:

أ ـــ إمامة الصلاة:

وهي ارتباط صلاة المصلي بمصل آخر بشروط بيّنها الشرع، فالإمام لم يصر إماما إلاّ إذا ربط المقتدي صلاته بصلاته، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الإقتداء[785]، ويرى ابن خلدون أنّها أرفع الخطط الدّينية في قوله:" ...أمّا إمامة الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها، وأرفع من الملك بخصوصه المندرج تحت الخلافة، وقد شهد الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة، في قولهم: ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا؟ فلولا الصلاة أرفع من الصلاة لما صح القياس"[786].

785– الموسوعة الفقهية، مادة: ائمة، ج1، ص: 75.

786ـــ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص: 274.

وإمامة الصلاة وظيفة من أشرف الوظائف الدينية وأرفعها قدرا[787]، وقد وجدت منذ أن فرض الله الصلاة على المسلمين، وقد تولاها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنفسه، ثم تبعه الخلفاء الراشدون من بعده، ولا زالت هذه الوظيفة يقوم بها المسلمون إلى اليوم.

ولأهميتها كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يؤم المسلمين في صلاتهم، وحثّهم عليها، وأمر باتخاذ إماما على ثلاثة فما فوق، وبيّن من هو أحق بها، لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم...)[788]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما بعث أميرا على حرب، كان هو الذي يتولى إمامة الصلاة، وكذلك إذا جعل على مدينة واليا[789]، كان هذا الأخير يؤم الناس في الصلاة، ويقيم فيهم الحدود.

والإمام هو القائد، والمأمومون تابعون له، وهو الذي يقوم بتوجيه المصلين وإرشادهم، بما يلقي عليهم من دروس ومواعظ[790]. فيعلمهم التوحيد، والفقه، ومكارم الأخلاق،

---

[787]ــ فيصل بن بلعيد، القول التمام في مسائل الإئتمام وتصرفات المأموم والإمام، مراجعة وتقديم: محمد طاهر آيت علجت، دار ابن جزم، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص:09.

[788]ــ مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة، رقم: 672، ص: 264.

[789]ــ ينظر، عبد العزيز بن محمد العبلاوي، إمامة المسجد، فضلها وأثرها في الدعوة، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ، ص ص: 24-25.

[790]ــ عبد المحسن بن محمد المنيف، أحكام الإمامة والإئتمام في الصلاة، مطابق الفرزدق، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ/ 1987، ص: 65.

ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويبيّن لهم أحكام دينهم[791]، إذا ما أُشكل عليهم، ويذكِّرهم بأيام الله عزّ وجلّ، فيرغبهم تارة، ويرهبهم تارة، وينبه غافلهم، وينصح مُسيئهم ، ويُصلح ذات بينهم، ويقرب بعضهم من بعض، ويسعى في أسباب المودة والمحبة بينهم، ويحاول إصلاح الخلل الاجتماعي فيهم من الشقاق العائلي، ومنازعات الجيران، ونحو ذلك[792]، وينقلهم من المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى التذكرة والعبرة.

وفي الجزائر العثمانية كان المفتون هم الأوائل المرشحون لإمامة الصلاة في الجوامع، علما أنّ كلهم كانوا أئمة وخطباء في مساجدهم، وهذا ما يزيدهم احتراما من طرف الناس، وتقديرا لهم.

ب ـــ التدريس:

وظيفة التدريس هي من الوظائف التي كان أصحاب العلوم والفنون يقومون بها، وعادة ما تقام هذه المهمة في إحدى المدارس، سواء كانت تابعة للزاوية، أو للمسجد، وكل المفتين مثل أبي راس، سعيد قدورة وغيرهما،كانت لهم حلقات علم يعقدونها، يدرِس فيها، ما جادت به قريحته من العلوم التي يتقن فيها، وعادة ما كانت العلوم الشرعية هي الغالبة، بحكم أنّ المفتي قد بلغ من هذه العلوم درجات عالية.

---

[791]ـــ ابن حسين بن ناصر عسيري، مسؤولية إمام المسجد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـــ، ، ص:13.

[792]ـــ أحمد السليماني، المرجع السابق، ص:71.

وخلال العهد العثماني في الجزائر، اشتهرت عدة حةاضر علمية كتلمسان، قلعة بني راشد[793]، مازونة، مجاجة، مدينة الجزائر، بجاية، قسنطينة وغيرها، وكان المفتون من أهم المدرسين في هذه الحواضر، وسيتم التطرق إلى هذا الموضوع في الفصل الموالي من هذا البحث.

ج ـــ التوثيق:

التوثيق في اللغة يأخذ معنى العهد، والإئتمان، والأحكام والرشد، فيقال: واثق الرجل الرجل بمعنى عاهده، ومنه قوله تعالى: " وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" [794]، وفي قوله عزّ وجلّ: " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا..."[795]، ويُعرَّف التوثيق أيضا أنّه عبارة عن مجموعة من الوسائل التي تؤدي استفتاء الحق، عند تعذره من المدين، أو إثباته في ذمّته عند الإنكار، وتتمثل الوسائل في الرّهن، والضمان، والكفالة[796].

---

[793]ـــ **قلعة بني راشد :** تعرف بهذا الاسم نسبة إلى أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة الذين استوطنوا الجبل المطل على تلمسان، وبنوا هذه القلعة في القرن السادس. ينظر، محمد بوركبة، جوانب من مخطوط:" قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطاتالحضارة الإسلامية شمال إفريقيا العدد:01، 1424هـــ/2003م، ص: 106.

[794]ـــ سورة: المائدة، آية: 07.

[795]ـــ سورة: محمد، آية: 04.

[796]ـــ صالح بن عثمان بن عبد العزيز الهليل، توثيق الديون في الفقه الإسلامي، الإدارة العامة للثقافة والنشر، الرياض، 1421هـــ/2001م، ص:26.

ونظرا لطبيعة البشر باعتباره مخلوق ضعيف معرض للخطإ والنسيان، فإنّ معاملته مع الآخرين خاصة المعاملات المالية التي فيها الاستدانة، وطلب تأجيل دفع الأموال لأجل مسمى أو غير مسمى، وبقاء هذا الدّين في الذمّة مدة طويلة، يجعله معرض للنسيان من جانب الدائن أوالمدين، ممّا قد يؤدي في النهاية إلى الاختلاف، والتخاصم، والتباغض بين الناس، وهذا النهاية غير مرتبطة فقط بالمعاملات المالية، بل بكل المعاملات الأخرى مثل الزواج، الطلاق وما يترتب عنهما من ميراث وغيرها من الأمور.

ومن أجل هذا الأمر، ودفعا للضرر الذي قد يلحق بحق الناس، شرّع الله عزّ وجلّ التوثيق بالكتابة، والإشهاد عليه[797]، لقوله سبحانه وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ ... وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ ..."[798].

والتوثيق في الجزائر العثمانية هي من مهام رجال القضاء، ولكن كان الإمام والمفتي، يوثق بين الناس خاصة في عقود الزواج، أو في الوقف، أو في غيرهما من الأمور التي تحتاج إلى توثيق. وبحضور المفتي فيه حين كتابة العقد، والإشراف عليه[799]، يأخذ الدائن الأمان من

---

[797]-صالح بن عثمان بن عبد العزيز الهليل، المرجع السابق، ص: 30.

[798]ــ سورة: البقرة، آية: 282.

[799]ــ من الأمثلة على العقود التي كان المفتي يشرف عليها، ينظر: الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة 10ــ1 رقم: 04. 172ف. يتضمن بيان رسم عقد بيع بإشراف مفتي الحنفية بالجزائر.

وينظر، علبة 7ــ 1رقم 8، 881ف، يتضمن رسم تحبيس، بإشراف مفتي الحنفية والقاضي بالجزائر

وينظر،علبة 4 ــ 2 رقم 32ــ 7ف يتضمن رسم تحبيس بإشراف مفتي الحنفية بالجزائر.

المدين لاعتبار أنّه أحد شهود الحق والعدل، فالدائن هو الذي يخاف على المعقود عليه سواء مالا، أو غيره، فوجود المفتي يعطي الأمان له، ففي حالة إنكار المدين، يقف هذا المفتي وقفة الشاهد العدل، لذا عادة ما يلجأ الناس إليه في توثيق عقودهم، لثقتهم الكبيرة فيه.

د ــ تسيير الوقف:

يعتبر الوقف في الجزائر العثمانية هو المحرك الفعلي للنشاط الثقافي في الجزائر، حيث كانت تستغل مدخلها في تشجيع الحركة العلمية، من خلال دفع أجرة المعلمين، وحتى الطلبة أحيانا، وكانت هناك مؤسسات وهيئات مختلفة تحبس عليها العقارات المختلفة، مثل الجوامع، والزويا، والأضرحة، والمدارس، سبل الخيرات التي كانت للأشراف، وأخرى خاصة بالحرمين الشريفين.

أما تسيير هذه الأوقاف فكانت تحت إشراف المفتي، أو شيخ زاوية[800]، فكان " كل ما يخص المذهب المالكي بيد مفتي هذا المذهب، فكان له مكتب يتكفل بمساجد المالكية وأحباسها، وكانت بين يديه دفاتر مقيد فيها جميع الأوقاف وجميع الدخل والخرج، فكانوا يسمون ذلك التسجيل بالوقفية "[801].

---

[800]ــ الأمير بوغدارة، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا)، رسالة ماجستير، اشراف: د.أحميدة عميراوي، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1428ــ1429هــ/ 2007ــ 2008 م، ص: 53.

[801]ــ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص:161.

أمّا أوقاف سبل الخيرات التي يعود تأسيسها سنة 999هــ/1584م من طرف شعبان خوجة، وهي في مجملها مخصصة للانفاق على المساجد الحنفية الواقعة بمدينة الجزائر والبالغ عددها ثمانية مساجد[802]، ويعود أمر التصرف في أوقاف سبل الخيرات إلى المفتي الحنفي الذي يتولى الإمامة والإفتاء بالجامع الجديد[803].

و لم تحد الجزائر عن هذه الظاهرة، فقد ضمت كل مدينة منها العشرات من الأضرحة والزوايا، حيث أصبحت معظم المدن الجزائرية تعرف بالولي الأكثر شهرة، وتأثيرا في نفوس أهاليها، فمدينة قسنطينة عرفت بسيدي راشد، ومدينة وهران عرفت بسيدي الهواري، ومدينة تلمسان عرفت بسيدي بومدين، وبعض المدن والمناطق اشتقت تسميتها من اسم وليها، وعلى سبيل المثال مدينة سيدي بلعباس في الغرب الجزائري، ومنطقة سيدي موسى بضواحي مدينة الجزائر[804].

لقد ضمت مدينة الجزائر، وضواحيها عددا كبيرا من الأضرحة، والزوايا، منها ضريح عبد الرحمن الثعالبي، حتى أنها عرفت بمدينة سيدي عبد الرحمن، على أنه توجد أضرحة أخرى مشهورة، كضريح محمد بن عبد الرحمن" بوقبرين "و ضريح محمد الشريف الزهّار، وغيرها، كما اشتهرت بعض الزوايا مثل زاوية الشرفة وزاوية الأندلس، فمعظم هذه الأضرحة والزوايا قد ظهرت في ظل الحكم العثماني، وتزايدت، كما تزايدت أملاكها نتيجة تضاعف الوقف عليها من طرف الناس حكاما ومحكومين[805].

---

[802] ــ المساجد هي: الجامع الجديد، جامع سفير وزاويته، جامع دار القاضي، جامع كتشاوة، جامع الحاج شعبان خوجة، جامع الشبارلية، ومسجد حسين داي، ومسجد علي خوجة بالقصبة. ينظر، ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ص: 241.

[803] ــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ص،ص: 241، 242.

[804] ــ ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص:أ.

[805] ــ ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص:أ.

وهناك من المفتين من جمع بين هذه المهام كلها، مثل الشيخ أبو عثمان سعيد قدورة، الذي تولى الإفتاء المالكي بالمدينة سنة 1028هـ/ 1658م، ثم أصبح خطيبا ومدرسا بجامعها الأعظم، بالإضافة إلى كونه وكيل الأوقاف، مع العلم أنّ أوقاف هذا المسجد قد بلغت حوالي 550 وقفا، كانت تشمل على المنازل والدكاكين والبساتين والمزارع والضيعات، وغيرها، ويعود التصرف فيها للمفتي المالكي[806].

[806]ـــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ص،ص: 241، 268.

الفصل الخامس

دور المفتي في المجتمع

1 ـ دوره السياسي

2 ـ دوره الاجتماعي

3 ـ دوره الثقافي

4 ـ دوره الاقتصادي

بالإضافة إلى المهام الأصلية التي كان يقوم بها المفتي، والمتمثلة في إجابة الناس عن أسئلتهم، كان له دور كبير في مجتمعه، وفي مجالات متعددة، منها:

1ـــ دوره السياسي: نظرا للمكانة التي كان يتبوأها المفتي في مجتمعه، كان له مركز عالي، ودور سياسي كبير، ويظهر هذا في ما يلي:

أ ـــ توطيد الحكم العثماني في البلاد:

لقد كان لعلماء الجزائر الفضل في الوجود العثماني في بلادهم، فهم الذين طللبوا من عروج وأخيه خير الدين مساعدتهم على طرد المحتل الإسباني من سواحل الجزائر، فتحالف هذان الرجلان مع علماء المغرب الأوسط على محاولة تحرير المناطق المحتلّة من طرف إسبانيا، خاصة في مدينة بجاية، وقلعة البنيون بمدينة الجزائر، وتنس، وغيرها من المدن الجزائرية المحتلّة.

ومن الشيوخ والعلماء الذين كانت لهم مكانة في مجتمعهم، الفقيه أحمد بن يوسف الملياني، الذي اتصل به عروج بمدينة وهران عند شاطئ كريشتل، رفقه دليله ومترجمه، ومما قاله الشيخ لعروج " عزمت إذن وأصحابك هجوم العدو"[807]، وكان هذا أول لقاء بين عروج وهذا الفقيه، وعندما استقر خير الدين بربروس بالجزائر، بعد وفاة عروج عام 924هـــ/1518م، أرسل إلى هذا الشيخ هدايا ثمينة، اعترافا بجميله، ومبلغا ماليا قدره 4000دينار، بعدما ساعده ضد الزيانيين، كما خصص له جزءا من الجزية المفروضة على اليهود والمقدرة بثمانية صيعان، عند ذهاب الحجاج إلى الحرمين[808].

وبعد موته، ظلّ أحفاده على الوفاء للنظام العثماني، مساهمين في توطيد سلطة العثمانيين على القبائل، ومقابل هذا بذلت السلطة في الجزائر جهودها في الحفاظ على ذكر اسم الفقيه أحمد بن يوسف الملياني، وتقوية نفوذه روحيا، حتى يكون كالقطب الجاذب،

---

[807]ـــ محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر، ص:204.

[808]ـــ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 16.

المساعد على تهدئة الفتن بين سكان الجبل، وعلى كبح الفوضى المزمنة في قبائل السهل. ولأجل هذا شيّدوا على قبره ضريحا ومسجدا كلاهما فاخر بناهما من مالية باي وهران محمد الكبير المتوفي سنة 1213هـ/1799م أحد حفدة سيدي أحمد بن يوس[809].

كما كان للفقيه أحمد بن القاضي أيضا دور في توطيد حكم العثمانيين في الجزائر، حيث شارك في كل الأحداث الهامة التي عرفتها الجزائر، مثل: حصار بجاية 920هـ/1514م، ودخول مدينة الجزائر سنة 922هـ/1516م، كما كان هذا الفقيه ضمن الوفد الذي بعثه خير الدين بربروس إلى السلطان العثماني سليم الأول، بهدف إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 925هـ/1519م، ولكن العلاقة بين الرجلين ساءت وتدهورت، وأصبح الأصدقاء أعداء، حيث انقلب أحمد بن القاضي على هذا الأخير، وأخرجه من العاصمة، ممّا اضطر خير الدين إلى الانسحاب إلى مدينة جيجل، ولمّا نظّم صفوفه، قفل راجعا إلى مدينة الجزائر، واستطاع أن يقتل ابن القاضي الصديق القديم[810].

كما ساهم أيضا الشيخ عبد الكريم الفكون في توطيد الحكم العثماني في مدينة قسنطينة، حينما حاصرها الجيش العثماني ووقع القتال بينه وبين أهل هذه المدينة، وأمام تفاقم الأمر لديهم، أشار عليهم الشيخ الفكون بعدم مقاتلتهم، والدخول في طاعتهم.

وفي مدينة تلمسان أيضا، وُجد علماء اتصلوا بعروج لإنقاذ مدينتهم من قبضة المحتل الاسباني، بعد التنافس الكبير الذي كان بين أفراد الأسرة الزيّانية الحاكمة حول السّلطة، واستنجاد هؤلاء المتنافسين على الحكم بالإسبان، كما وُجِد علماء آخرون تعاونوا مع العثمانيين في هذه المدينة، أمثال: عبد الرحمن بن محمد بن موسى، والفقيه: سعيد بن أحمد المقري، الذي بقي في منصب الإفتاء والخطابة بالجامع الأعظم، أكثر من خمسة وأربعين سنة،

---

[809]ـــ محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص:108.

[810]ـــ محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر، ص:204

وكذلك المفتي محمد بن أحمد الحلفاوي[811] صاحب أرجوزة فتح وهران الأول، والمفتي أحمد بن زاغو الذي ساند العثمانيين، في ظلّ وجود علماء آخرين عارضوا العثمانيين في مدينتهم تلمسان، أمثال العالم أحمد بن ملوكة، والشاعر الفقيه أبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي[812] التلمساني[813]، حيث هاج في إحدى قصائده الأتراك الحاكمين، هذا مطلعها[814]:

أمن قادر بالله يحمي تلمسانا   فإن بها من قوم ياجوج أخوانا

بني السّد ذو القرنين للناس رحمة   فيا ليته من شوكة الترك هنانا

ب ــ مشاركة المفتي في الديوان:

لكي يقوم الباشا بمهمته الكاملة، كان يساعده عدد من المجالس والوزراء، وديوانان: ديوان عادي، وديوان البحر، فالأول يتشكل من كبار المستشارين من كبار الضباط، وكان يحصر جلساته أغا القمرين، والمفتيان الحنفي والمالكي[815].

ويعتبر المفتي أحد أعضاء الديوان، فكان يحضر إجتماعاته المتعددة، خاصة عند تنصيب الحكام الجدد، ومبايعتهم، ويشير الزهار في مذكراته أنه عند مبايعة أي حاكم جديد،

---

[811]ــ **محمد بن أحمد الحلفاوي**: كان يشار إليه بالبنان في تلمسان، حيث كان مفتيها، وصفه ابن ميمون صاحب " التحفة المرضية"، بــ" رجل تقلد ...الخطابة والتكلم في االإقراء والفتيا، وبلغ من رياسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل من إقبال القلوب عليه وميلها إليه إلى الغاية القصوى، فرأس بها في الفقه، واعتمد قوله في العلم، وشور في نوازل الحكم..". ينظر، محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص: 249.

[812]ــ **أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي**: هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي أصلا، التلمساني منشأ ودارا، قرأ بتلمسان على علماء عصره، ومصره، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى، فأقام بفاس وزار مراكش، واتصل بالسلطان إسماعيل العلوي، وبالغ في مدحه، فأكرمه السلطان غاية الإكرام، ثم عاد إلى تلمسان، وتوفي بها عام 1088هــ/1677م. ينظر، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص: 524.

[813]ــ محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر، ص ص:206ــ 210.

[814]ــ ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 56. وينظر، محمد بن رمضان شاوش، المرجع نفسه، ص: 525.

[815]ــ أبو القاسم سعدالله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ص: 50. وينظر، عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ص: 297.

يُدعى أغا العسكر، وكاهيته، وكافة الديوان، والمفتون، والقضاة، ونقيب الأشراف، وأعيان الناس لمبايعته، فعلى سبيل المثال:" لمّا مرض علي باشا المقلب ببوصباع[816] أوصى بتولية محمد باشا، وكانت وفاته يوم الحادي والعشرين من شعبان سنة 1179هـ‍ـ1766م، وفي اليوم الموالي، اجتمع بدار الإمارة، فجلس محمد باشا على كرسي الملك، وبايعه العلماء، ثمّ نقيب الأشراف، ثمّ الوزراء، وكافة الديوان، وجميع الناس..."[817].

وبعد أن يؤدي الباي الجديد اليمين القانونية، ويحتفل بتعيينه، وعند انتهاء عملية التنصيب يكلف أحد الأشخاص بالذهاب إلى الباب العالي، للإخبار عن وفاة الباشا القديم، وقيام الديوان بانتخاب الحاكم الجديد، حاملا معه رسالة تحمل إمضاء وخاتم كل واحد من أعضاء الديوان، وخاصة القاضي والمفتي ونقيب الأشراف، ويوافق أعيان المدينة على هذا الاختيار، ويشهدون على مقدرة الشخص المعين[818].

وتكررت هذه العملية عند كل تنصيب داي جديد، وحضور المفتين إلى جانب القضاة وغيرهم، دلالة على مكانتهم، ومترلتهم بين هؤلاء الموظفين، ولم يقتصر هذا الحضور فقط في تنصيب الدايات بل حتى البايات.

ج ــ الثورة ضد الحاكم:

---

[816]ــ **عي باشا بوصباع**: تولى الحكم بعد موت محمد باشا سنة 1168هــ/ 1754م، لُقب ببوصباع، لأنه قطع أحد أصابعه إثر تبارزه مع أحد الشباب من الأتراك، في عهده وقع زلزال عنيف دامت هزاته شهرين: نوفمبر وديسمبر من سنة 1755م/1169هــ، إرجاع تلمسان إلى حاضرة إيّالة الجزائر سنة 1171هــ/1757م بعدما استأثر القائد رجم بن البجاوي بها، ينظر، أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، ص: 15.

[817]ــ أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص: 23.

[818]ــ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 94.

لقد كانت العلاقة بين العلماء عامة والمفتين خاصة وبين الحكام، أحيانا جيدة، وأحيانا أخرى سيئة، خلال العهد العثماني، حيث عرفت الجزائر العثمانية عدة ثوارات ضدّ السلطة، كان بعضها المفتون من ورائها.

ومن المفتين الذين ثاروا ضدّ السّلطة، ثورة أحمد بن القاضي في سنة 927هـ/1520م ضدّ خير الدين بربروس، الذّي اضطره إلى ترك مدينة الجزائر والتوجه نحو مدينة جيجل[819]، التي بقي فيها حتى سنة 1525م[820]، ويُذكر أنّ ابن القاضي ساء حكمه في هذه المدينة، إلى درجة أصبح فيها السكان لا يطيقونه، لكون سياسته تتسم بالجفاء والقسوة، استاءت منه كل الفئات الاجتماعية[821]، مما سهل الأمر لعودة خير الدين إلى مدينة الجزائر سنة 932هـ/1525م[822]، بعد المعركة التي وقعت بينهما في ثنية بني عائشة[823]، والتي كانت نهاية أحمد بن القاضي بالموت فيها.

---

819 – يذكر بحري أحمد في بحثه في رسالة ماجستير أن خير الدين طرد من مدينة الجزائر إلى مدينة جربة بتونس بعدما احتلها ابن القاضي، وهو غير صحيح لأن معظم المؤرخين يذكرن جيجل وليس جربة .ينظر،أحمد بحري، الحياة الإجتماعية بالجزائرفي عهد الدايات، إشراف: د. دحو فغرور، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001 / 2002م، ص:11.

820– حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح على الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1412هـ / 1992م، ج3، ص: 163.

821 – ينظر، محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص : 96. وينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص :51.

822 – كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، ص : 46. وينظر:

Mercier. E. Histoire de l’Afrique Septentrionale (Barbarie) depuis les temps les plus recules jusqu’à la conquête .Française .1830 .T3 .E.Leroux. Paris.1891. p :27

وينظر، أرجمونت كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970م، ص : 22.

823 – صالح عباد، المرجع السابق، ص : 51. وينظر، سامح التر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ص :84.

وممّن ثاروا كذلك ضدّ السلطة العثمانية يحي بن سليمان مفتي قسنطينة، الذي كان قد تولى الإفتاء، والتدريس بهذه المدينة[824]، وكان مخالطا لدار الإمارة، يعتقدون فيه الصلاح، ولا يقطعون دونه أمرا في كل مهماتهم[825].

وعرفت منطقة الغرب الجزائري خلال الحكم العثماني عدة ثورات منها: ثورة الطريقة الدرقاوية بزعامة مُقدمها في الجزائر عبد القادر بن الشريف، الذي أستفتى شيخه العربي بن أحمد البوبريجي بالمغرب الأقصى، وأخذ الإذن منه لمحاربة العثمانيين بالجزائر، بحجة بأنّهم " ...كفار لا يصمون ولا يصلون ولا يقومون بأمور الدين ولا يعملون بمبادئ الإسلام، ويظلمون الناس ويحتقرونهم ويهينون العلماء والأولياء..." [826]، ودامت هذه الثورة حوالي عشر سنوات، كادت أن تقضي على الحكم العثماني في هذه الجهة من البلاد، ودارت بين أتباع هذه الطريقة وبين جيش باي وهران عدة معارك، كمعركة فرطاسة[827] في جويلية 1805م/1220هـــ[828]، التي انتصر فيها الدرقاويون، ومن جملة من قتل فيها أحمد بن هطال[829] الكاتب الشخصي للباي، ثم حصارهم لمدينة وهران، ثم معركة أخرى قرب مستغانم سنة 1223هـــ/1808م بقيادة باي وهران بوكابوس[830]، الذي انتصر عليهم[831]، وقضى على شوكتهم.

---

[824]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 73. وينظر، بوشنافي محمد، القضاء والقضاة ،، ص: 151.

[825]ــ عبدالكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص:54.

[826]- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص ص:120-121.

[827]ــ **فرطاسة** : الجنوب الغربي لغليزان، سميت بواد الأبطال تخليدا لانتصار الدرقاوين على الأتراك في معركة وقعت في هذه المدينة. ينظر، ابن سحنون المصدر السابق، ص: 39.

[828]ــ أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ص:26.

[829]ــ **أحمد بن هطال:** هو أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بابن هطال التلمساني، قام بوظيفة كاتب ومستشار لمحمد الكبير باي وهران، ومبعوثه الخاص في المهمات الخارجية. ينظر، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص: 528.

[830]ــ **بوكابوس:**هو الباي محمد الصغير بن عثمان الملقب بعدة ألقاب منها: الرقيق لأنه كان نحيف الجسم، وبالمسلوخ، لكون أغا الجزائر عمر سلخ رأسه وهو حي، وأحشاه قطنا، ولُقب بالمشتمل لأنه كان متشبها بالعرب في الاشتمال بالكسا، ولا يلبس

وكذلك ثورة الطريقة التيجانية بقيادة شيخها محمد الكبير بن أحمد التيجاني ضدّ الباي حسن، بمؤازرة أتباع زاويته، حيث التحق به جمع غفير من السكان، وانتهت هذه الثورة على يد الباي المذكور سنة 1243هـ/1827م بنواحي معسكر[832].

وفي الشرق الجزائري كانت ثورة ابن الأحرش، الذي استطاع أن يخضع مدينة القل وعنابة تحت سيطرته[833]،ثم اتجه إلى مدينة قسنطينة مستغلا خروج بايها عصمان إلى ناحية سطيف لجباية الضرائب، فحاصرها رفقة أتباعه المقدر عددهم بحوالي عشرة آلاف محارب[834]، وكاد يستولي على هذه المدينة، لولا الفوضى التي كانت بين أنصاره بسبب النهب[835]، ولما سمع الباي عصمان بهذا، رجع لينقذ مدينته، وبالفعل استطاع أن يطرد ابن الأحرش، ولكن هذا الأخير تحالف مع أحد مرابطي المنطقة يدعى" الزبوشي"[836]، كان له الدور في انهزام الجيش العثماني، وقتل بايها عصمان، في معركة وادي الزهور[837]. وفي سنة

لباس الأتراك في غلب أحواله، ويكنى أيضا بأبي الكابوس لحمله المسدس دائما، كان شديدا في الحكم، استطاع القضاء على الدرقاويين، كما مثّل بكل من يشتبه في انتمائه إليهم، وبالفعل الذي كان يرتكبه هذا الباي، قتل به، وكانت نهاية سيئة علي يدي أغا الجزائر عمر، الذي قتله في وهران ونكّل به أشد النكل...ينظر، الأغا المزاري، المصدر السابق، ص ص: 328 ـــ336.

[831]ـــ مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص: 71. وينظر، محمد مفلاح، أعلام من منطقة غليزان، ص ص: 53ــ57.

[832]ـــ أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي، المصدر نفسه، ص: 27.

[833] _ - BERBRUGGER, LOUIS, "Un cherif kabyle en 1804" in **R.**A, N°3, 1858., p21

[834] - MERCIER, Histoire de Constantine, S.N.E.D, Alger, 1903.,p485.

[835] _ De GRAMMONT HENRI, histoire d’Algérie sous la domination Turque (1515-1830), E.Leroux, Paris, 1887.,p363

[836]ـــ مرابط رحماني الطريقة مشهورة" برجاس "ناحية ميلة ، كان ناقما على العثمانيين خاصة بعدما إنتزعوا منه إمتيازاته، توفي سنة 1810 م.ينظر، رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 183

[837] - FERAUD, "Zebouchi et Osman bey" in **R.A**, N°6, 1862., p126

1122هـ/1806م كانت نهاية هذه الثورة على أيدي الباي الجديد عبد الله بن إسماعيل[838].

د ـ مساعدته في إخماد الثورات والتمردات:

نظرا للمكانة الاجتماعية المرموقة التي كان المفتي يتمتع بها، جعل السلطة العثمانية، تستغل هذه المكانة في حل الكثير من مشاكلها الداخلية، خاصة في إخماد الثوارات، والقضاء عليها، حيث ساهم العديد من الفقهاء والمفتين في التوسط بين الثائرين، أو المشاركة في محاربتهم.

فقد كان أحمد بن يوسف حليفا للإخوة بربروس، في صراعهم مع بني زيان وحلفائهم الإسبان، وظلّ أتباعه مؤيدين للعثمانيين، كما حافظ هؤلاء على التزامهم له ولطريقته وأولاده وأتباعه[839]، كما ظلّ دايات الجزائر و بايات وهران لا تُخفَ عليهم بأن أحمد بن يوسف ساعد الإخوة بربروس، وأن حفدته الذين ما زالوا على الوفاء للنظام العثماني قادرون على إعانتهم في توطيد سلطتهم على القبائل[840].

كما اتصلت السلطة بالفقيه محمد بن إبراهيم ساسي البوني، لتقديم مساعدته للباشا يوسف، قصد مواجهة ثورة ابن الصخري في شرق البلاد، وذلك لاتساع نفوذه في هذه المنطقة، التي كان هذا المفتي مسموع الكلمة فيها، وكذا الفقيه محمد بن عزوز البرجي الذي كان يُستدعى لحل الخلافات وإخماد الثروات حيث كان الناس يدعونه للصلح بينهم في مشكلاتهم، ويطلب منه أمراء وطنه إخماد الثائرين، فيسعى في تليينهم بعظيم جاهه ولطف قوله، وكان حليما ذا أخلاق عالية، مع الهيبة والوقار.

---

[838]ـ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص ص: 182ـ185.

[839]ـ محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص:105.

[840]ـ محمد حاج صادق، المرجع نفسه، ص:108.

وكان لعبد الكريم الفكون الجد الدورا الحاسم في دخول العثمانيون بلد قسنطينة[841]، حينما تعرض لهم الحسن الحفصي الذي استعان بالإسبان، وأمر وليه بقسنطينة لمنعهم من دخول هذه المدينة، التي انقسم سكانها بين مؤيد للحفصيين بزعامة شيخ الاسلام عبد المومن، ومنتصر للعثمانيين بزعامة الفكون، وكانت هذه الحادثة في سنة 975هـ / 1574م[842]. ومنذ هذا التاريخ اعترف العثمانيون بأسرة آل الفكون، بالفضل في تمكينهم من حكم هذه المدينة، وخصصوا لهم مشيخة الإسلام ومشيخة إمارة ركوب الحجاج للبلاد طيلة العهد العثماني بالجزائر[843].

وفي السنة المذكورة آنفا، حصل اتفاق بين سكان مدينة قسنطينة على تكوين وفد، وإرساله إلى الباشا بالجزائر، ليشرح له أوضاع المدينة المتدهورة، وتألف هذا الوفد من الشيخ عبدالكريم الفكون، والمفتي عبد اللطيف المصباح، وعدد من الشخصيات المعتبرة، وسافروا، واستقبلهم الباشا محمد بن صالح رايس، الذي خلف حسن بن خير الدين، وسمع شكواهم، وتظلماتهم[844].

وفي مدينة قسنطينة أيضا ثار أولاد عبد المؤمن، في يوم 12 أكتوبر 1642م، "...وحملوا السلاح ضد الجنود الأتراك الانكشاريين الذين أهانوهم وأعتدوا عليهم، ودامت المعارك يومين كاملين في الشوارع، وقتل خلق كثير من الجانبين، فتدخل شيخ البلد وشيخ الاسلام والقاضي لدى أغا النوبة، وتم الاتفاق على أن ينسحب الجنود الأتراك إلى ثكناتهم، ويعاقب الجناة من الجانبين"[845].

841ـــ محمد الصالح بن العنتري، الفريدة المنسية ، ص: 27.

842ـــ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص:155.

843ـــ المهدي البوعبدلي، المرجع نفسه، ص:153.

844ـــ محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص: 30.

845ـــ محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص: 38.

ولما دعا صالح رايس إلى الجهاد ضد الإسبان، كان هذا الأخير على خلاف مع أمير بني عباس بمنطقة القبائل يدعى عبد العزيز، استغلّ طلب من العلماء التوسط من أجل المصالحة مع أمير بني عباس وتوحيد الصفوف ضد المحتل[846].

كما ساهم الميزابيون في إخماد ثورة الكراغلة الذي ثاروا على حسين باشا باي الجزائر سنة 1630م، حيث فكّروا في حيلة لإحباط مشروع الكراغلة، ولبس عدد منهم ملابس نساء، وأخذوا أسلحتهم والذخيرة في شكل متاع ثمّ تقدّموا إلى الحصن (برج مولاي حسن)، وبمجرد دخول هؤلاء الرجال المتنكرون هذا الحصن، هاجموا المتمردين، وأخصعوهم، وأحبطوا محاولة تمردهم[847].

وفي 29 أوت 1805م/ 1220هـ، كانت الظروف السياسية في الجزائر مضطربة، حيث كانت الدلائل كلها تشير إلى أن الثورة تهدد مصطفى داي الجزائر، استغل هذا الداي سمعة المفتي محمد بن عبد الرحمن[848]، وأرسله على رأس وفد يتكون من أعضاء الديوان الثكنة، وعرض على الأتراك أن يتخلى عن الحكم إذا سمح له أن يأخذ زوجته وأطفاله، وقسما من أمواله الخاصة ويسافر إلى الشرق[849].

وكذلك استنجدت السلطة العثمانية بالمفتين، للتوسط بينهم وبين النّاس، مساعدتهم على إخماد الكثير من الثورات، والقضاء على الاضطرابات، وذلك لما كان يتمتع به المفتين من احترام وتقدير ، فكان دورهم في تهدئة الحروب والنزاعات بين أهل القرى والأعراش من جهة، ونشر الأمن، والاستقرار في البلاد من جهة أخرى[850].

---

[846]ـ ينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص:75.

[847]ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص:68.

[848]ـ **محمد بن عبد الرحمن:** تولى الإفتاء الحنفي من سنة 1204 هـ إلى سنة 1224هـ. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 74.

[849] ـ أبوالعيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص: 46.

[850]ـ الحسين بن محمد الورتيلاني، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار ـ أو الرحلة الورتيلانية ، ص: 16.

هــ ــ النشاط الدبلوماسي:

إضافة إلى المهمة المكلفة بها المفتي، كان لهذا الأخير ممارسة عدة مهام سياسية، منها قيامه بعدة سفارت إلى الخارج يمثل فيها الباشا، ومن هؤلاء العلماء والفقهاء الذين كانت لهم وفادات إلى الخارج، بأمر من الحاكم صالح رايس[851]، أبوعبد الله محمد الخروبي الطرابلسي[852]، الذي قام بزيارة رسمية للمغرب الأقصى سنة 961هــ/1554م، لترسيم الحدود بينها وبين الجزائر، فاستقبله "....البلاط بما هو جدير به من التجلّة والإكرام، وعقدت للشيخ هنالك مجالس ومحافل، ناظر فيها علماء المغرب، وساجلهم في مباحث شتى من العلم، وقد وُفق هذا العالم في مهمته الأساسية.." [853]، وهي كسب موافقة سلطان المغرب الأقصى على ترسيم الحدود بين البلدين.

ومن أشهر السفارات التي قام بها العلماء في الجزائر العثمانية، سفارة محمد بن العنابي إلى المغرب الأقصى، عقب حملة الإنجليز سنة 1231هــ/1816م، حين أرسله عمر باشا ، وكذلك سفارة هذا المفتي إلى اسطنبول سنة 1232هــ1817م، لطلب المعونة العسكرية من السلطان سليمان،كما كانت للفقيه محمد القوجيلي سفارة أيضا إلى عاصمة الخلافة الاسلامية اسطنبول سنة 1065هــ/1655م، لنقل الحالة التي كانت الجزائر تمر بها عندئذ[854].

---

[851]ــ **صالح رايس:** حكم الجزائر من سنة 1552م إلى سنة 1556م، ضمّ تقرت وورقلة إلى الجزائر، وفي وقته ضمّ تلمسان سنة 1554م، كما استطاع تحرير بجاية، توفي سنة 1556م. ينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص: 28.

[852]ــ **أبو عبد الله محمد الخروبي الطرابلسي:** نزيل الجزائر، كان عالما مشاركا متفننا صاحب التأليف العديدة، كان يصرح برأيه جهارا بلا تردد ولكنه كان صاحب حق وإنصاف، كان خطيبا فصيحا له دراية واسعة في شؤون الإدارة والسياسة،وكان له جاه عظيم لدى ولاة الأمر، عين للسفارة إلى سلطان المغرب الأقصى. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 337.

[853]ــ أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق،ج2، ص:337. وينظر، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 86.

[854]ــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 398.

إلى الجهة نفسها بعث الباي محمد الكبير الفقيهين أحمد بن هطال التلمساني، والقاضي المكي بن عيسى لمقابلة الملك المغربي، والتفاوض معه قصد شراء الأسلحة والبارود[855]، استعدادا لتحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني.

وإلى تونس كانت معظم الوفادات لسبب تسوية المشاكل الحاصلة بين البلدين، ولهذا الغرض، فبعث باشا الجزائر العالم الفقيه علي بن النيكرو على أس وفد، إلى تونس للصلح بينه وبين باي هذا البلد[856]، ومن الفقهاء الذين كان لهم دور كبير في تسوية المشاكل العالقة بين الجزائر وتونس، أيضا الفقيه: محمد بن محمد الطيب الخنقي، الذي امتاز ببراعته في المجال السياسي، حيث" تمّ الاعتماد عليه كوسيط بين بايات قسنطينة وبايات تونس لحل نزاعات كبيرة بينهم، وقد ذاع صيته فنال احترام وتقدير الولاة العثمانيين، الذين عملوا على كسب ودّه، فتلقى ظهائر من أحمد باي والداي مصطفى وحسين باي..."[857]، وكانت مهمته ناجحة في في تذليل الصعاب بين البلدين، وفي تسوية الخلاف بينهم.

و ـــ الجهاد:

يعتبر جهاد النصارى المحتلين للسواحل الجزائرية سببا من الأسباب التي أوجدت العثمانيين في هذه البلاد، كما كان عاملا من عوامل التقارب بين العلماء والعثمانيين، حيث شارك العلماء مع الجيش العثماني في تحرير البلاد، مثلما كان في تحرير بجاية وقلعة البنيون، ووهران.

ومن أمثلة عن العلماء الذين انخرطوا في محاربة المحتل الإسباني: أحمد بن القاضي، الذي قاد رجال جبال القبائل، والتحم مع صفوف جيش عروج، وكوّنوا قوة واحدة في

---

[855]ـــ ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 247.وينظر، بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص: 56.

[856]ـــ أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، ص:138.

[857]ـــ عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:359.

مواجهة المحتّل الإسباني، محاولا تحرير مدينة بجاية في المرة الأولى[858]، والتي كانت في شهر أوت سنة 1512م[859]-918هـ، وانتهت المعارك التي كانت بين جيش المسلمين وبين المحتل الإسباني، بفقدان عروج ذراعه، دون تحرير المدينة[860].

ثمّ تكررت المحاولة للمرة الثانية لتحرير هذه المدينة شهر أوت سنة 920هـ/ 1514م[861] وبمشاركة قائدها وشيخها الفقيه أحمد بن القاضي، وانتهت هذه المحاولة بفشل المسلمين في استرجاعهم مدينة بجاية للمرة الثانية، ولكنهم استطاعوا أن يحرروا بعض الحصون قرب المدينة[862]، وبقيت بجاية تحت وطأة الاحتلال إلى غاية سنة 961هـ/1553م[863].

وكذلك الفقيه إبراهيم السلامي[864] البحري، الذي شارك في حصار قلعة البنيون الذّي فرضه جيش خيرالدين في شهر رمضان سنة 936هـ/ ماي 1530 على الإسبان[865]، وكان احتلال هذه القلعة يشكل خطرا كبيرا، ومباشرا على مدينة الجزائر، "إذ كان

---

858 – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص : 164.

859 – يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500، 1830 م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص:35. وينظر، ناصرالدين سعيدوني، ورقات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م، ص :201.

860 ـــ مؤلف مجهول، خبر قدوم عروج، ص و:06. وينظر، أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص: 331. وينظر:
ـــ DIEGO DE HAEDO – Histoire Rois des D'Alger –traduit de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, revue Africaine, ALGER – 1880 - p :17.

861 – صالح عباد، المرجع السابق، ص:45.

862 ـــ مؤلف مجهول، خبر قدوم عروج ، ص و:10.

863 – أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ج1، ص : 311.

864 ـــ **إبراهيم السلامي: إبراهيم السلامي البحري** أصله من مدينة بوسعادة استشهد بالجزائر في حصار قلعة البنيون الذي فرضه جيش خيرالدين على نصارى هذه القلعة في شهر رمضان سنة 936هـ/ ماي 1530.وضريحه ما زال إلى يومنا هذا المكان الذي استشهد فيه تحت قبة بناها عليه خيرالدين. ينظر، أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج1 ص: 264. وينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 53.

865 ـــ أبو القاسم محمد الحفناوي المصدر السابق، ج1، ص : 264. وينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص :53.

الجزائريون يعتبرون وجود الإسبان فيه إهانة كبيرة لهم، إضافة إلى ذلك، فإن السفن الجزائرية كانت تواجه مصاعب عدة في الذهاب والإياب"[866]. ومن أجل تأمين الجزائر من أي خطر قد يصدر منهم، ففكّر خيرالدين في تحريها، وكان له ذلك[867]، وقد استشهد هذا الفقيه في العمل الجهادي[868].

وكانت للميزابيين مشاركة في صدّ هجومات الإسبانيين سنة 925هـ/1518م، بعدما استشار خير الدين بربروس شيخهم باحيو ابن موسى وأمين الميزابيين في الجزائر بكير بن الحاج محمد بن بكير، وانخرط هؤلاء مع بقية المجاهدين وجنود خير الدين في جهاد الإسبان الذين جاؤوا لاحتلال مدينة الجزائر، وفي نهاية هذه المعركة كان النصر لخير الدين وجماعته في يوم الأحد 24 أوت 925هـ/ 1518م، في حين فرّ الإسبان[869].

لقد بقي تحرير مدينة وهران متأخرا عن باقي المدن الجزائرية الأخرى، ممّا جعل العلماء يدعون السّلطة للجهاد، وتشجيعهم على تنظيمه، من خلال الخطب، والقصائد الشعرية، التي ألهبوا بها حماس النّاس[870]، وقد استجاب الباي محمد الكبير لطلب العلماء، واستعان بهم، في جهاد الإسبان بوهران، حيث بعث الفقيهين أحمد بن هطال التلمساني، لشراء الأسلحة والبارود من المغرب الأقصى[871].

---

[866] - سامح التر، المرجع السابق، ص: 86.

[867] ـــ خبر قدوم عروج، و:28. وينظر، محمد بن رقية، الزهرة النائرة، ص : 72.

[868] ـــ محمد لعباسي، المرجع السابق، ص:54.

[869] ـــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص:79ـــ80.

[870] - يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص:186.

[871] ـــ بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص: 56.

وتمهيدا لتحرير وهران، استعان الباي محمد الكبير بالعلماء في حصار هذه المدينة، حيث كلّف شيخ مازونة الفقيه محمد بن علي الشريف[872] لحث طلبة الزوايا على الجهد والالتحاق برباطات وهران، كما عيّن الفقيه محمد بن عبد الله الجيلالي[873] أميرا على الطلبة المرابطين، والشيخ الطاهر بن حوى نائبا له[874]، وعيّن كذلك ابن سحنون الراشدي[875]، وابن هطال التلمساني، والمكي بن عيسى أمناء على الرباطات، ومهمتهم تتمثل في توزيع العطاء على المرابطين، وعيّن قوادا على المجموعات المرابطة،حيث جعل محمد بن أبي طالب قائدا على طلبة مازونة، ومحمد بن أبي سيف على طلبة الغرابة، وقدور المحلي قائدا للمكاحلية[876].

ومن العلماء الذين شاركوا في الجهاد ضد الوجود الاسباني في وهران الفقيه محمد بن أحمد بن توزنيت التلمساني[877]، والذي استشهد في وهران سنة 1118هـ/1706م[878]،

[872]ـ **محمد بن علي الشريف:** العالم الشهير محمد بن علي بو طالب المازوني، شارك في الفتح العثماني لوهران وعمره ثمانين سنة، بنت له الدولة مدرسة للفقه، ومن أشهر طلبته: محمد بن علي السنوسي، ومحمد أبو راس الناصري، توفي عام 1233هـ/1817م. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 225. وينظر، بوركبة محمد، الشيخ أبوطالب المازوني من خلال مخطوط الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران ، الجزائر، العدد: 05، 2008، ص: 82.

[873]ـ **محمد بن عبد الله الجيلالي:** هو من أكابر علماء الجزائر، اختاره محمد بن عثمان الكبير لإدارة مدرسته المحمدية التي بناها قرب مسجده بمعسكر، كما عينه على رأس رباط وهران، كان من قبل قد ارتحل إلى فاس، فالتقى بعلمائها، واستفاد منهم، ثم رجع إلى وطنه، واشتغل بالتدريس، ثم ارتحل نحو المشرق، والتقى بعلماء الأمصار، وباحثهم في غوامض المسائل، ثم رجع وأصبح من العلماء المدرسين للعلم، تخرج على يده عدد وافر من العلماء، منهم: ابن سحنون. ينظر، ابن سحنون، المصدر السابق، ص ص: 61 ـ 64.

[874]ـ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 152.

[875]ـ **ابن سحنون الراشدي:** صاحب كتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وهو أحد تلامذة الفقيه محمد بن عبد الله الجلالي. ينظر، ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 61.

[876]ـ بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص: 56.

[877]ـ **محمد بن أحمد بن توزينت:** هو أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن القاسم بن توزنيت الموفق العبادي مولدا التلمساني دارا المالكي مذهبا، الصوفي النقشبندي، رحل إلى إلى الحجاز، ودمشق، والمغرب، أخذ فيما ارتحل عن علماء أجلاء أمثال: أحمد بن محمد الشهير بالنخلي المكي، عبد الرحمن بن أحمد الحسني المغربي الشهير بالمحبوب وغيرهما، له من المؤلفات: تقييد،

كما استشهد في الفتح الأخير لوهران المسمّى " هني " الإبن الوحيد للفقيه محمد بن علي بن الشارف المازوني، بعد مشاركتهما فيه سنة 1205هـ/ 1792م[879]، وكذلك عبد القادر المشرفي[880] الملقب بإمام الراشدية، قد شارك هو الآخر في مقاومة المحتّل الإسباني بوهران[881]. كما كان علي بن أحمد المجاجي أبهلول يستقبل المجاهدين، في زاويته لمحاربة الأسبان[882].

وفي سنة 1830م، كلّف الداي حسين المفتي الحنفي محمد ابن العنابي بقيادة الجيش خلفا لصهره أبراهيم آغا الذي أثبت عجزه، وعدم قدرته في مواجهة الحملة الفرنسية، بعد انهزامه في معركة اسطوالي في 19جوان 1830مالموافق ذي الحجة 1245هـ، غير أن الوقت كان قد فات حيث أصبح الجيش الفرنسي على مشارف مدينة الجزائر، التي لم يصبح يفصله عنها إلا حصن الإمبراطور، وهذا المفتي رغم أنه راجل عادل إلاّ أنّه يفتقر للتجارب الحربية[883].

وثبت فيه إجازاته العلمية في علم الحديث والفقه وروايته في علم الإقراء عن المشائخ والعلماء، ويوجد هذا الثبت مخطوطا في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم: 321، وله نظم في علم الإقراء، ويوجد هذا النظم مخطوطا في المكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع تحت رقم: 367. ينظر، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد التلمساني، تقييد على قراءة الإمام نافع من رواية قالون وورش، تحقيق: أبوبكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1430هـ/2009م، ص ص: 07ــ09.

[878]ــ أبوراس، فتح المنّة، ص: 42.

[879]ــ محمد بوركبة، الشيخ أبوطالب المازوني، ص: 82. وينظر، محمد بوشنافي، دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الاسباني عام 1792م، مجلة الثقافة الإسلامية، نصف سنوية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد: 06، 2010، ص:65.

[880]ــ **عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي:** ولد بالكرط قرب معسكر، تعلم ودرّس بها، من أشهر تلامذته: أبوراس الناصري، له عدة مؤلفات منها: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر. ينظر، ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص ص: 412ــ414.

[881]ــ يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص: 231.

[882]ــ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص:232.

[883]ــ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 159. وينظر، بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر العثمانية، ص: 149

وهكذا استجاب العلماء لنداء واجب الجهاد، فقد جنّدوا العامّة، وتقدّموا الصفوف، واحتشدوا في الرباطات المحيطة بالمدينة، وخاضوا المعارك الكثيرة، واستشهد الكثير منهم في ميادين المعارك[884].

ز ــ الاستشارة السياسية:

ونظرا للمكانة السياسية التي كان بعض المفتين يتمتعون بها، كان الحكام يأخذون برأيهم حين يستشارون، فقد كان خير الدين يستشير العلماء مثل الفقيه محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، في الأعمال التي يريد الإقدام عليها، وكان ينفذ أحكامهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه و سلّم – دون أن يستبدّ برأيه، وهو الحاكم ولو اختلف معهم، مثلما وقع مع الأسرى، الذين أوجب القّتل في حقهم من طرف العلماء، بعد محاولتهم التمرّد، فعرض على خيرالدين مائتين ألف دينار مقابل العفو عنهم، فاستشار العلماء في مسألة العفو عنهم فأبوا، فنفّذ خيرالدين حكم الفقهاء، و لم يخالف فتواهم[885].

ومن الأمور التي استشار فيها خير الدين بربروس العلماء، هو طلب موقفهم من حاكم مدينة تنس المدعو حميد العبد، الذي تعاون مع الإسبانيين، فأفتى الفقهاء بقتله[886]، والأمر نفسه أيضا لما كثُر الأسرى في مدينة الجزائر، وحاولوا القيام بثورة فيها، ولكن فطنة خير الدين حالت دون ذلك، فأراد هذا الأخير قبول فدية أهلهم مقابل اطلاق سراحهم.

وقبل القيام بهذا العمل، جمع فقهاء مدينة الجزائر، واستفتاهم في هذا الأمر، وكانت فتواهم هي عدم جواز فديتهم بالمال، بحجة أن هؤلاء الأسرى فيهم من كان من أعيان

---

[884]– يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص:186.

[885] – محمد بن رقية االتلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، رقم: 2603، ص :79 . وينظر، خبر قدوم عروج وخيرالدين، ظ و :11..

[886]ــ محمد بن رقية االتلمساني ، المصدر نفسه، ص:40. وينظر، خبر قدوم عروج وخيرالدين، ظ و :12.

النصارى وزعمائهم، إذا وصلوا إلى بلادهم، استعانوا بهم على غزو الجزائر، ولم يكتف العلماء بهذه الفتوى فقط، بل أفتوا بقتل هؤلاء الأسرى لما بادر من فسادهم، وقطعا لمكائدهم، فامتثل خيرالدين لأمر الفقهاء، ونفّذ الحكم فيهم[887].

والعمل نفسه قام به محمد عثمان[888] باي وهران بعد ما توليته،جيث استشار العلماء عما يفعله مع الخونة المتعاونين مع الإسبان، هل يؤمنهم حتى لا يذهبوا مع الكفار أو يعاقبهم؟ فأشاروا عليه بإعطائهم الأمان، عندها بعث إليهم كتابا يأمرهم بالقدوم إليه، فبعثوا له طالبين منه أن يبعث لهم الأمان مع بعض الشيوخ لتطمئن نفوسهم، فأرسل إليهم مجموعة من العلماء يتقدمهم القاضي عبدالله بن حواء، فقدم معهم البعض آمنين، والبعض الآخر انتظروا ليتأكدوا من سلامة من سبقهم[889].

وكان للعلماء دور في عزل البايات مثل حدث مع صالح باي في آواخر حكمه حين تغيرت سيرته، وسلوكه تُجاه النّاس، فأخذ يظلمهم دون مبرر، ويفرض عليهم الضرائب المرهقة، ولا يراعى أوضاعهم الاقتصادية، وظروفهم الاجتماعية، فظهر ضده معارضوه، وخصوم كثيرون[890]، ناصبوه العداء، واشتكوا إلى الداي حسن باشا بالعاصمة فقام بعزله في ذي الحجة عام 1206هـ / شهر أوت 1792م وعوضه بإبراهيم باي بوصبع[891].

---

[887]ـ محمد بن رقية، المصدر نفسه، ص ص: 15ـ16.

[888]ـ **محمد عثمان باي:** هو محمد بن عثمان الكبير، باي الإيّالة الغربية، فتح وهران، بسط العدل والأمان في زمانه، تولى بايلك الغرب في سنة 1192هـ، وكان من أهل البلاغة والفصاحة، محبا للعلم والعلماء. ينظر، الأغا المزاري، المصدر السابق، صص: 289ـ298.

[889]ـ ابن سحنون، الثغر الجماني، ص:427.

[890]ـ من هؤلاء الذي وقفوا ضدّ هذا الباي: الشيخ محمد الغراب، والشيخ أحمد الزواوي، وبورنان بن زكري، والشيخ سيدي عبيد من الحنانشة، وعدد آخر من النمامشة. ينظر، محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية ، ص: 66.

[891]ـ محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص،ص: 65،66.

2 ـــ دوره الإجتماعي:

لقد ذُكر في الفصل الرابع من هذا البحث المكانة المرموقة التي يتمتع بها المفتي في وسط مجتمعه، فكان مصدر ثقة للنّاس، يلجؤون إليه، في كل مشكلة حلّت بهم، فأصبح مرجعا لحل المشاكل الاجتماعية، بصلحه بين الناس، ومحاربة تلك العادات السيئة المنافية لشرع الله.

أ ـــ حل المشاكل الاجتماعية و الصلح بين الناس:

من خلال قراءة النوازل التي كانت تصل المفتين[892]، يُوجد أن منها ما تتعلق بالأحوال الشخصية، مثل: الميراث، والزواج، والطلاق والحضانة[893]، لبيان وجه الشرع فيه، وبفتوى المفتي يزيل الغموض، كتوضيح حق المرأة في الميراث، أو طلاق الرجل زوجته في حالة الغضب وغيرها ، ومن هذه النوازل أيضا ما تعلق بالمعاملات، أي ما يقع بين الناس في البيع والشراء من الخلاف، الذي يؤدي أحيانا إلى التخاصم لدى رجال الإفتاء، فيبيّنون لهم وجه الشرع في خلافهم، فيفكّون خصوماتهم، ويصلحون بينهم، وغيرها من هذه المسائل الاجتماعية، التي كانت تصل رجال الإفتاء، وكانوا بإجابتهم على هذه الأسئلة قد حلوا الكثير من هذه المشاكل الاجتماعية.

وللمفتي مكانة اجتماعية مرموقة في مجتمعه، فهو محل احترام وتقدير كبيرين من طرف النّاس، فكانوا يثقون فيه، ويأتمرون بأمره، ويأخذون بنصائحه، ولذا كانوا يلجأون إليه

---

[892]ـــ هناك أمثلة عن النوازل التي تناولت موضوع الأحوال الشخصية، ينظر، في الفصل السادس من هذا البحث.

[893]ـ أحمد بن قاسم ساسي البوني ،رسالة في الحضانة، المكتبة الوطية، الجزائر، رقم: 2160، ص: 01.

لحل بعض المشاكل الاجتماعية، كفك الخصومات بينهم، خاصة في فصل الخريف، وهو موسم الحرث والبذر، والذي تكثر المناوشات بين الناس بسبب تداخل حدود أراضي الفلاحين، فقد ذكر ابن المفتي أنّ والده كانت ترد إليه أسئلة كثيرة، ومن أماكن مختلفة، وكانت هذه النوازل تكثر في فصل الخريف، الذي يتزامن مع عملية الحرث والبذر، حيث كان الناس يتخاصمون على الأراضي لحرثها، فيلتجئون إلى المفتي لفك هذه الخصومات[894].

ومن الأمثلة على مساهمة المفتين في حل مشاكل الناس، وإقامة الصلح بينهم، يُذكر الفقيه محمد بن محمد بن الناصر المنصوري الذي كان له الفضل في أخماد نار الفتنة التي ظهرت في منصورة، ونتيجة لهذا التدخل الناجح لهذا المفتي، طلب سكان هذه المدينة البقاء بينهم، "...فبنوا له سنة 1114هـ/1702م دارا للسكنى، وزاوية لطلبته، وجامعا، ومنذ هذا التاريخ انحصرت وظيفة الكتابة والتعليم والإمامة والقضاء بقصد التبرك بنسله..."[895]، والعمل نفسه قام به محمد بن عبد الرحمن المعروف "ببوقبرين"،حينما أصلح بين قبيلة آيت تسعدان وقبيلة آيت اليوسي بمنطقة القبائل[896].

وكذلك أحمد بن يوسف الملياني، الذّي كان يحبّ الاتصال بأهل الرّيف، ويدعو للسّلم، والتصالح بين القبائل المتحاربة، وفي الوقت نفسه كان يبثّ أفكاره الصوفية، ويطلب في الحواضر الاتصال بالعلماء للمباحثة والمذاكرة[897].

وهكذا كان للمفتي الدور الكبير في إحلال السلم بين أفراد المجتمع، بسبب تدخله في الصلح بين الناس، وبثقتهم فيه واحترامهم له، وهكذا كما قال حمدان خوجة: " أما السلم فإنه يتم دائما بتدخل المرابط"[898]، كما أصبحت منازل العلماء محكمة للمتاقدين، وملجأ

---

[894]ـــ ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 36.

[895]ـــ أبو القاسم محمد الحفناوي،المصدر السابق، ج2، ص:422.

[896]ـــ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص: 80.

[897]ـــ محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص:84.

[898]ـــ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 56.

للمتخاصمين، وقبلة للمتصالحين، ومسجدا للمستفتين، ومزارا للمتبركين، وكانت أيضا مدرسة للمتعلمين[899].

أمّا عند بني ميزاب، فكان لمجلس العزّابة دور كبير في المجتمع، يظهر في الإشراف على الجنائز، وتنظيم الأعراس، العقوبات والتعزيرات التي تُطبق على المخالفين لأمر هذا المجلس، وكذلك الصلح بين الناس، مثلما فعله رئيسهم الفقيه عبد العزيز الثميني، الذي وجد العصبية الجاهلية فعلت فعلتها، وانقسم الناس إلى معسكرين، فوحّد بينهم، بصلحه[900].

ب ـــ محاربة الأمراض الإجتماعية:

وتبعا لدور المفتي الإجتماعي، محاربته للأمراض الأجتماعية المختلفة، سواء من خلال الخطب التي يلقيها في المساجد، أو من خلال الفتاوى التي يصدرها، كمحاربة تعاطي التدخين مثلا الذي كان منتشرا في الجزائر، ممّا دفع بعض فقهاء البلاد في إصدار فتاوى تحرم هذه العادة السّيئة، مثل عبد الكريم الفكون الحفيد، وعبد القادر الراشيدي حيث ألّف كل منهما كتابا، يبين فيه أضرار التدخين على صحة الإنسان، وبالتالي حرمة تعاطيه.

وكانت هناك عادة اجتماعية أخرى وقف عندها بعض المفتين، وهي قضية التبرك بالأضرحة، إلى درجة الإعتقاد أن هذه الأخير تبرئ المريض، من مختلف الأمراض الجسدية والعقلية والنفسية، فظهر عبد الكريم الفكون، بكتابه : " منشور الهداية "، الذي دعى فيه إلى الرجوع إلى الدين الصحيح، ونادى بالعمل بالعلم والتعمق فيه، وفهم الحياة فهما عقليا، وكشف أحوال المتاجرين باسم التصوف[901].

---

[899] ـــ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ص: 60.

[900] ـــ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني المصعبي، كتاب معالم الدين، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـــ/ 1986م، ج1، ص ص: 639ـــ 675.وينظر، محمد حسن المهدي، االمرجع السابق، ص: 13ـــ 15.

[901] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـــ/1986م، ص: 06.

والعمل نفسه قام به من قبله الفقيهُ عبد الرحمن الأخضري حينما ألّف كتابه " القدسية "[902] التي يصف فيها حال المجتمع انذاك، في قوله:

هذا زمان كثرت فيه البدع	واضطربت عليه أمواج الخدع
....	....
وهاجت الطائفة الدجاجلة	السالكين للطريقة الباطلة
وكثرت أهل الدعاوي الكاذبة	وصارت البدعة فيهم غالبة
والقوم إذا زاغوا أزاغ الله	قلوبهم فانسلخوا أو تاهوا

لقد وقف هذان الفقيهان ضدّ البدع والخرفات، التي انتشرت في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فكلاهما لم يتوانا في محاربة هذه العادات التي تضر بعقيدة المسلم.

وعند بني ميزاب برزت ظاهرة النكاح السري الذي تفشى في المجتمع الميزابي، ممّا استدعى إلى عقد جلسة لمجلس عزابة، "في الجمعة أواخر صفر 975هـــ/1568م، اتفق عزابة خمسة قصور في روضة الشيخ أبي مهدي عيسى على ثلاث مسائل: الأولى، قد حجروا على العامة والادعاء على من يفتي لهم بالالحاق....والثانية، اتفقوا على إبطال نكاح السر، لأنه كثر وفشا، وحجروا على من يفعله أو يحضره لما فيه من الشرّ وعدم الرشد"[903].

ووقف العلماء كذلك ضدّ ظاهرة تعاطي التدخين، والحشيش ومشتاقتها[904]، من " تبغ" و" شمة" وغيرها، فالفقيه عبد الكريم الفكون، حاربها بتحرمه لمن يتعاطى هذه الأمور، ووقف في وجه من أحلّها من العلماء، في رسالته " محدد السنان في نحور إخوان الدخان"، والموقف نفسه كان للفقيه عبد القادر الراشدي الذي ألّف بدوره رسالة بعنوان:" تحفة

---

[902]- بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص: 194.

[903]ــ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، ص:60.

[904]ــ ستذكر هذه الفتاوى في الفصل السادس تمن هذا البحث.

الإخوان في تحريم الدخان"، وحتى أبي العباس السجلماسي حرّم هذه الظاهرة، بتحريمه لبيع نبتتها، وعند بني ميزاب أيضا كان لعبد العزيز الثميني الدور في مكافحة هذه الظاهرة.

2 ــ دوره الديني والثقافي : لقد كان للمفتي دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر، خلال الفترة العثمانية، ويتجلى هذا النشاط في ما يأتي:

أ ــ نشر الوعي الديني:

لقد كانت العادات والتقاليد هي التي تحكم بين الناس، وإن كانت هذه العادات تُخالف الشرع الحنيف، وذلك لابتعادهم عنه، ممّا جعل العلماء يبادرون في المدن والأرياف والقبائل إلى توعية الناس، وتعليمهم الأسس الحقيقية للإسلام، خاصة وأنّ هؤلاء كانوا مصدر ثقة، واحترام من الجميع، وتأثيرهم بارز في المناطق التي كانت بعيدة عن مراقبة السّلطة، حيث ينعدم الأمن، وتكثر الخصومات، واستعمال العنف بكل أنواعه.

وقد نجح بعض العلماء في إعادة الحق إلى نصابه، فكانوا يفتون فيما جهل الناس من أمور دينهم، ومن أمثلة ذلك: تدخلهم في المناطق التي لم يكن فيها للنساء حق في الميراث، وتشجيعهم لتطبيق نصوص الشرع، فيمّا يخص توزيع الأراضي بين الأشخاص والورثة، والابتعاد عن التقاليد والأعراف، التي تخالف الدّين الحنيف في هذا المجال[905].

وجاهد الفكون في السّبيل الرجوع إلى الدّين الصحيح، ونادى بالعمل بالعلم والتعمق فيه، وفهم الحياة فهما عقليا، وكشف أحوال المتاجرين باسم التصوف، أولئك الذّين لا هم لهم، إلّا ملء الجيوب والبطون، وتكثير الأتباع والخدم، عن طريق تضليل عقول العامة،

---

[905]ــ بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر العثمانية، ص: 78.

والتواطؤ مع الخاصة، ونصرة الظلمة والمستبدين، وكان الفكون يقوم بهذه الحملة بالدرس في المسجد، والتأليف، والمراسلة والإفتاء[906].

وأمثلة عن ما ذكره في محاربته لأهل البدع، وفضح أعمالهم، ما قاله في شأن أبي عبد الله محمد ساسي البوني، "...ويزعم أنّه شرب من كأس الصفوة، وجلس على بساط القرب، وحصلت له ترقيات....لقد جاء شيئا أدا، فلم يستح من المولى جلّ جلاله في دعواه الكاذبة، وترهاته الباطلة،.....ومع هذا لا يقدر أحد على أن يرد قوله، ولا يعارض كلامه، بل هو مسموع عند العامة والخاصة،... وله يوم الختم، محفل من ذكور وإناث، وإنشاد أشعار بالجامع الأعظم، ورقص وغناء ما يقضي بعظيم جرأته وجرأة أهل ناديه وجمعه..."[907].

وكان أحمد بن يوسف يحب الاتصال بأهل الريف، "... ويدعو للسلم، والتصالح بين القبائل المتحاربة، وفي نفس الوقت كان يبث أفكاره الصوفية، ويطلب في الحواضر الاتصال بالعلماء للمباحثة، والمذاكرة"[908]، كما وقف عبد الرحمن الأخضري بمنظومته في آداب السلوك المعروفة بـــ "المقدسية"، التي تحتوي على ست وأربعين وثلاثمائة بيت في وجه المشعوذين، وأهل البدع، والمتصوفة المحتالون باسم الدين، ".. فكشف عن حالهم، ودفع شبهاتهم بردها عليهم، ودحض حججهم..."[909]، فقد حاربهم، وأطلق عليهم لقب علماء السوء[910].

ب ـــ التدريس:

برزت في الجزائر خلال العهد العثماني عدة حواضر علمية، مثل تلمسان، مازونة، معسكر في الغرب الجزائري، وتنس، ومدينة الجزائر، وبجاية في الوسط، وقسنطينة، وعنابة في

---

[906]– أبو القاسم سعدالله، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، ص: 06.

[907]ـــ ينظر، عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص :165.

[908]ـــ محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص:84.

[909]ـــ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص: 80.

[910]ـــ عبد المنعم القاسمي المرجع السابق، ص:192.

الشرق، وغيرها من مراكز التدريس، التي كان فيها المفتون يقومون بوظيفة التعليم والتدريس في المساجد والزوايا، وكانت المواد المقررة في التدريس تختلف من مدرسة لأخرى، وإن كانت كلها تجمع على تعليم العلوم الشرعية، من فقه وتفسير وحديث، وكان بعض المفتين يدرسون العلوم العقلية مثل المنطق، والحساب وغيرها[911].

ففي تلمسان كانت هناك العديد من الزواية التي كانت تهتم بالتعليم، إضافة إلى المساجد التي كانت تعقد فيها حلقات الدروس، مثلما كان عليه الحال في الجامع الأعظم، حين كان سعيد بن أحمد المقري خطيبا به ،ومفتيا، ومدرسا، حيث تخرج عليه جيل من العلماء، من تلمسان وخارجها، منهم على سبيل المثال:أخيه أحمد المقري، محمد العشري الندرومي، أحمد بن عبد الله اليزناسي، محمد بن قاسم الحويل العبادي، وسعيد البطيوي، وغيرهم ممن تتلمذ على يد سعيد المقري الذي تصدى للإفتاء مدة تفوق ستين سنة[912].

ومن الذّين اشتهروا أيضا في تلمسان فقهً وتدريسا، العلامة علي بن يحي[913] السلكسيني الجاديري، وهو واحد من أكابر الأولياء بتلمسان، تولى الإمامة بمسجد أجادير، وكان يدرس فيه العلم من الفجر إلى الضحى، وتخرج عليه جماعة العلماء منهم: أحمد أبركان الزكوطي[914]، أحمد بن الحاج اليبدري، أحمد بن أعراب بن سهلة الراشدي، محمد بن العباس العبادي، موسى بن أبي عمران، سعيد بن أحمد المقري، وغيرهم[915].

---

[911]ــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 193.

[912]ــ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص ص: 151ــ152.

[913]ــ **علي بن يحي السلكسيني**: وصفه ابن مريم بـــ" الفقيه الخطيب العالم العلامة المحقق المفنن الولي الصالح الصوفي، كان محققا في العلوم، وأكثر التحقيق في الحساب والفرائض، كان يدرس بمسجد أجادير بتلمسان، توفي في رجب من عام 972هـــ. ينظر، ابن مريم، المصدر السابق، ص: 167.

[914]ــ **أحمد أبركان الزكوطي**: هو أحمد بن عيسى الورنيدي الزكوطي، المعروف أبركان، كان يقرئ "رسالة" ابن أبي زيد القيرواني، و" مختصر ابن الحاجب الفرعي، و" عقائد السنوسي" وألفية ابن مالك" و" نظم أبي مقرع" و" السلم المرونق"، أخذ العلم عن علي بن يحي. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص: 321.

[915]ــ عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:251.

ومن العلماء الذين بلغوا درجة الإفتاء، ونالوا منصبه الرسمي، الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي، الذي تقلّد بتلمسان " الخطابة والتكلم في الإقراء والفتيا، وبلغ من رياسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل من إقبال القلوب عليه وميلها إلى الغاية القصيا، فرأس بها الفقه، واعتمد قوله في العلم، وشوور في نوازل الحكم، وقعد لتدريس الطلبة، وقصد في أيامه المعتادة للوعظ بالطلاقة والبشر، وهو من أهل الصلاح، والسمت الحسن..."[916]، هذه نماذج عن علماء أفتوا للناس في تلمسان، وعلّموا العلم بها، فتخرج على أيديهم علماء اشتهروا في الجزائر وخارجها بعلمهم.

وفي وهران اشتهر الفقيه أحمد بن تمامي، الذّي كانت تشدّ إليه الرحال، قصد استفتائه، بتدريس الفقه في الجامع الأعظم، وكان مجلسه التعليمي غاص بأهل العلم، حيث كان يملي من حفظه مسودةَ الخرشي من غير أن ينقص منها حرفا أو يزيده على طلبته، الذّين كان عددهم يقترب من الألف طالب، كما كان بعض الناس يحضرون حلقاته قصد التبرك[917]، ومن العلماء الذين تخرجوا عليه، العالم العربي المشرفي، صاحب كتاب" ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة".

ومن المدارس التي اشتهرت في الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، كذلك مدرسة مازونة، وعالمها الفقيه أبو طالب محمد بن علي المازوني، الذي تولى التدريس بالمدرسة الفقهية بعد وفاة والده سنة 1189هـ/1775م، وهو في سن مبكرة، وكانت حلقته العلمية مميزة حافلة بالطلبة، وكان يدرس طلبته مختصر الشيخ خليل، وشرحي الخرشي والزرقاني، كما كان يدرسهم الرقائق، ورواية الحديث الشريف، وحفظ السند[918].

---

[916]ـــ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص:249.

[917]ـــ العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، ص: 25.

[918]ـــ محمد بوركبة، الشيخ أبوطالب المازوني، ص: 82.

وقد تخرج على يد أبي طالب محمد بن علي علماء أجلاء، من بينهم: الشيخ محمد بن علي السنوسي، محمد أبي راس الناصر المعسكري، أحمد بن عيسى المستغانمي، وغيرهم[919].

وفي معسكر اشتهر أبو راس الناصري بعلمه الواسع، وكانت حلقة درسه كبيرة، "..حتى أن المسجد ورحابه كان يضيق بطلبة العلم..."[920]، وفي الجهة نفسها من الجزائر، برزت شخصية عبد القادر المشرفي الملقب بإمام الراشدية، كان متظلعا في علم الأصول والفروع، اختاره مصطفى بن مختار للتدريس في زاويته بالقيطنة، ثم أسس لنفسه زاوية دينية بمسقط رأسه الكرط، لتعليم الطلبة الذين كانوا يقصدونه لهذا الغرض، حيث وصل عددهم في بعض الأحيان مائتين طالب علم[921].

ومن الفقهاء الذين ذاع صيته في الجزائر عامة وفي غربها خاصة، الفقيه مصطفى الرماصي، الذي أصبحت الفتوى في عصره تُرجع إليه، وهو من أبرز العلماء المدرسين بالرباط، الذّي أُقيم قرب وهران، تمهيدا لتحريرها من الإسبانيين[922].

وفي مدينة الجزائر كان المفتي أبو عثمان سعيد قدورة، تصدى للإفتاء مدة تفوق الستين سنة، كما جلس خلالها للتدريس، فتخرج عليه عدد كبير من العلماء، منهم: ابنه محمد قدورة، الذي خلف والده في الإفتاء، ويحي الشاوي، الذي قيل فيه أنه " كان آية في الحفظ وتقرير المسائل العلمية، وتحريرها، متمكنا ضليعا من علوم التفسير والفقه والأصول والمنطق

---

[919]ــ محمد بوركبة، الشيخ أبوطالب المازوني، ص: 83.

[920]ــ أبو راس الناصري، الكوكب الدري في الكلام على الجدري، تحقيق: بوكعبر بلقرد، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1425هــ / 2004م، ص: 12.

[921]ــ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 132.

[922]ــ أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي، المصدر السابق، ص:68. وينظر، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ص:230.

واللغة والبيان"[923]، ثم ارتحل وجال في كل من الشام ومصر ثم تركيا، التي كانت له فيها مشاركات بالمناقشة والبحث في المجلس العلمي[924].

وممّن تخرج على يدي المفتي سعيد قدورة الفقيه عيسى الثعالبي، الذي أصبح عالما مدرسا للحديث الشريف بمكة المكرمة، ومشهورا بين العلماء فيها[925].كما كان سعيد قدورة يستقبل أيضا طلبة من الصحراء، حيث درس عليه البكري بن عبد الكريم[926]، مؤسس الطريقة البكرية بتمنطيط[927].

كما كان المفتي محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى المعروف بالنيقرو، الأندلسي الأصل، الجزائري المنشأ والولادة والقبر، الذي تولى الإفتاء المالكي في 27 ذي القعدة 1150هـ/1727م ، وكان يجمع بين الفتوى والخطابة والتدريس بالجامع الأعظم ورواية الحديث بزاوية الأندلس وقت الزوال في ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان[928]، وفي زاوية القشاش كان شيخها يعطي الدروس في الفقه والعقيدة[929].

وأمّا في الشرق الجزائري، وفي قسنطينة فاشتهرت عائلة الفكون خلال العهد العثماني بنيلها المناصب المختلفة، كما كانت تسير زاوية تستقبل الطلبة، من قسنطينة، ومن منطقة زواوة، ومدينة الجزائر، وكذلك نواحي الزيبّان، وعنابة، أمّا المواد التي كان يدرسها الطلبة،

---

[923]ــ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص: 173.

[924]ــ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع نفسه، ص: 174..

[925]ــ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع نفسه، ص ص:169ــ 172.

[926]ــ **البكري بن عبد الكريم**: ولد سنة 1042هـ/ 1632م، أخذ علم النحو عن محمد بن علي الوجروتي، وعن سعيد قدورة، وعن محمد القاضي التواتي، له إجازة من الديار المصرية عن الخرشي، أخذ الصوف عن محمد بن عمر البداوي، تولى مهنة التدريس ببلده، كما تولى القضاء بتوات ثمّ كافة الصحراء، تميز باجتهاداته في سائر العلوم، توفي عام 1133هـ/1720م. ينظر، محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ص:275.

[927]ــ لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 84.

[928]ــ ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 14.

[929]ــ مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 47.

هي النحو والتفسير، والفقه، علم الكلام، وصحيح البخاري، ومن الفقهاء الذين درّسوا بها المفتي عبد الكريم الفكون، وبالإضافة إلى التدريس في زاوية عائلته، وتخريج الطلبة منها، جلس للمهمة نفسها في الجامع الكبير بقسنطينة[930].

ومن العلماء المدرسين بقسنطينة المفتي محمد بن علي الجعفري الذي تخرج عليه علماء مفتون منهم: أحمد ساسي البوني، وشعبان بن عباس المعروف بابن عبد الجليل القسنطيني الذي أخذ عنه: صحيح البخاري، وألفية ابن مالك، ومختصر خليل، وألفية العراقي في علم الحديث، والمحلى في الأصول والصغرى للسنوسي، بالإضافة إلى علم الفلك[931].

هذه نماذج من المفتين الذي كانت لهم حلقات الدرس سواء في مساجد مدينة قسنطينة، وهي كثيرة جدا، أهمها الجامع الأعظم[932]، أو في الزوايا العديدة المنتشرة في هذه المدينة[933].أمّا عند بني ميزاب فكان للمفتي الدور الكبير في تعليم التلاميذ، وتربيتهم، العلم والأدب معا، وهو المشرف على هيئة العزّابة في تنظيم الدروس، وإلقاء المحاضرات[934].

لقد ساهم المفتون في الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية، من خلال جلوسهم لتعليم الناس ومنهم الطلبة، فكان لكل مُدرس تلاميذ يتلقون العلوم المختلفة، التي غلب عليها العلوم النقلية، خاصة الشرعية منها، أمّا العلوم العقلية فكان علم المنطق والحساب، في حين كانت دراسة الطب قليلة جدا خلال هذا العهد[935]، إلاّ ما ذُكر بعض العلماء الذين اهتموا بهذا

---

[930]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص:11.

[931]ــ أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:43.

[932] _Ernest Mercier ; Histoire de Constantine ; J.Marle et F .Biron ;Imprimeurs – Editeurs ; constantine ;1903 ;pp :216-225.

[933]ــ لزغم فوزية،المرجع السابق، ص: 100.

[934]ــ ــ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني المصعبي، كتاب معالم الدين، ج2، ص : 742.

[935] _Lucien Raynaud ;Hygiene et Pthologie Nord Africaines ; Masson et Cce éditeurs Libraires de L'Académie de médicale ;Paris ; 1898.p :210.

العلم، أمثال ابن حمادوش الجزائري، والمفتي سعيد المقري، الذي كان يدرّس الطب[936]، وعلى العموم ساعد هؤلاء المفتون على بروز عدة وجوه علمية كان لها شهرة كبيرة في الجزائر وخارجها، كما كان لهم الدور الكبير في نشر العلم والثقافة في البلاد.

ج ـــ التأليف:

لقد كان إنتاج العلماء والفقهاء في الجزائر خلال الفترة العثمانية، يطغوا عليه الاهتمام بالعلوم الشرعية المختلفة، كالفقه وأصوله، والحديث الشريف، والتفسير، والقراءات، والعقيدة، أكثر من العلوم الأخرى مثل: التاريخ والرياضيات والمنطق وغيرها.

ففي ميدان الفقه، ألّف مصطفى الرماصي فقيه بلاد الراشيدية المتوفى سنة 1137هـــ/1725م حاشية على التتائي، كان يعتمد عليها الدردير والبناني الفاسي في شرحهما على مختصر خليل[937]، كما خلّف الشيخ أبو طالب المازوني مؤلفا بعنوان:" درة الحواشي في حل ألفاظ الخرشي" وهي حاشية على شرح الخرشي على مختصر خليل، إضافة إلى رسالة في علم التوحيد[938].

ولعبد الرحمن الأخضري كُتُيب[939] في فقه العبادات، خاصة في الطهارة: الوضوء والتيمم والغسل، والصلاة، كما ترك مفتي مدينة الجزائر السيد: مصطفى بن رمضان العنابي

---

[936]ـــ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج3، ص: 191.

[937]ـــ المهدي البوعبدلي، االمرجع السابق، ص:171.توجد نسخة من لحاشية الرماصي على التتائي لمختصر خليل في مكتبة زاوية الهامل ببوسعادة ولاية المسيلة، تحت رقم: 51ف، وهي في جزئين، عدد أوراق الجزء الأول 298 ورقة، والجزء الثاني به 180 ورقة.

[938]ـــ محمد بوركبة، الشيخ أبو طالب المازوني، ص: 83.

[939]ـــ طبع هذا الكتيب عدة مرات منها: طبعت مرة بعنوان" مختصر الشيخ سيدي عبدالرحمن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس "، قام بتصحيح وضبط الألفاظ: التجاني المحمدي، طبع في 42 صفحة بمطبعة المنار في تونس سنة 1374هـــ، أمّا النسخة الثانية منه، فهي بعنوان: " متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك"، نشر في 24 صفحة بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر دون ذكر تاريخ هذا النشر.

الحنفي عدة مؤلفات منها: أرجوزة في الفقه الحنفي، وكتاب "الروض البهيج بالنظر إلى أمور العزوبة والتزويج"[940].

وللمفتي خليفة بن حسن القماري مؤلف عنوانه" الكنش" وهو عبارة عن "مجموعة من المسائل والفتاوى الفقهية، يقع هذا الكتاب في حوالي ثلاثمائة صفحة من القالب الكبير، ولكن عبثت به كف الأيام، فأمسى الآن في خبر كان، أو مما ليس في الإمكان"[941]،

ولعبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي ألّف في فقه المعاملات كتابا خاصا بالمغارسة بعنوان" التسيير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتضيير أو التمريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج"، وقد قسّمه إلى ثلاث مباحث: المغارسة، التوليج والتصيير.

ولأبي راس حوالي إحدى عشر كتابا في الفقه المالكي وأصوله، منها: " درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزقاني والخرشي" في أربعة أسفار، و " النظم العجيب في الفروع التي حل فيها النص مع كثرة الوقوع"، وكتاب" السيف المحلي على شرح المحلي" وغيرها من الكتب التي تركها أبوراس في هذا العلم[942].

أما في علم القراءات برز أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد التلمساني، الذي ألّف نظما في علم الإقراء، وله تقييد على قراءة الإمام نافع[943]، وللفقيه الإباضي إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسجيني تفسير لبعض السور القرآنية، مثل: " تفسير سورة الفاتحة "، و" تفسير سورة العصر"، و " تفسير آيات

---

[940]ـــ ينظر، أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص: 15. وينظر، ابن سحنون، المصدر السابق، ص:75.

[941]ـــ محمد الطاهر، المتليلي إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري المتوفي 1207هـــ/1792م، تحقيق: أبوالقاسم سعد الله، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2010، ص: 35.

[942]ـــ محمد بوركبة، المرجع السابق، ص: 21.

[943]ـــ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد التلمساني، المصدر السابق، ص:08.

النور من سورة النور"[944]، وغيرها من مؤلفات فقهاء الجزائر سواء أكانوا مالكي المذهب، أو حنفيين أو إباضيين.

وفي علم الحديث: لقد اشتهرت عائلة ابن العنابي في التأليف في علم الحديث، حيث قام المفتي أحمد بن قاسم البوني[945] ، بتأليف كتب كثيرة منها **:**" مختصر مقدمة فتح الباري على صحيح البخاري" ، "فتح الباري بشرح غريب البخاري" ، " التحقيق في أصل التعليق"، " الإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه" . وترك ولده محمد نظميين: الأول: نظم كتب صحيح البخاري، والثاني: نظم كتب صحيح مسلم.

كما قام الفقيه المحدث ابن أبي جمرة باختصار صحيح البخاري في مجلد، وكان مختصره مشهورا متداولا بين الجزائريين. وقد شعر عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي أن هذا المختصر في حاجة إلى شرح يضبط ألفاظه، ويقرب معانيه، فقام بعمل ضخم بهذا الصدد، وسمّى شرحه "فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها ابن أبي جمرة من صحيح البخاري" [946].

---

[944]ــ إبراهيم بن بيحمان الثميني، أصداف الدّر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، ص: 02.

[945]ــ **أحمد بن قاسم البوني:** هو أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي البوني، أبو العباس، من كبار فقهاء المالكية، عالم بالحديث، ولد ببونة سنة 1063هــ/1653م، رحل إلى مصر، فأخذ عن علمائها، أمثال: عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، وأبي زكريا يحي بن محمد الشاوي، بعد عودته من الحج، وتصدّر للإقراء بالأزهر، ثم عاد إلى وطنه، فأخذ عن مجموعة من العلماء، منهم: عبد الراشدي، ترك البوني كتبا كثيرة منها: " فتح الإغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق" و " فتح الباري في شرح غريب البخاري" و الإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه".... ينظر. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، صص: 49 ــ50.

[946]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، ج2، ص:30. وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط، برقم: 1775ك.

ونظّم أيضا محمد بن علي المعروف بأقوجيلي الجزائري منظومة سماها "عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع"، وهي منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري، وعدد الأحاديث، الّتي لكل منهم، ومن هو المكثر، ومن هو المقل[947].

أما في العقيدة فقد كتب محمد شقرون الوهراني [948] الموسومة بـــ " الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين" تناول فيه مسألة إيمان المقلد في العقائد العاجز عن معرفة البراهين، وينطق بالشهادتين لا أكثر: هل إيمانه صحيح أم هو كافر وإيمانه فاسد؟ وهل تصح إمامته وشهادته أم لا؟ وهل العوام مقلّدون؟[949]

وفي مجال الأدب العربي وفنونه، كان بعض المفتين شعراء، أمثال ابن علي وغيره، قد أغنوا الساحة الأدبية والعلمية بروائع الشعر في مختلف أنواعه، من الشعر السياسي، والغزل والمدح، وغيره من باقي ألوان الشعر، ولعلّ أهم حادث جذب الفقهاء في شعرهم، هو احتلال وهران من طرف الاسبان، فكتبوا الشعر لدعوة الحكام لتنظيم الجهاد، وتحريضهم عليهم من جهة، وإلهاب حماس الناس للمشاركة فيه[950]، وبعد أن استطاع المسلمون الجزائريون من تحرير

---

[947]ـــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، ج2، ص:32.

[948]ـــ هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن بوجمعة المغراوي الوهراني، تتلمذ على عدد من الشيوخ منهم: والده أبو العباس أحمد بن أبي جمعة، أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني، صاحب :" المسائل الحسان المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان" ، والشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي، والشيخ محمد بن العباس صاحب شرح في المسائل المشكلات في مورد الطمآن"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن بوجمعة عدة مصنفات منها:- تقريب النافع في الطرق العشر لنافع (عبارة عن نظم) – تقييد على مورد الظمآن – الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين – قصيدة طويلة في رثاء شيخه ابن غازي – فهرست الشيوخ – المنظومة الشقرونية. ينظر، إدريس مقبول، الوسطية عند علماء الجزائر، قراءة في كتاب " الجيش والكمين لمن كفّر عامة المسلمين" لأبي عبد الله محمد شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعه الوهراني، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، عدد: 06، 2010، ص ص: -90-91.

[949]ـــ محمد شقرون الوهراني، الجيش والكمين لقتال من كفّر عامة المسلمين، تحقيق ومراجعة: قسم التحقيق بدار الطبع، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، مصر، ط1، 1412هـــ/1992، ص:05.

[950]ـــ أحمد توفيق المدني،حرب الثلاثمائة، ص: 437.

هذه المدينة، نظموا قصائد فرحا بهذا الفتح العظيم، ومن أمثلة على ذلك: الشاعر محمد أقوجيل الجزائري الذي خاطب الداي أحمد باشا على استرجاع مدينة وهران في قصيدة[951] جاء فيها:

ولتلتفت نحو الجهاد بقوة   والكفر أقطع أصله بذكور

جهز جيوشا كالأسود وسرحن   تلك الجواري في عباب بحور

أضرم على الكفار نار الحرب   لا تقلع ولا تمهلهم بفتور

وبقربنا وهران ضرس مؤلم   سهل اقتلاع في اعتناء يسير

كم قد آذت من مسلمين وكم   سبت منهم بقهر أسيرة وأسير

إلى أن قال:

بادر بنا نغزو العدو وسرعن   في حسم شوكتهم وفي التدبير

وأمر جيوشك بالتهاب للعدا   والحزم حرض عزمهم بنفير

وكذلك الفقيه محمد بن عبد المؤمن الذي حرّض الداي حسن الشريف باشا في قصيدته[952]:

نادتك وهران فلب نداها   وانزل بها لا تقصد سواها

واحلل بهاتيك البطائح والربى   واستصرخن دفينها والأواها

---

[951]ــ أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص: 438.

[952]ــ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص : 439.

واستدع طائفة العساكر نحوها يغزوها وليترلوا بفناها

....

أضحى الصليب مؤيدا والدين قد درست معالمه فلست تراه

جعلوا بها الناقوس في أوقاتهم بدل الأذان وغيروا معناها

كم من أسير حولها لايفتدى كم من فقير حل في مثواها

....

أنت الأمير المرتجى لكريهة يوم الترال فأنت قطب رحاها

جرد ضباطك لمحق آثار العدا حتى ترى الإسلام في مغناها

وادع الغزاة لفتحها مستنجدا وانهض إليها وانزلن مرساها

أنا شدكم بالله ما عذر كلكم لدى الله في وهران أمر الخنازير

أذلكم الله كيف رضيتم بسبي العذارى من بنات الأكابر

وكذلك ابن سحنون، الذي يعتبر من شعراء البلاط في الجزائر العثمانية، هو الآخر كان له دور في حثّ الحكام على الجهاد[953]:

يا أمّة غابت عليها حلومها وأصبح داعي المشركين يسومها

لها همم مقصورة عن سفالة وما وجدت من ناسها من يلومها

كساها طلاب المال ثوب مذلة فصالت عليها واستجاشت خصومها

---

[953] ـــ ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 162.

ألا يقظة من رقدة طال وقتها   فلا أحد في العالمين يلومها

إلى أن يقول:

فكيف بأرض الشرك وهي منازل   بدا حسنها عن ساكنيها وشومها

فلا ترهبوا من مانعات حصونها   ففي عزمها ما لا تقاوم رومها

هذه بعض القصائد التي حثّت الحكّام على الجهاد، قصد تحرير مدينة وهران، ولّما استطاع محمد بكداش في فتحها لأوّل مرة، وعمّت الفرحة في كل الربوع الإسلامية، سجّل الشعراء ومنهم الفقهاء حضورهم في هذه المناسبة العظيمة، بقصائدهم مستبشرين بالفتح المبين، ومن هؤلاء: قصيدة[954] العلامة محمد بن محمد بن علي بن المهدي، التي قال فيها:

فقيض للفتح المبين مهندا رقيق   الشبا صلب الصفيحة صارم

إمام سقى الكفار كأس منية   لهم شبه بالنمل والسيف حاطم

لقد صال فيهم صولة هاشمية   فأمرهم في الحرب حيران واجم

ومزقتهم في الأرض كل ممزق   فربعهم بعد العمارة طاسم

وعاد لوهران السنية ريها   وحنّ إليها عهدها المتقادم

وليهن أمير المؤمنين افتتاحها   فقد سجعت تثنى عليه الحمائم

كما شارك الشيخ محمد أبو عبد الله التغيرلي ـــ وهو من مدينة الجزائر ـــ في فرحة الجزائريين بفتح وهران بقصيدة[955]، قال فيها:

الحمد لله الذي فتحا   وهران من أيدي الرجال الصلحا

---

[954]ـــ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص : 470.

[955]ـــ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص : 471.

وقهر القوم اللّئام الفجرة　　　　ورفع الاسلام فوق الكفرة

إلى قوله:

يا سائلا عما بوهران ظهر　　　　من أخذها وفتحها كما اشتهر

أخذها الكفار بالثبات　　　　ممّا رويناه عن الثقات

سنة أربعة وعشرة مضت　　　　من بعد تسعمائة قد كملت

فمئتان مع خمسة سنين　　　　عدد مكثها بأيدي المشركين

ثمّ بعد العزم من الإله　　　　قد جاءنا الفتح بنصر الله

....

وللمفتي خليفة بن حسن القماري كتاب سمّاه:" جواهر الإكليل نظم مختصر خليل" وهو عبارة عن نظم لمتن المختصر الفقهي لخليل بن اسحاق المالكي، تقع في تسعة آلاف وثمانمائة وسبعة عشر بيت من الرجز السلس والأسلوب السهل[956].

وللفقيه عبد الرحمن الأخضري تأليف في فنون البلاغة، بعنوان " الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" وهي أرجوزة[957] في البلاغة، عدد أبياتها 295 بيت[958]، مع العلم أن هذا المفتي ترك جُل مؤلفاته نظما، مثل "القدسية"، و"السلم المرونق". ولأبي راس المعسكري كتاب " الحلل الحريرة في شرح المقامات الحريرية "[959].

---

[956]ـــ محمد الطاهر المتليلي، المصدر السابق، ص: 31.

[957]ـــ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص:80.

[958]ـــ توجد نسخة مخطوطة لهذا التأليف في مكتبة الهامل في بزسعادة تحت رقم: 08ب.

[959]ـــ توجد نسخة في مكتبة الهامل تحت رقم: 10ن، ونسختان في المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر تحت رقم: 1893، ورقم: 1894.

من المفتين الذين اهتموا بالتاريخ، أبو راس الذي عدة مؤلفات: على سبيل المثال: " عجائب الأسفار في لطائف الأخبار"[960]، و" لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان"[961]، " الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية..."[962]، وغيرها من الكتب التاريخية الكثيرة التي تركها أبو راس، التي نازهت المائة وخمسون مؤلفا في معظم العلوم والفنون.

وفي العلوم العقلية اهتمّ بعض المفتين في الجزائر العثمانية أيضا بالتأليف فيها، كالمنطق، والرياضيات والفلك، فقد برز في علم المنطق عبد الرحمن الأخضري، واشتهر به أصبح يُشار إليه بصاحب السُلّم، أي نسبة لكتابه:" السلم المرونق "، وهو نظم جاء في 143 بيتا. وهو أبرز ما كتب في هذا الفن، خلال العهد العثماني، ونظرا لقيمته، وأهميته، أهتم العلماء بشرحه، وتدريسه لطلبتهم، في داخل الوطن وخارجه، مثلما اهتم به المفتي سعيد قدورة الذي قام بشرحه[963].

ولعبد الرحمن الأخضري أيضا كتاب" الدرة البيضاء " ألفه نظما في خمسمائة بيت في الفرائض والحساب، وقسّم هذا النظم إلى ثلاثة أقسام: الحساب، والتركات، والقسمة، وكانت وفاته سنة 982هـ/1574م[964]، وترك كذلك هذا العالم في علم الفلك منظومة في

960ــ هذا الكتاب قام بتحقيقه وطبعه.الدكتور محمد بوركبة، وهو أستاذ بقسم الحضارة الإسلامية، بجامعة وهران.

961ــ قام بتحقيقه وطبعه الدكتور حمدادو بن عمر، أستاذ بقسم التاريخ، جامعة وهران،

962ــ قامت سليمة بنعمر بتحقيق هذا الكتاب.

963ــ توجد ثلاث نسخ من هذا الشرح في المكتبة الوطنية بالحامة الجزائرتحت أرقام: 1418، 1427، 1430، ونسخ في مكتبة الهامل تحت رقم: 36ك.

964ــ يحي سعيدي، جهود الجزائر في خدمة الفقه المالكي إبان الحكم العثماني، أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي، المدرسة المالكية الجزائرية، تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة ، ولاية عين الدفلى أيام 18ــ19ــ20 ربيع الثاني 1430هـ/ 14ــ15ــ16 أفريل 2009م، ص: 260.

العمل بالإسطرلاب، سمّاها: " أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب "، وتأليفا آخر في الفن نفسه بعنوان" السراج"[965].

ومن المفتين الذين كانت لهم إسهامات في العلوم العقلية، كذلك أبوراس، الذي ترك مؤلفه:" شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف "، وهو في علم الفلك والحساب[966].

ويّذكر أيضا أنّ العالم عبد اللطيف المسبح كان فقيها فرضيا، " ....تولى الإفتاء بقسنطينة،وكان مرجوعا إليه في وثائق أهلها، توفي بها،وهو من أكبر علماء الرياضيات والحساب والمنطق، وله عدة مؤلفات، منها: شرح مختصر عبدالرحمن الأخضري،"[967]، قال عنه عبد الكريم الفكون:".... وكان الحساب أغلب عليه من غيره، مدرسا في الفقه صاحب تفنن فيما يُحتاج إليه من الوثائق، وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبدالرحمن بن صغير... "[968] ولكن لم يُعثر على أي تأليف لهذا الفقيه في العلوم العقلية، وإنّما ذُكر في هذا الموضع لبيان أن فقهاء الجزائر خلال العهد العثماني، قد اهتموا أيضا في العلوم المجردة.

وكثرة النوازل الفقهية التي كانت تصل رجال الإفتاء والإجابة عنها، وفي مدة تفوق الثلاثة قرون، نتج عن هذه العملية عمل علمي فقهي كبير، خاصة تلك الأعمال التي قُيدت بين دفتي الكتب، منها ما وصلنا اليوم، ولا تزال تستفيد منه الأجيال اللاحقة، ويمثل هذا الإرث التراثي مصدرا من مصادر التاريخ لهذه الفترة، فالأسئلة المختلفة التي كانت تطرح على المفتين للإجابة عنها، هي أسئلة حقيقية، وليست خيالية، توقع صاحبها حدوثها، وبالتالي

---

[965]ـــ ينظر ترجمة عبد الرحمن الأخضري ومؤلفاته، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009،ج3، ص ص: 79ـــ82.

3- يحي بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد:53ـــ54، جويلية 1989م، ص ص: 246 ـــ ص253.

[967]ـــ عادل نويهض، المرجع السابق، ص:98. وينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، ص:62.

[968]ـــ عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص،ص:47،46.

هي صورة حقيقية لطبيعة المجتمع خلال هذا العصر، والفقهاء أنتجوا "... فتاوى وأحكاما تتماشى والعصر الذين كانوا فيه...."[969] ويمكن للباحث في التاريخ أن يستفيد منها في دراسته له.

د ـــ تسير الوقف خدمة للحياة الثقافية في الجزائر:

من المهام التي أُوكلت للمفتي في العهد العثماني تسيير الوقف، علما أنّ مداخيل هذه الأوقاف كانت تنفق في تسيير المؤسسات الدينية، من رواتب للموظفين في المساجد، وعلى الفقراء، وغيرها من ضروب تصريف هذه المداخيل.

ومن أوجه تصريف مداخيل الأوقاف التي هي تحت تصرف المفتي وتسييره، بناء المدارس، دفع رواتب المساهمين في الحياة الثقافية من خطباء المساجد، والأئمة، وحتى الطلبة لهم نصيب من هذه أموال الأوقاف.

لما تولى صالح باي قسنطينة حكم هذه المدينة، وجد الكثير من الأوقاف قد ضاعت، وتعطلت معها بعض المساجد، بسبب عدم اعتناء الوكلاء بها، والتقصير في الاهتمام بشأنها، فأراد إحياء ما اندرس من هذه المساجد والأوقاف، فأمر القضاة والمفتيين أن يبحثوا عن هذه الأوقاف التي اندثرت[970].

ومن أهم ما تمّ إنجازه من أموال الأوقاف هو بناء المساجد، مثلما قام به مفتي البليدة بلقاسم بن سيدي الكبير، فقد كان رجلا ينسب إلى الخير، ويسعى للخير، فإنه ابتدأ بناء مسجد الجامع الكبير، مع كونه فقيرا، فأعانه بعض المسلمين بما قدروا عليه، وعندما سمع

---

[969] ـــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 193.

[970] ـــ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 143.

الداي حسين، بفعله هذا بعث إليه إعانة مالية، لإتمام بناء المسجد[971]. وكذلك زاوية المسجد الكبير التي تأسست سنة 1039هـ/1629م على يد المفتي المالكي سعيد بن إبراهيم[972].

4 ـ دوره الاقتصادي:

لم يقتنع بعض المفتيين بالراتب الشهري، لكونه لا يغطي احتياجاتهم، أو للإستزادة في الرزق، اتجهوا إلى ميدان التجارة، مثل الفقيه سعيد بن إبراهيم قدورة الذي كان له أربع خلفاء ينوبون عنه بالتداول إن تأخر عن الخطبة أو صلاة الظهر أو العصر، وكانت أرزاقهم من عند هذا المفتي، الذي كان صاحب ثروة، حيث كانت له أرض حراثة، ولا ينفق على نفسه من دخل أوقاف الجامع الأعظم، كما كانت جماعة من أهل البلد يشاركونه في معاملاتهم التجارية[973]. وكذلك المفتي أحمد زروق بن سيدي عمار الذي جدد ما انهدم من جدار الجامع الأعظم من ماله الخاص، وحين تمّ البناء[974].

ومن المفتي الذين اهتموا بالتجارة الفقيه حمودة المقايسي، الذي رفض تولي المناصب الحكومية، وفضل على ذلك حرفة صناعة الأساور، ومنها استمد لقبه، فعاش حياة الفقر، والبؤس حتى مات على تلك الحالة[975].

وكان بعض شيوخ الزوايا قد اهتموا بالفلاحة، وخدمة الأرض، مثل محمد بن محمد بن الطيب الخنقي، الذي تولى رئاسة الزاوية بعد وفاة والده سنة 1107هـ/1696م، حيث اهتم بالفلاحة والتعمير، وقام بشق القنوات لسقي الأراضي[976]، والأمر نفسه مع الفقيه علي

---

[971] ـ أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، ص: 156.

[972] ـ مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 53.

[973] ـ ابن المفتي، المصدر السابق، ص: 97.

[974] ـ ابن المفتي ، المصدر نفسه، ص: 96. وينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 390

[975] ـ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص:322.

[976] ـ عبد المنعم القاسمي الحسني،المرجع السابق، ص:358.

بن يحي السكلسيني، الذي كان له غرس يتهم به بتلمسان، فكان يخدم أرضه بالفأس[977]. وهكذا، فالعلماء كان لهم نشاطات موازية مع المهام المعروفة لديهم مثل الإفتاء، التدريس، والإمامة، وغيرها من الوظائف الدينية.

أمّا المفتي الميزابي الذي كان لا يتلقى مقابل عمله أجرا، فكان يحتسب ذلك عند ربّه أجرا، ولكن وفي إطار هيئة العزّابة كان له تدخلات في المجال الإقتصادي والتجاري، حيث كان ينظّم السوق، من خلال مراقبته للأسعار، والموازين والمكاييل، وأيضا مراقبة المجازر، وأسواق اللحم، قطيع الماشية، كما كان يشرف على تنظيم استغلال المياه في الجانب الفلاحي، وغيرها من الأعمال التي كان الفقيه الميزابي يقوم بها[978].

وممّا سبق، يكون المفتي قد خدم بلده من كل النواحي التي يمكن له أن يقدم شيئا فيها، فكان له الدور السياسي، والاجتماعي، والثقافي، وحتى الاقتصادي من خلال اهتمامه بالنشاط التجاري والفلاحي، وهذا الدور زاد في رفع مكانته، وفرض هيبته واحترامه من الجميع.

---

[977]ـــ ابن مريم، المصدر السابق، ص: 167.

[978]ـــ ـــ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني المصعبي، كتاب معالم الدين، ج2، ص ص: 727ـــ 742.

الفصل السادس

مجالات الإفتاء

1 ـ العبادات

2 ـ العقيدة

3 ـ المعاملات المالية

4 ـ الأحوال الشخصية

5 ـ السياسة الشرعية

6 ـ الحدود

7 ـ المستجدات

لقد جعل الله عزّ وجلّ حياة البشر كلها للعبادة، لقوله سبحانه وتعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[979]، فأي عمل يقوم به الإنسان وتكون النيّة خالصة لله وحده هو عبادة، وينال بها الأجر في الآخرة، جزاء على هذا، ولذا يتحرى المسلمون المطيعون لأمر الله في تصرفاتهم، فهل الأعمال التي يقومون بها مطابقة لشرعه الحنيف، وما ثبت عن رسوله الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ أم لا؟

وهذه الأسئلة التي يطرحها المسلم على نفسه أولا، فإذا شكُل عليه الأمر، ووقع في حرج، ولم يعرف ما حكم الشرع في تصرفاته، يلجأ إلى أهل العلم، حتى يطمئن قلبه عن سلامة الأفعال التي يقوم بها، ولهذا كانت الأسئلة الموجهة إلى الفقهاء تشتمل في كل مناحي الحياة, كما كانت أجوبة المفتين عليها مقسّمة على الشكل التالي:

1 ــ العقيدة والتصوف:

لقد كان لأمور العقيدة الحضور في استفتاء النّاس، وفي المقابل كان الفقهاء يبسطون أمور دينهم للنّاس، ودعوتهم إلى صفاء العقيدة، ومحاربة كل أشكال الزيغ والانحراف، ولكن خلال هذا العهد من تاريخ الجزائر، ظهرت سلوكات غريبة في المجتمع، منها بناء الأضرحة، واعتقاد بعض النّاس أنّ المدفون في هذا الضريح، له كرامات حتى بعد موته، فهو يشفي، وهو يبعد الأقراح، ويجلب الأفراح، والإعتقاد الصحيح أنّ الميت لا ينفع الحيّ في شيء، لذا ظهر بعض فقهاء الجزائر، وأفتوا في مجال العقيدة، فبيّنوا للنّاس طريق الهدى، والطريق الضلال.

ومن الأمثلة عن الفتاوى المتعلقة بالعقيدة التي صدرت عن فقهاء الجزائر خلال العهد العثماني، فتوى الفقيه محمد شقرون الوهراني [980]، الذي أجاب عن أسئلة طرحها عليه بعض

---

[979]ــ سورة : الذاريات، آية:56.

[980]ــ **محمد شقرون الوهراني:** هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن بوجمعة المغراوي الوهراني، تتلمذ على عدد من الشيوخ منهم: والده أبو العباس أحمد بن أبي جمعة، أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني، صاحب :" المسائل الحسان المرفوعة إلى خبر فاس والجزائر وتلمسان" ، والشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي، والشيخ محمد بن العباس صاحب شرح في المسائل

الطلبة، تتناول إيمان المقلد في العقائد العاجز عن معرفة البراهين، وينطق بالشهادتين لا أكثر: هل إيمانه صحيح أم هو كافر وإيمانه فاسد؟ وهل تصح إمامته وشهادته أم لا؟ وهل العوام مقلّدون؟[981]

وقد بيّن هذا الفقيه رأيّه في رسالة سمّاها بـــ " الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين" وجاء فيها " أنّ العامة لا تُكفر لجهلها للأدلة والبراهين، كما أوضح أنّ تكفير الناس شيء خطير، ويجب عدم التسرع في إصدار مثل هذه الأحكام، لأن تكفير الناس يترتب عليه أمور أخرى منها: إهدار دم الإنسان الذي كفّره العالم، وتنفيذ حكم المرتد فيه، مع وجوب التفريق بينه وبين زوجه، وخروج الأولاد عن ولايته، وعدم دفنه في مقابر المسلمين، وامتناع التوارث بينه وبين أقاربه، ثم الحكم عليه بالخلود في النار[982]، هكذا وقف محمد شقرون الوهراني ضدّ تكفير المسلمين لتقليدهم إماما من أئمة الإسلام.

ومن المسائل التي وُجدت في الجزائر العثمانية تنافس العلماء حول المنصب والجاه، ممّا أدى بعضهم إلى تدبير الدسائس وإتهام البعض بأمور خطيرة،كالزندقة مثلا، مثلما اُتهم به محمد بن عبد الرحمن القشتالي الأزهري، مؤسس الطريقة الرحمانية في الجزائر،حينما رموه بسهام الزّندقة، والانحراف عن الدّين الحق، من طرف المرابطين والعلماء، الذين حسدوه وكانوا ينظرون إلى نشاطه بازدراء واشمئزاز، لأّنه ينافسهم، ويهدد مكانتهم، فأرغموه على المثول أمام المجلس العلمي، لمعرفة أرائه العقائدية، وهذا قصد حصول هؤلاء على فتوى من هذا

المشكلات في مورد الظمآن"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن بوجمعة عدة مصنفات منها:- تقريب النافع في الطرق العشر لنافع (عبارة عن نظم) – تقييد على مورد الظمآن – الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين – قصيدة طويلة في رثاء شيخه ابن غازي – فهرست الشيوخ – المنظومة الشقرونية. ينظر، إدريس مقبول، المرجع السابق، ص ص: -90-91.

[981]ـــ محمد شقرون الوهراني، المصدر السابق، ص:05.

[982]ـــ إدريس مقبول، المرجع السابق، ص ص: 91-92.

المجلس تفسد دعوته، وترغمه على العدول عن نشر تعاليمه الصوفية الجديدة، غير أن المجلس أصدر الفتوى لصالحه، وبرّأه من هذه التهمة[983].

أمّا بالنسبة لأبي راس الناصري فله مباحث كثيرة في مجال العقيدة ، قد رصدها في كتابه " فتح منّة ربي..." ومن الأسئلة التي وصلته سؤال عن الاستواء على العرش فقال: "...سئلت بالشام عن أصعب مسألة من المسائل، التي تتعلق بالتوحيد، فقلت قول شيخ المالكية: استوى على عرشه المجيد بذاته، وقول الغزالي: ليس في الامكان.... منا قاله الشيخ زروق: ليس في علم الكلام أشكل من ثلاث مسائل: مسألة كلامه تعالى، والقدرة الاكتسابية، والرؤية. فينبغي اعتقاد الحق فيها، وترك ما سواه"[984].

كمّا أنّ يحي الشاوي قد أجاب عن خمس أسئلة في العقيدة، قد جمعت هذه الإجابة في كتاب سُمي بـــ " التحفة الربّانية في جواب الأسئلة اللّمدانية "[985]، و أوّل سؤال منها هو:" ما هو الدليل الجملي الذي يخرج المقلد بمعرفته من الخلاف الواقع؟"[986]، وثاني سؤال كان" المصيب في العقليات واحد مع اختلاف أهل السنة كالأشعري والرازي في الأقوال نفيا وإثباتا، في تعدد العلم والقدر، فمن المصيب ومن المخطىء؟ مع أنّ المصيب واحد، ومن يتبع في هذا الخلاف، ومن لا يتبع؟[987]كما كانت باقي الأسئلة حول الإرادة، ورأيه على من قال أنّ لها من تعلقات صلاحي وتنجيزي كالقدرة، وهل المحبة والرضا والإرادة معنى واحد؟

---

[983]ــ ينظر، لطرش حنان، السلطة والمجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، ص: 121.

[984]ــ أبوراس الناصري، فتح الإله ومنته، ص ص: 134ــ135, ينظر، حمدادو بن عمر، المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين (11ــ12هــ/17ــ18م)، إشراف: أ.د.عبد المجيد بن نعمية، رسالة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012 ــ 2013م، ص : 70.

[985]ــ قام بتحقيق هذا الكتاب جمعة مصطفى الفتيوري، وطبعته دار المدار الإسلامي بطرابلس بليبيا.

[986]ــ يحي الشاوي، التحفة الربانية في جواب الأسئلة اللّمدانية، تحقيق: جمعة مصطفى الفتيوري، دار المدار الإسلامي، طرابلس الغرب، دت، ص:39.

[987]ــ يحي الشاوي، المصدر السابق، ص: 90.

وأخيرا أقسام الحكم العقلي، فهل بكل دلالة من دلالته يدلّ على الجميع أو لا يدلّ على جميع الحكم العقلي؟[988]

وأجاب يحي الشاوي على كل هذه الأسئلة التي يمكن أن تصنف في العقيدة وعلم الكلام، أو في أصول الفقه الإسلامي، ولكن القاريء لهذه الأجوبة، يتمتع بطريقة الاستدلال الذي اتبعه يحي الشاوي، وبأسلوبه في البرهنة على ما يقول، لقد أبدى هذا الفقيه عن ملكته العلمية والعقلية، في ردّه على الأسئلة التي لم يذكر في كتابه هذا أصحابَها ولا موطنَهم، كما أظهر أيضا مستواه العلمي الراقي من خلالها، والشيء الذي يؤكد أن يحي الشاوي ذو اطلاع واسع، هو ذكره لمجموعة من أصحاب الأراء الذين استدل بهم، أو عارض أفكارهم.

وهناك قضية أخرى جلبت اهتمام أحد الفقهاء المالكية بمدينة مازونة لم يُعرف إسمه بعد، الذي قال بخارجية المذهب الإباضي، وأنّ أهله خوارج، ممّا دفع بأصحاب هذا المذهب بالردّ عليه من طرف شيخهم حمو والحاج[989]، في رسالة، ضمّن فيها إعتقاد الإباضيين بوحدانية الله عزّ وجلّ، وإيمانهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وعدم سبّ الصحابة رضوان الله عليهم، في قوله:" ...وعلينا التدّين لله تعالى بجميع دينه، وأنّ جميع أوامر الله تعالى تؤتى ونواهيه أن تجنب...وندين لله باتباع كتابه، وسنّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم، وما عليه الصحابة رضي الله عنهم....وإعتقادنا في الصحابة رضي الله عنهم أنّهم عدول، وأنّهم

---

[988]ــ يحي الشاوي، المصدر نفسه، ص،ص: 97، 117، 126.

[989]ــ **حمو والحاج**: هو محمد بن الحاج بن أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي، الشهير بحمو والحاج، ولد بغرداية في حوالي 1045هــ/1635م، ونشأ في عائلة علم ودين، فوالده أبو القاسم هو أحد علماء عصره، الذي أخذ عنه العلم، وارتوى من معينه الصافي، ثمّ انخرط في حلقة العزّابة، وتحمّل أعباء وظيف الإمامة بمسجدها الجامع بغرداية، ثم تقلّد مشيختها، ثم مشيخة وادي ميزاب، ساهم في تنشيط الحركة العلمية بميزاب، فتخرج عليه خلق كثير منهم: الفقيه باسّة بن موسى بن الحاج داود الوارجلاني، وبعمور بن الحاج مسعود، وباكة بن صالح، وغيرهم، ترك العديد من المؤلفات منها: قصيدة ميمة بها ستةن بيتا في مدح أهل عمان، رسالة فقهية في تنجيس أبوال الحيوانات التي يؤكل لحمها، فتاوى وأجوبة، وغيرها. ينظر، بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي الشهير بالشيخ حمو والحاج حياته وآثاره، دط، دت، صص: 08 ــ16.

أولياء الله وحزبه...."[990]، تُعتبر هذه الحادثة فريدة خلال العهد العثماني، إذ لم يُسجل أي تصادم بين أصحاب المذاهب في هذا العهد، بل كان التسامح هو السائد بين المذاهب الفقهية في الجزائر العثمانية.

أمّا في التصوف، فقد أجاب أبو راس الناصري عن سؤال عما يصل به العبد إلى ربه، فقال أنه لا يمكن لأحد الوصول إلى المقامات العالية إلا بجذب، أو بالسلوك على يد شيخ صادق، لما في أعمال العباد من العلل، بل لو قدر زوال العلل من عبادته، فلا يصح له الوصول إلى الوقوف على عين الشريعة لحبسه في دائرة التقليد لإمامه، لا يمكنه أن يتعداه، ويشهدها إلا بالسلوك على يد شخص آخر فوقه في المقام من أكبر الصادقين[991].

ولابن عزوز بن عيسى الشلفي رسالة سمّاها " هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب"، وهذه الرسالة هي عبارة جواب لأسئلة وردت عليه من أهل القدس، يسألونه عن بيان شروط الخلوة، وآدابها[992]، وهذا يدل على اتصال علماء الجزائر بإخوانهم في المشرق العربي، والتبادل الثقافي والعلمي الذي كان بين المشرق والمغرب من جهة، ومكانة العلماء الجزائريين في العالم الاسلامي والعربي من جهة أخرى.

2 ــ العبادات:

---

[990]ــ حمو والحاج، رسالة للمزوني أو جواب على أهل مازونة، نسخة مصورة عن مخطوطة موجودة في مكتبة جمعية عمي سعيد بغرداية، ص: 05.

[991]ــ حمدادو بن عمر، المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب، ص: 125.

[992]ــ حمدادو بن عمر، المرجع نفسه، ص ص: 78ــ 79.

ويقصد بها ما تعلق بعبادة الله تعالى، من طهارة، وصلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وعمرة وذكاة، وغيرها، فمن النوازل التي تمكن الباحث من الحصول عليها على سبيل المثال لا الحصر:

ومنها ما جاء في أجوبة الفقيه مصطفى الرماصي على أسئلة علي بركة[993]، خاصة تلك المتعلقة بالعبادات، التي شملت التيمم، وحالات السلس، الجنائز، الحج، الصوم وغيرها، مثل عن هذه الأجوبة، تلك المتعلقة بالفرق بين المسكر والمرقد والمفسد، التي كان سؤالها على الشكل التالي: "... بيّن لنا منشأ هذا الفرق، هل في اللغة، أم في الحرف، أو الشرع، ومن أين جاءه الحكم على الشرع بالأحكام الثلاثة...."[994].

أما إجابة الفقيه الرماصي على هذا السؤال، فقد عرّف المسكر بأنه " هو ما يغيب العقل دون الحواس مع النشوة...والعرب يطلقون السكر على ما حصلت عنده نشوة بشربها، ولا يعرّفوها بالمرقد أو المفسد...(والمُسْكر)، كانوا يضربون شاربه في زمانه صلى الله عليه وسلم، بالجريد والنعال من التحديد بثمانين، وقع في زمن عمر رضي الله عنه، أمّا النجاسة فأخذ من قوله تعالى:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ "[995] والرجس هو النجس، وأمّا تحريم القليل، فلنجاسته، بخلاف المرقد والمفسد، فلم يدر فيهما حد،....ومن ثم أُجيز تناول القليل منها، الذي لا يصل إلى تغيب

---

[993] ـــ **علي بركة:** هو علي بن محمد بن محمد بن بركة أبو الحسن، التيطواني المغربي، عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري، تعلم على والده، ثم انتقل إلى فاس، وتعلم على كبار علمائها، أمثال: أبو علي اليوسي، وعبد القادر الفاسي، الذي أجازه، وغيرهما من علماء هذه المدينة، ثمّ رجع إلى مدينته تيطوان، وتصدى للتدريس فيها، وكان له فيها صيت كبير، وذكر شهير، وتخرج على يده عدد وافر من طلبة العلم، منهم: محمد بن زاكور، وأبو عبد اللهمحمد بن عبد السلام، ومحمد بن الطيب العلمي، وغيرهم، ترك العديد من المؤلفات، منها: " حاشية على المكودي " و" شرح الأجرومية " وغيرها. ينظر، الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص: 15.

[994] ـــ مصطفى الرماصي، أجوبة الرماصي على أسئلة الفقيه سيدي علي بركة، مركز آل سعود، دار البيضاء، المغرب، رقم: ms460-m1، ص:01.

[995] ـــ سورة : المائدة، آية: 90.

العقل، أمّا ما تصل إلى تغيبه فلا، لوجوب عبط العقول إلا كما أجاز في .... ولا عبرة بكون القليل يحرم الكثير"[996].

وكذا استفسار بركات بن باديس[997] الفقيه يحي الشاوي الذي كان في طريقه إلى تأدية مناسك الحج سنة 1074هـ/ 1663م مارا على مدينة قسنطينة، فانتهز الفرصة، ورفع إليه سؤالا[998] منظوما حول حكم أكل لحوم الحيونات المصطادة بالبندقية، قال فيه:

أبدر بدا من جانب الغرب قادم	وبحر علوم لا يكاد يلاطم
سألتك يا فخر الزّمان وصدره	عن حادثة أحدثتها الأعاجم
أفيم يصاد بالبنادق رخصة	تزيح ظلام الشك والصدر سالم
أجب سائلا يبغي الافادة منكم	وأنت أمام بالشريعة قائم

فأجابه بالقصيدة التالية:

أتانا سؤال من فقيه منادم	أمام أهل التحقيق خذه وصاره
يؤمل مني في البنادق رخصة	تزيح ظلام الشك عن كل عالم
فقلت فيها خلف وراجح قولهم	إباحة صيد منها ليست بصادم
فتأوى لأهل فاسنا كابن غازهم	ومنجورهم بالحل يا خير فاهم

---

[996]ـــ مصطفى الرماصي، المصدر السابق، ص:18.

[997]ـــ **بركات بن باديس:** هو بركات بن عبد الرحمن بن باديس، مفتي قسنطينة، ومن مشاهير علماء القرن الحادي عشر الهجري، ومن أبرز الشخصيات العلمية في منتصف العهد العثماني في الجزائر، أخذ عن عبد الكريم الفكون الحفيد، كام نحط رجال العلم الوافدين على قسنطينة، وكان له اتصال مع الفقيه التونسي أحمد بن مصطفى برناز، ومن تلامذته: أحمد بن قاسم البوني، حمدان بن الترجمان، وغيرهما، جمع ما قيل في نبوة " خالد بن سنان" في متابه " مفتاح البشارة في فضائل الزيارة"، وله قصيدة في التصوف " شفاء الأسقام والتوسل ببدر التمام"، وقصيدة أخرى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، سمّاها " بضاعة الفقير في البسملة والصلاة على البشير" ، وغيرها من آثارها، توفي في بداية القرن الثاني عشر الهجري. ينظر، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 226.

[998]ـــ للإطلاع على هذه النازلة ينظر، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،المرجع السابق، ج3، ص: 174.

وخالفهم غير بحجة صدمها	ولا حجة بها وبالعلم قاوم
وحجة من أباحها مورد الصقا	لمّا انهر الدّم الحديث لهاشم
مدونة سحنون تأوّل لفظها	بتحريمها بالبنادق آجم
بان المراد ما من الطين صنعها	ويضرب بالأقوال صرعا لقائم
فالبراذعي تأوّل لفظها	وحفظ نظام تحت نعم المكالم

وجاء أيضا في كتاب " مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي" لمحمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك الخنقي:" أن حكم أجرة الإمامة في الصلوات الخمس مكروه بخلاف أجرة إمامة الجمعة، فإذا أبى أحد أفراد الحي أن يساهم في أجرة إمام الصلوات الخمس فلا يجبر على ذلك، أما أجرة إمام الجمعة فيجبر على دفعها"[999].

وأمّا في نوازل عبد الكريم الفكون ثلاثون نازلة في فقه العبادات، تتعلق بمسائل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام[1000]. مثل: "سئل الجد الصالح أبو محمد بن يحي الفكون عن الماء الذي يأتون به السقايا من الواد، ويوجد في بعضه طعم بول الدواب، هل يحكم بطهارته أو نجاسته"[1001].

---

[999]ــ محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك الخنقي، مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي أو عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام، تنظيم وتقديم وتعليق: محمد موهوب بن أحمد بن حسن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص:39,

[1000]ــ قفاف عبد الرحمن، مرجعية الإفتاء على نوازل ابن الفكون من خلال مخطوط النوازل بين القرنين 10 - 11هــ، دراسة وتعليق، إشراف: د.حساني مختار، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص: 13.

[1001] -محمد بن عبد الكريم الفكون، نوازل الفكون، ورقة 17 .

ويقول عبد الرحمن بن إدريس التنلاني[1002] في رحلته إلى مدينة الجزائر حينما وصل إلى قصور بني ميزاب: "... وكلهم على ضلالة واعتزال، وقد اجتمعت مع فقهائهم، وتفاوضت معهم، فوجدتهم متمذهبين بالمذاهب الأربعة، ولا من فروعهم، وضوءهم مخالف لوضوئنا، وصلاتهم كذلك، وآذانهم كذلك، والجمعة ساقطة عندهم، وسألت كبير فقهائهم وهو الحاج إبراهيم بن كمان العرواء عن سبب عدم إقامتهم لصلاة الجمعة، فقال لي مذهبنا أنها لا تقام إلا خلف إمام معصوم، ولا نجد من نعتقد عصمته..." [1003]

ولما وصل العياشي مدينة تقرت أثناء رحلته إلى المشرق سُئل ثلاث أسئلة فقهية، في شكل أبيات شعرية، فالسؤال الأول يتعلق بصلاة الرجل على بساط رخوي لا صلابة فيه، وكانت الإجابة بالمنع، أما السؤال الثاني فكان متعلقا برجل رأى النبي صلي الله عليه وسلم في منامه،وأمره بفعل، فهل الإتيان بهذا الفعل من باب الأمر، واجب تنفيذه أم ماذا؟

فأجابه العياشي على هذه النازلة: أنّه إذا وافق أمره صلى الله عليه وسلم شريعته، فذلك أحرى باللزوم، وإن خالف المنصوص فهو مؤل، وتأويله بالعلم يُدرى وبالكشف[1004]، والسؤال الأخير، في الرجل الذي ينوي الإقامة بأرض، ثم يبدو له أنه لا يمكنه البقاء فيها، فهل يقصر في الصلاة أم يُتم لأنه مقيم؟ فرد العياشي أنه يتم إلا أن يريد السفر[1005].

[1002]ـــ **عبد الرحمن بن ادريس التنلاني:** هو الفقيه عبد الرحمن بن ادريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني، ولد عام 1181م بتينيلان، أخذ العلم عن محمد بن عبد الرحمن الجزلاوي، سافر إلى مدينة فاس، وأخذ العلم عن عبد القادر بن شقرون، كان مجتهدا في المذهب المالكي، وأصوله، والتفسير، كما تميز بالحفظ الجيد للمسائل، توفي في شهر جمادى الثانية عام 1233هـــ بمدينة سوى ليبيا، أثناء رجوعه من الحج. ينظر، محمد حوتية، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن ادريس التنلاني إلى ثغر الجزائر المحروسة، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ـــ13هـــ/18ـــ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012م ، ص: 158.

[1003]ـــ محمد حوتية، المرجع نفسه، ص: 159.

[1004]ـــ للمزيد عن إجابة العياشي على هذا السؤال. ينظر، أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص ص: 86ـــ 105.

[1005]ـــ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر نفسه، ص ص: 85ـــ86.

كما سُئل أبو العباس السلجماسي عن من نذر بصوم عام لأجل ألاّ يفعل شيئا، ثم يأتيه، هل يلزمه الصوم أم لا؟ فأجاب بلزوم الصوم، وإن لم يُصرح بلفظ " علي" فهو مقصوده، ثم قال:" أن مشهور المذهب أن الحالف بالصوم أو غيره من الطاعات، يلزمه ما حلف به، وإن لم يقصد به القربة، وإنما قصد الامتناع من الفعل، وقيل: يجزيه عن فعل ما حلف به كفارة يمين بالله، لعدم قصد القربة، فعليه ما على الحانث في اليمين باسم الله تعالى، ورجحه بعض الأئمة"[1006].

3 ــ المعاملات المالية:

وهي ما يقصد به تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض أي علاقة الإنسان بغيره، سواء أكانوا أفراداً أم جماعات حسب الشريعة الإسلامية[1007]، والأمثلة عن المعاملات المالية التي سأل عنها الجزائريون الفقهاء خلال العهد العثماني، فهي كثيرة جدا، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في نوازل الفقيه محمد بن محمد الطيب الخنقي، التي بلغت كتابة أربعمائة وثلاثة وتسعين نازلة، متعلقة أساسا بالخلافات والتراعات التي وقعت بين الناس، جمعها في كتاب سمّاه " مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي..."، وتحدث فيه عن أشكال هذه التراعات، التي حدثت بين الذين تربطهم علاقات عمل حرفي، أو صناعي، أو فلاحي، أو النهب، أوالتعدي على أملاك الغير،كما تحدث عن الخلافات التي وقعت بين الأقارب، في مجال الملكية العقارية، والسكنية والفلاحية[1008].

[1006]ــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر السابق، ص:162.

[1007]ــ وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج1، ص: 23.

[1008]ــ محمد بن محمد الطيب الخنقي، المصدر السابق، ص: أ.

ومن هذه النوازل، فتوى لأحد معاصره عبد الله بن عبد الواحد العمراني، الذي جاءه سؤال من بسكرة، على الشكل التالي:"... سيدي رضي الله عنكم، ما تقول في شهادة على البيطار بالعداء؟ وعن التزام البيطار ضمان ما ينشأ عن فعله؟" وكان الجواب " إن هذا الشرط لا يعمل به على قاعدة مذهبنا في شرط الضمان، ما لا يضمن في الإجارة، والودائع، والرّهان، والعواري، وتضمين الصنّاع، ونحو ذلك.....والقاعدة فيهم، أنّهم يضمنون ما يعاب عليه، ولو شرط نفيه، دون ما لا يعاب عليه، وله شرط إثبات...والدابّة المسؤول عنها ممّا لا يعاب عليها، فلا يضمنها، لأنه أجير عليها، لا صانع، وإنّما هو بمنزلة الرّاعي، لا ضمان عليه، ولو شرط ضمانه، إلاّ بتعد، أو تفريط، هذا هو التحقيق المعول عليه"[1009].

وبعد عرض هذه النازلة والجواب عليها، زاد الكاتب فيها بذكر أراء الفقهاء الأخرين:كابن يونس،[1010] وابن رشد، ليخلص في الأخير أنّه "..يتحصل في النازلة أنّه إذا شهد العرفاء أنّ البيطار قطع ماهو في غنى عن قطعه ضمن الدّابة، أي قيمتها على ما تساوي يوم البط عليها، سواء كان عارفا أم لا، وأما إن قطع ما شأنه أن يقطع، ويحتاط منه لقطع مادة العلّة في عرف البيطار، فلا ضمان عليه، إن كان من أهل المعرفة، ولو شرط ضمانه، فإن غرّ من نفسه ووقع منه هذا على جهل وتسور على البط، فإنه يضمن، وإن قطع ما شأنه أن يقطع...."[1011].

وفي نازلت أخرى وصلت فقيه الخنقة، متعلقة بقسمة ماء الوادي، الذي منعته إحدى القرى القاطنة في أسفل الوادي فلاحي القرى الواقعة أعلاه من شق قنوات لسقي

[1009]ـــ محمد بن محمد الطيب، المصدر السابق، ص: 02,

[1010]ـــ **ابن يونس:** هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، الإمام الحافظ، النظار، أحد العلماء، وأئمة الترجيح الأخيار، الفقيه الفرضي، الفاضل الملازم للجهاد الموصوف بالنجدة الكامل، أخذ عن علماء الصقلية، أمثال: أبي الحسن الخصائري القاضي، وعتيق بن عبد الحميد بن الفرضي، وأبي بكر بن عباس، كما أخذ عن علماء القيروان الذين أكثر عنهم النقل، منهم: أبو عمران الفاسي، وأبي الحسن القابسي، ألّف كتابا في الفرائض، وكتابا آخر حافلا بالمدونة...توفي في ربيع الأول من سنة 451هـــ/1059م. ينظر، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 111.

[1011]ـــ محمد بن محمد الطيب، المصدر نفسه، ص ص : 02 ـــ 04.

مزروعاتهم من الوادي، علما أنّهم لم يشق قنوات جديدة، بل أجبروا ما أفسده الوادي فيها، فترافعوا إلى هذا الفقيه، وبعد عرض القضية عليه كاملة، سألوه: " فهل لأهل هذه القرية نقل الساقية المذكورة جبرا لساقيتهم، ولا حرج عليهم من طريق الشرع العزيز، ولا يمنعهم منها مانع؟ أو لا حق لهم، وأهل القرية المنع من ذلك..."[1012].

أمّا جواب الفقيه عن هذه النّازلة، فكان جواز لأهل القرية الناقلة للساقية المسؤول عنها، نقلها والانتفاع بها وبمائها، كما يجوز لهم أن يجعلوا عليها حوائط، وبساتين، وخصر وغيرها، شريطة ألاّ يحدث هذا ضررا لأهل القرية الأخرى، أو يمنعهم من استيفاء حقهم من الماء، أو يهلك شجرهم، أو غرسهم، في حين لا يجوز لأهل القرية السفلى منع هؤلاء من السّقاية، لأن الوادي غير ممتلك لأحد، ولا يجري في أرض مملوكة[1013].

والمتتبع لهذه الفتاوى، ولباقي النوازل في هذا الكتاب، يجد أنّ الفقيه محمد بن محمد الطيب الخنقي ملم بمصادر المذهب المالكي، فجاوبه على الأسئلة التي ترِدُه، يوحي أيضا أنّ لهذا الفقيه ملكة علمية لا بأس بها، إلى درجة أنه يستعمل القياس[1014] أحيانا، دلالة على بلوغه درجة الإجتهاد، كما يدّل كذلك على إهتمام الناس بأمور دينهم، وحرصهم على ملاءمة تصرفاتهم للشرع الحنيف.

وبالطريقة نفسها تقريبا، انفرد عبد الرحمن المجاجي بتأليف خاص تناول فيه حكم المغارسة[1015]، وبيان الأحكام المتعلقة فيها على التفصيل[1016]. ثم انتقل إلى موضوع التوليج

[1012]ـــ محمد بن محمد الطيب، المصدر السابق، ص: 62.

[1013]ـــ محمد بن محمد الطيب، المصدر نفسه، ص : 62.

[1014]ـــ **القياس:** هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر منصوص على حكمه، لاشتراكهما في وصف، هو علّة الحكم. ينظر، محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص: 428. وينظر، وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج1، ص: 600.

[1015]ـــ **المغارسة:** هي أن يدفع الرجل أرضه لمن يغرس فيها شجراً، وعرفها الشافعية: بأن يسلم إليه أرضاً ليغرسها من عنده، والشجر بينهما. وتسمى عند أهل الشام المناصبة، أو المشاطرة؛ لأن الشجيرة الغرسة تسمى عند العامة نصباً، أي منصوباً،

فعرّفه، وذكر من يشملهم، وبعض أحكامه، ثمّ التصيير، وذكر حكمه وبعض أحكامه. ليختم كتابه بملحقين خاصين بالصلح وبالإقرار[1017].

وفي مجال المعاملات دائما ألّف محمد بن علي الخروبي أبو عبد الله كتابا[1018] ضمّنه خمسمائة وتسعة أسئلة: في الأحوال الشخصية، من النكاح وشروطه، والرضاع والحضانة، ثم انتقل الكاتب إلى باب البيوع وأنواعه، وأجاب عن كلّ هذه الأسئلة.

والقارئ لنوازل الفكون يجد أيضا مجموعة كبيرة من الفتاوى تندرج في فقه المعاملات، بلغت حوالي مائتين وخمس نوازل، تتعلق مسائل البيوع، والصرف، والشفعة، والقسمة، والاستحقاق، ومسائل الشركة والوديعة العادية والفرائض والصلح والغضب، ونوازل الأكرية والإجارة والرهو ن، وكذلك مسائل الهبة والصدقة والوصايا والحبس[1019].

وفي وادي مزاب، إذا وقع تنازع أو مشادة في المعاملات بالسوق، فإنّ الفقيه من العزّابة يتولى الحكم، والإفتاء، فيصدر حكم الشرع فيها في المكان نفسه، ولا يرد حكمه، أو فتواه أحد من من الأطراف المعنية[1020]، أمّا في المسائل ذات الاهتمام المشترك فلحلقة عزّابة، أو مجلس " عمي سعيد" الدور في فك هذه الخصومات التي تقع بين المتعاملين.

ولأن الناتج يقسم بينهما مناصفة لكل واحد منهما الشطر. هي التي يقسم فيها الشجر والأرض نصفين بين المالك والعامل، فمنعها الجمهور وأجازها المالكية بشروط. فإن كان الاشتراك فيها في الشجر فقط، فهي جائزة عند الحنفية والحنابلة، ولا تجوز عند المالكية، وممنوعة في الحالتين عند الشافعية، لعدم الحاجة إليها. ينظر، وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت، ط4، 1418هـ/1997م، ج6، ص: 4726.

[1016]ـــ بوشمة خالد، المرجع السابق، ص ص: 150ـــ 152.

[1017]ـــ خالد بوشمة، المرجع نفسه، ص ص: 153ـــ 154.

[1018]ـــ محمد بن علي الخروبي أبو عبدالله، الأسئلة المرضية في المسائل الفقهية، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم: 2623.

[1019]– قفاف عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 13.

[1020]ـــ حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص: 169.

ومن الأمثلة على تدخل إحدى الهيئتين السابقتين في مجال المعاملات، صدور قرار من مجلس عزّابة سنة 1243هـ/1827م، يقضي باعتماد السكة الجديدة المضروبة من طرف الإيّالة:" الحمد لله وحده مجلس أبي عبد الرحمن الكرثي، اجتمع فيه عزّابة خمسة قصور، واتفقوا على أن يجوزوا فيما بينهم في معاملاتهم، وتصرفاتهم في أمور السّكة الحادثة في الجزائر المنسوبة إلى ثلاثة أرباع القديمة في أول شعبان إلا ما كان قديما قبل تجوز به المعاملة، انتهى في أوائل شعبان 1242هـ/1827م[1021].

وفي مجال الوقف، هناك عدّة مسائل، استفتى فيها سكان الجزائر علماءهم، واستاشروهم فيها، ويحتوي المركز الوطني للأرشيف الجزائر على مجموعة من الوثائق المتعلّقة بالوقف، ومنها عبارة عن استفسارت النّاس عن حكم وقف معين، يريدونه حبسا على إحدى المؤسسات الخيرية، أو حكم التصرف في هذا الوقف، فكانت الإجابة من المفتين الذين وُجهت لهم هذه الإنشغالات، أو من طرف المجلس العلمي[1022].

ومن الأمثلة على ما سبق، تُبيّن إحدى الوثائق استفتاء أحد السكان في الجزائر يدعى الحاج محمد بن محمد العلماء، حول رأهم في تأسيس حبس ذري[1023]، يكون مرجعه لأحد مساجد الجزائر أو ضريح أحد أوليائها، وهذه النّازلة مؤرخة سنة 1101هـ/1690م، وقد أجاز المفتي، وهو حسين بن رجب هذه الوقفية، التي جاءت على

[1021]ـــ ناصر بلحاج، جوانب من المعاملات المالية بوادي مزاب في القرنين 18ـــ19الميلاديين من خلال دفاتر بعض التجار،أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ـــ13هـ/18ـــ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012، ص: 253.

[1022]ـــ على سبيل المثال ، ينظر، الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة 6 ـــ 1، ورقة: 20. وَ المحاكم الشرعية، علبة: 4 ـــ 1، رقم: 21.

[1023]ـــ **الحبس الذرّي**: ويسمى كذلك بالحبس الأهلي أو العائلي، وهو وقفيحتفظ المحبس أو عقبه بالانتفاع به، بحيث لا يتحول طرف منفعته على المصلحة التي حبس عليها أساسا، إلاّ بعد انقراض العقب، وانقطاع نسل صاحب الحبس، وهذا الحبس يتماشى وأحكام المذهب الحنفي. وهناك نوع ثاني من الوقف، وهو الوقف الخيري أو العام الذي يعود أساسا على المصلحة العامة التي حبس من أجلها، عملا بالمذهب المالكي، الذي يشترط تنفيذ مضمون عقد المحبس في الحين بلا قيد أو ارجاء أو تردد. ينظر، ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، ص:78.

هذا النحو:" الحمد لله سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم، ومتع المسلمين بطول حياتكم، جوابكم السديد، ورأيكم الرشيد عن نازلتين: إحداهما، وهي رجل أراد أن يحبس داره على نفسه مدة حياته، ينتفع بغلتها، ثم بعد وفاته على عقبه، وعقب عقبه، وعلى من شاء بعد من نسل بعد انقراض العقب على مساجد الجزائر وضريح بعض أوليائها.."[1024]، أما إجابة المفتي فجاءت على هذا النحو:" الحمد لله، إذا كان الأمر كما ذكر، فيجوز له ما أراد من تحبيس المشاع، وجعل الغلّة لنفسه أيّام حياته، وبعدها لمن أراد، على قول الإمام أبي يوسف[1025]، وعليّة الفتوى، وترغيبا للنّاس في الوقف، و الله العالم، وكتب أسير ذنبه حسين بن رجب وفقه الله "[1026].

أمّا النّازلة الثانية فهي تخصّ الزوجين محمد بن عبد الرحمن وقامير، حيث قاما باستفسار العلماء حول رأيهم في تأسيس حبس ذرّي، يكون مرجعه لصالح ضريح عبد الرحمن الثّعالبي، سنة 1102 هــ/ 1690 م، وكانت الإجابة نفسها من المفتي حسين بن رجب، بأن أجاز لهما هذه الوقفية، وفيما يلي نص هذه النّازلة: " الحمد لله سيدي رضي الله عنكم، وأرضاكم، ومتع المسلمين بطول حياتكم، جوابكم عن مسألة، وهي رجل وامرأة أرادا أن يحبسا ما على ملّتهما، في الرسم الملحق أخره بأول، هذا ابتداء على أنفسهما مقلدين في ذلك بعض أئمة الحنفية، ثم بعد وفاتهما على أنفسهما، مقلّدين في ذلك بعض أئمة الحنفية، ثمّ بعد وفاتهما على بنتيهما الموجودة، وعلى ما يتزايد لهما، إن قدر الله لهما بذلك (كذا).أولادهم

[1024]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 132 ــ133ــ وثيقة: 06.

[1025]ــ **أبو يوسف**: هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد بكوفة في سنة 113هــ/731م، اشتغل في بداية أمره برواية الحديث، ثم اتصل بابن ليلى، وتفقه عليه، ثمّ انتقل إلى أبي حنيفة، وكان أكبر أصحابه، وأفضل معين له، وهو أول من صنف الكتب على مذهبه، وقد عُين قاضيا في عهد الخلفاء العباسيين المهدي والهادي، وعندما استحدث الخليفة العباسي هارون الرشيد منصب قاضي القضاء في الدولة، عُين فيه، فأصبح بذلك أول قاضي القضاة في الدولة الإسلامية، مع العلم أنه كان فقيها مشاورا لهذا الخليفة، له العديد من المؤلفات من أهمها: كتاب " الخراج" في نظام المال والضرائب، وكتاب " الرد على سير الأوزاعي"، وكتاب " الذكر والدعاء" وغيرها، توفي في عام 182هــ/798م. ينظر، أحمد صدقي علي شقيرات، المرجع السابق، ص: 96.

[1026]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 132 ــ133، وثيقة: 06

وأولاد أولادهم فإن انقرضوا عن آخرهم، رجع الحبس المذكور حبسا على ضريح الولي الشيخ البركة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، نفعنا الله به، هل يسوغ لهما ما أرادا ؟ الذي لا ليس إلا جوابكم توجرون، وترحمون، والسلام عليكم ".

وأمّا إجابة المفتي حسين بن رجب فكانت كما يلي:" الحمد لله إذا كان ا لأمر كما ذكر، فيسوغ له ما أراد ..... فلو قال أرض هذه سوغة موقوفة لله عز وجل على أنّ لي غلتها ما عشت أبدا ثم من بعدي على ولدي ونسلي و(كذا) ما تناسلوا ثم من بعده على المساكين يجوز..."[1027]، هكذا كان جواب المفتي المذكور عن هذه النازلة، التي جوّز فيها الوقف على ضريح عبد الرحمن الثعالبي، مع العلم أنّ هذا الضريح يضمّ زاوية لتعليم الطلبة.

كما ذكر ناصر الدين سعيدوني نموذجا آخر من الأسئلة التي كانت تطرح على المفتين، الخاصة بالوقف، منها: " هل يجوز صرف الحبس على فقراء الحرمين الشريفين بعد انقراض عقب المحبس؟ فكان الجواب علن ذلك، كما يلي: إذا الأمر كما ذكر فيجوز له ما رام من الحبس على الوجه المذكور"[1028].

4 ــ الأحوال الشخصية:

ويقصد بالأحوال الشخصية: الأوضاع التي تكون بين الإنسان وأُسرته، وما يترتب عليه هذه الأوضاع من آثار حقوقية، وإلتزامات مادية أو أدبية. عكس الأحوال المدنية التي

[1027]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 132 ــ133ــ وثيقة: 06

[1028]ــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ص: 281.

تنظّم علاقات الإنسان بأفراد المجتمع خارج حدود الأُسرة[1029]. ويقصد بها كذلك ما تعلق بشؤون الأسرة، من زواج وطلاق ونسب ورضاع ونفقة وغيرها.

ومن النماذج المتوفرة عن الفتاوى في هذا المجال، فتوى في الحضانة لأحمد البوني سنة 1113هـ/1701م، حينما سُئل عن رأيه في قضية حضانة ولد تعلّق بوالده لا يستطع مفارقته، حيث " ...ألف أباه ألفة شديدة، بحيث لم يقدر على مفارقته ساعة زمانية،...وأرادت أم الأم أخذ الصبي، بحكم الحضانة الواجبة لها شرعا، فنفر الصبي منها، و لم يرض بانضمامه إليها.."،[1030] ورفض جدته من أمّه، وبسببه تخاصم الأب والجدة لدى علماء قسنطينة، الذين انقسموا بدورهم حول هذه القضية، فقد أفتى البعض ببقائه مع والده، وأفتى آخرون ــ لم تُذكر أسماءهم في نص النازلة ــ بنقله إلى جدته، وكل فريق أيّد رأيه بنقول علمية وشرعية[1031].

ورفعا لهذا الخلاف، ألتجأ بعضهم إلى الفقيه أحمد ساسي البوني بهذه المسألة، ليبدي رأيه فيها، حسب ما جاء في هذه الرسالة،"...فقد ورد على الفقير سؤال من بلد قسنطينة من بعض الأحباب، يومل مني أن أزيل عن وجه أشكاله الجلباب..."[1032] وقد أجاب البوني بأن الوالد أحق بالطفل في هذه الحالة، وأضاف أنه ليس للجدة حق في الحضانة، بقوله:"...فليس للجدة المذكورة في حضانة ولد إبنتها مقال، بل هي منها ساقطة، وإن كانت بذلك ساخطة، وذلك لخوف الهلاك على الصبي المذكور..."[1033]، ثم واصل في استدلال رأيه بأقوال الفقهاء في مسألة الحضانة.

[1029]ــ مصطفى الخن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ج 4، ص: 09.

[1030]ــ أحمد ساسي البوني، رسالة في الحضانة، ص: 01.

[1031]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ص: 81،82.

[1032]ــ أحمد ساسي البوني، المصدر نفسه، ص: 01

[1033]ــ أحمد ساسي البوني، المصدر السابق، ص: 03.

ولمحمد بن علي الخروبي أبي عبد الله كتاب[1034] ضمّنه كتابة خمسمائة وتسع سؤالا في الأحوال الشخصية من النكاح وشروطه، والرّضاع والحضانة، ثم انتقل الكاتب إلى باب البيوع وأنواعه، وأجاب عن كل سؤال من هذه الأسئلة.

كما ألّف الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي رسالة في أمور النكاح سماها: "الروض البهيج في أمور العزوبية والتزويج"[1035].

وفي نوازل الفكون ثلاثون نازلة في الأحوال الشخصية، تتعلق بمسائل النكاح والطلاق والخلع والعدة[1036]، ومنها: " سئل الجد الصالح أبو عبد الله محمد المكي[1037]، أن زوجا توفي وترك بنتا له، واشهد على ابيها انه انكحها من ولد قريب له، وانه اوصى عليها من قبل أبيها بإعطائها للولد المذكور، والبنت منكرة ونافرة من الولد، وعقد عليها بدون توكيل ولما اتى بها فرت من عنده وصارت الى دار أمها ما يزيد عن السنتين و لم ترجع"[1038].

وله فتوى أخرى في هذا الباب، على الشكل التالي: " أن رجلا له زوجة ساءت عشرته، وأرادت أن تفارقه، وهو يريد إمساكها، فألحت عليه مرارا، وإمتنع من ذلك، ثمّ بعد ذلك طلبت منه أن تترك كاليها عليه، وتفتدّ منه بمائة دينار مع الكالي، فأجابها الى ذلك بشهادة عدلين من عدول بلدهما، وذلك كله عن رضا منها، بعد أن أسكنها بين قوم صالحين

[1034]ـــ محمد بن علي الخروبي أبو عبدالله، الأسئلة المرضية في المسائل الفقهية، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 2623.

[1035]ـــ توجد هذه الرسالة في سبع صفحات، موجودة مخطوطة في مكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، رقم: 642.

[1036]– قفاف عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 13.

[1037]ـــ **أبو عبد الله محمد:** هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد، جدّ عبد الكريم الفكون الحفيد من جهة الأمّ، تصدر للفتوى في عصره، كان له فضل معرفة وإدراك، وذا زي حسن وسمت وعلو همّة وسموّ ورفعة، قرأ على الفقيه أبي عبد الله محمد بن حسن، وعلى عبد التواتي، وكان صاحب قلم وعباة وخط، يفهم المسائل، ويحقق المباحث، إلاّ أنه في آخر أيّامه أصبح يخلط الصحيح بالخطإ في الفتوى. ينظر، عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص: 68.

[1038] –محمد بن عبد الكريم الفكون، النوازل، ورقة : 37.

نحو السنة..."[1039]. ولمحمد بن المجاجي فتوة في تحريم الزواج من زوجة الأب الذي توفي دون الدخول بها، مع العلم أن هذه الفتوى كانت سببا في مقتله[1040].

كما لخليفة بن حسن بن امبارك القماري جواب عن سؤال: "زوج وجد مع زوجته رجلا أجنبيا، فقام بضربها بحديدة كانت بيده، فجاء وليها، وطلب تطليقها منه بسب الضرر الذي لحق بها من جراء الضرب، فهل يجاب لطلب الولي، وتفك العصمة بين الزوجين؟ والجواب: لا تطليق على زوجها، لأن ذلك من تأديبه لزوجته، والتأديب حق من حقوقه عليها"[1041]. وكان السؤال والجواب نظما[1042].

وسئل العياشي عن رجل نشزت امرأته عنه، فطلقها، ثم أشهد عليها شهودا يسترعيهم، ويقول لهم: أشهدوا أني ما طلقت امرأتي، إلاّ كي أكسر من سورتها وشدّتها، فمتى أرادت التزوج، أستظهر بذلك الرسم، فلا يتزوجها أحد، حتى ترجع إليه، وأخبر هؤلاء الطلبة العياشي أن حكامهم يحكمون بصحة هذا العمل، وهي عادة عند أهل البلد، ولكن صاحب الرحلة تحفّظ على ذلك، إلاّ أن يكون الزوج لم يصدر منه الطلاق، ويأمر من يشيع عند الناس أنها مطلقة، ويستحفظ عند الشهود أن ما شاع لا أصل له، وهي حيلة من الحيل الفقهية[1043].

[1039] -محمد بن عبد الكريم الفكون، النوازل، ورقة: 39. وينظر، قفاف عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص:43.

[1040]ــ عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:342.

[1042]ــ محمد الطاهر المتليلي،المصدر السابق، ص ص:36ــ 42. وينظر، عاشوري قمعون، التعليم في منطقة سوف خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (خليفة بن حسن القماري أنموذجا)، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ــ13هــ/18ــ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012، ص: 104.

[1043]ــ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص: 84.

تبيّن هذه الأمثلة من الفتوى، دور رجال الإفتاء ــــ سواء كانوا جزائريين أو غيرهم ــــ في حلّ الكثير من المشاكل الاجتماعية، خاصة المتعلقة بالأسرة، فبالفتوى تفك الخصومات بين الرجل وزوجته، وبين الأقارب فيما بينهم، وترجع الأمور إلى طبيعته الأولى.

5 ــ السياسة الشرعية:

كان العلماء في الجزائر العثمانية ناقمين على تدخل اليهود في المجال الاقتصادي والسيّاسي للدولة، ولكن حماية بعض الباشاوات والبايات لهم، قد جعلهم يكبتون غيظهم، ويظهر ذلك من بعض الفتاوى ضد اليهود، فقد أفتى عبد الكريم الفكون (الجد) بقتل اليهودي المسمى المختاري، الذي تطاول على الرسول صلى الله عليه وسلم، وقوف بعض العلماء ضدّ هذه الفتوى، من أمثال يحي بن محجوبة، وانعقد مجلس للشورى للنظر في قضية هذا اليهودي الذي سبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الفقيه عبد الكريم الفكون أصرّ على فتواه السابقة، المتمثلة في وجوب قتله، رغم حماية السلطة السياسية في قسنطينة له، وفي الأخير اقتنع الجميع بما أفتى به الفكون[1044].

ولّما وقعت واقعة حرق اليهودي الذي سبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصدرت الفتوى بإحراقه[1045]، مثلما جاء في رسالة الفقيه الحنفي محمد الولي "...وقعت حادثة الفتوى سنة ألف ومائة وإثنين وسبعين (1172هــ/ 1758م) في بلدة الجزائر في إحراق اليهود والنصراى يسبّون إلى صدر السعادة، ومعد كل خير وسعادة صلى الله عليه وسلم..."[1046]، طُرح إشكال في هذه الفتوى، فهل الإحراق جائز أو غير مشروع[1047]،

[1044]ــ عبد الكريم الفكون، منشور الهداية ، ص ص:64ــ66.

[1045]ــ لم يتمكن الباحث من الوقوف على هذه الفتوى.

[1046]ــ محمد الولي الحنفي، السيف الممدود في عنق من أعان اليهود، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2198، ص: 01

لقول ابن عباس:" لا يعذب بالنار إلا رب النار"، ولكن المفتي محمد الولي الحنفي أتى بمجموع الرويات التاريخية منها، حادثة علي ــ كرّم الله وجهه ــ التي أحرق فيها أصحاب الطائفة السّبئية التي ألهته، ومعارضة ابْن عباس لهذا الفعل، لقوله: لو كنت أَنَا لم أُحرقهم لأَنّ النَّبي صلَّى اللَّه عليْه وسلّم قال: لا تعذِّبوا بعذاب اللَّه، ولقتلْتهمم كما قَال النبي صَلَّى اللّه عليه وسلمَ : من بدَل دينه فَاقتلوه "[1048]. ولكن نتيجة لقياسه على هذه الحادثة التي وقعت لسيدنا علي ــ كرم الله وجهه ــ أفتى بإحراق اليهود والنصارى إذا أعلنوا سبّ الرسول صلى الله عليه وسلم،[1049] وقد وضع في ذلك رسالة سمّاها " السيف الممدود في عنق من أعان اليهود".

كما سجلت بعض المصادر التاريخية[1050] أن خير الدين بربروس كان يستشير العلماء في أمور كثيرة، ويأخذ برأيهم، فقد طلب موقفهم من حاكم مدينة تنس[1051] الذي تعاون مع الإسبانيين، فأفتوا بقتله، والأمر نفسه أيضا لما كثُر الأسرى في مدينة الجزائر، وحاولوا القيام بثورة فيها، ولكن فطنة خير الدين حالت دون ذلك، فأراد هذا الأخير قبول فدية أهلهم مقابل اطلاق سراحهم.

وقبل القيام بهذا العمل، جمع فقهاء مدينة الجزائر، واستفتاهم في هذا الأمر، وكانت فتواهم هي عدم جواز فديتهم بالمال، بحجة أن هؤلاء الأسرى فيهم من كان من أعيان النصارى وزعمائهم، إذا وصلوا إلى بلادهم، استعانوا بهم على غزو الجزائر، ولم يكتف

[1047]ــ أجمع العلماء في أن حد من سبّ للرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان مسلما أو كافرا هو القتل ولا يستتاب، ينظر، ابن تيمية، الصار المسلول على شاتم للرسول ثلى الله عليه ةسلم، تحقيق: محمج عبد الله عم وَ محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1417هـ، ج1، ص،ص: 09، 533.

[1048]ــ رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب لا يُعذّب بعذاب الله، رقم: 149، ص: 577.

[1049]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، ص: 81. وينظر، عبدالكريم الفكون، منشور الهداية، ص ص:64ــ66.

[1050]ــ مؤلف مجهول، خبر قدوم عروج إلى الجزائر وأخيه خيرالدين، ظ و:12. وينظر، محمد بن رقية، الزهرة النائرة، ص: 40.

[1051]ــ حاكم تنس يُدعى حميد العبد.

العلماء بهذه الفتوى فقط، بل أفتوا بقتل هؤلاء الأسرى لما بادر من فسادهم، وقطعا لمكائدهم، فامتثل خيرالدين لأمر الفقهاء، ونفّذ الحكم فيهم[1052].

و لم تتوقف توسلات النصارى عند محاولة فدية أسراهم وهم أحياء، بل وبعد تنفيذ حكم الإعدام فيهم، حاول هؤلاء استرجاع الجثث مقابل مال يدفعونه إلى خير الدين، خاصة جثة أحد الزعماء، ولكن الفقهاء أفتوا بعدم الجواز، لأن الميتة لا يجوز بيعها، فعند ذلك أمر خيرالدين أن تلقى جثة الزعيم في بئر عميق[1053].

ولما ثار عبد القادر بن الشريف على باي وهران، الذي أخذ الإذن من شيخه محمد العربي الدرقاوي[1054]، في محاربة العثمانيين، بعدما نقل إليه بعض الصور عنهم، كالظلم، والجور، وإهانة العلماء، وأنهم يدَّعون الإسلام فقط، ولا يصومون، ولما أفتى شيخ الدرقاوين بالمغرب على ضوء ما سمع، بجهاد العثمانيين، واجتمع الناس حول طريقته الصوفية (درقاوة)[1055].

وثار عبد القادر بن الشريف مدة عشر سنوات، كاد يقضي على الحكم العثماني في الغرب الجزائري، ممّا دفع أحد الجزائريين إلى كتابة شيخ هذا الثائر مولاي محمد العربي الدرقاوي بالمغرب، بسألونه عن هذا الرجل وأمره ،في قصيدة شعرية[1056]:

أيّا أهل تطوان فما الحكم عندكم   في أصحاب درقاو إلى الجمل ينسب

[1052]ــ محمد بن رقية، الزهرة النائرة ، ص ص: 15ــ16.

[1053]ــ محمد بن رقية، المصدر نفسه، ص: 17.

[1054]ــ **محمد العربي الدرقاوي**: هو أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد الدرقاوي، حامل لواء الطريقة الشاذلية في زمانه، وأستاذ الأساتذة في أوانه، الشيخ الأكبر العارف بالله، الشهر العالم العامل الولي الواصل، أخذ الطريقة عن أبي الحسن الجمل عن العربي بن أحمد بن عبد الله الفاسي، وعنه أخذ خلق كثير منهم: إبناه محمد الطيب، والشيخ علي البركة، وأبوه عبد الله محمد بن حسن بن حمزة، توفي في سنة 1239هــ/ 1824م. ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 381.

[1055]ــ الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص:302.

[1056]ــ الأغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص:303.

بنص يزيل المشكلات بأسرها	أيتبع مطلقا أم الترّك أصوب
ومن أين ذاك الأخد بالسند الجلب	كما قرروا للشاذلي الجاه يحسب
إذا المحدثات شاع في الناس حكمه	يا ذا الأمن بالأوطان بلدنا مغرب
وما أحدثوا من جلد ذيب ونحوه	في لبسهم والحبل والعود يركب
إذا نصبوا للإقتداء فهل لنا	ثواب صلاتنا أم الأمر أصعب
وهل غيبة تجري وينصق عادل	جوابكم نبغي من الحوض نشرب

جوابه:

عليك سلام الله يا سائلي فخذ	نقولا من المعيار بالسوط يضرب
وابن الهلال شدد جدا محررا	ومن يتبع ذا الأمر إبليس يصحب
ومن يعتقد الرقص والشطح باليد	عبادة ربّه فزنديق يحسب
وقد خالفوا سبل الرسول محمد	ومن خالف سن النبي يعذب
إمامتهم مع الشهادة باطلة	لبدعتهم حقا وصدقا مركب
فلا غيبة تجري في سبعة طبقوا	في مثلهم الأخيار للعلم ينسب
فهذا المشهور عند جميعهم	فجنب طريق اللهو للحق تقرب
وأيقن بأن الله أنزل حكمه	في تتريله القرآن شرعا مهذب

وهكذا أبطل المفتي المغربي صاحب الطريقة الدرقاوية الفتوى الأولى التي أفتى بها، وتراجع عنها، ولكن الثورة أخمدها باي وهران في نواحي معسكر بالسيف والرصاص[1057].

[1057]- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص:27.

6 ـــ الحدود:

الحدود هي جمع لحد، والحد في اللغة هو الفصل بين شيئين، لئلا يختلط أحدهما بآخر، أو لئلا يتعدّى أحدهما على آخر، وحد كل شئ منتهاه، لأنّه يردّه، ويمنعه عن التمادي، مثل حد السارق، يمنعه عن المعاودة، ويمنع غيره إتيان الجنايات[1058]، وفي الاصطلاح الفقهي هي عقوبة مقدرة، وجبت حقا لله تعالى تبارك وتعالى، والحدود في الإسلام ثابتة بآيات القرآن الكريم، مثل: آية الزّنا، وآية السرقة، وآية القذف، وآية المحاربة، وآية تحريم الخمر وغيره[1059].

ومن الأمثلة عن الفتاوى الخاصة بالحدود، التي أفتى بها الفقهاء في الجزائر، فتوى خليفة بن حسن القماري التي قال فيها بمعاقبة السارق، بمجرد معرفة أثره، بعد منازعة فقهية حصلت بينه وبين علماء خنقة سيدي ناجي حول معرفة أثر السارق، وكتب رأيه هذا في قصدة سمّاها " معرفة الأثر" تضم ثلاثة وعشرين بيتا من الشعر[1060].

ولكن حدثت أمور مخالفة للشريعة الإسلامية، منها تنظّيم السّلطة العثمانية في الجزائر لممارسة مهنة وضيعة، تتمثل في البغاء، وهذا مخالف للشرع الحنيف، حيث منحت بعض النسوة الحق في ممارستها، ولكن تحت مراقبة المزوار[1061]، مقابل دفع ضريبة إليه، فتسجل النساء الباغيات في سجلات البايليك[1062]، في " حين تسلط عقوبات شديدة على أية امرأة تخون زوجها، أو يقبض عليها وهي متلبسة بممارسة هذا الفعل المشين مع أحد المسيحين أو

[1058] ـــ ابن منضور، المصدر السابق، ج3، ص: 140.

[1059] ـــ عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، تخريج الأحاديث والتعليق عليه: أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، مصر، ط1، 1424هـ/ 2003م، ج5، ص: 07.

[1060] ـــ محمد الطاهر المتليلي، المصدر السابق، ص ص: 53ـــ56.

[1061] - E.Duchenne Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête, Paris, 1853,PP. 63 – 65.

[1062] ـــ حسان كشرود، المرجع السابق، ص: 20.

اليهود، فإنه يحكم عليها بالموت، حيث توضع في كيس مع حجر ثم ترمى في البحر، لتموت غرقا عقابا لها على فعلتها"[1063].

مع العلم أن الشريعة قد حددت عقوبة الزاني المحصن ــ وهو الزاني المتزوج أو الزانية المتزوجة ــ بالرجم بالحجر حتى الموت لقوله صلى الله عليه وسلم:" ...وَالرَّجْمُ فِي كِتَاب اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الِاعْتِرَافُ..."[1064]، أمّا غير المحصن فحدّه الجلد مائة جلدة[1065] لقوله:" الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ "[1066].

وهناك عقوبات أخرى، ليس لها نص صريح في الشريعة الاسلامية، كتعليق يد السارق على كتفه، بعد تنفيذ الحكم بقطعها، " ...ثمّ يوضعون على حمار ويعرضون في نقاط عدة بالمدينة وبعضهم يرسلون إلى سجن قصر الداي لجلدهم خمسمائة جلدة وقد يضاف إليها خمس جلدات"[1067]، وهناك قصص كثيرة، في تاريخ باشوات الجزائر الذين كانوا يُمَثّلون بالميت، بمختلف الصور.

7ــ المسائل المستحدثة:

إنّ الإسلام صالح لكل مكان وزمان، فشريعته تتماشى وتطور الإنسان في مختلف مجالاته، ففي كل مرحلة من حياته، ونتيجة لهذا التطور تظهر أشياء جديدة، أحيانا يعجز المسلم عن إيجاد حكم الشرع الحنيف فيها، ممّا يستدعي اللجوء إلى أهل العلم لمعرفة الحلال والحرام.

[1063]ــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص:49.

[1064]ــ البخاري، الصحيح،كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، رقم: 6830، ص: 1302.

[1065]ــ عبد الرحمن الجزيري، المرجع السابق، ج5، ص، ص: 39، 47.

[1066]ــ سورة: النور، آية: 02.

[1067]ــ حسان كشرود، المرجع السابق، ص: 22.

ومن الأمور المستجدة خلال العهد العثماني في الجزائر، ظاهرة تعاطي الدخان[1068]، التي شغلت بعض العلماء، فأفتوا فيها، وألفوا الكتب، ومن هؤلاء: عبد القادر الراشدي (1112هـ / 1700م) ، الّذي ألّف رسالة في تحريم شرب الدخان[1069]، سمّاها " تحفة الإخوان في تحريم الدخان"[1070]، وبيّن فيها أضرار هذه الآفة، من ما قال فيه:"... أضراره بالعقل والبدن، لأنّ من طبعه التجفيف للرطوبات، وبعد تمامه يحترق الكبد، والدماغ والقلب، فيتبعها سائر البدن، فيكون سببا في الهلاك عادة..."[1071].

ولتحريمه جاء الفقيه بمجموعة من الآيات القرآنية والآحاديث النبوية في استدلاله على ذلك، كما استعمل القياس في إخراج فتواه، مثل ذكره لقول الله تعالى:" ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "[1072]، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا..."[1073]، واستتنج الفقيه عبد القادر الراشدي من هذين الدليلين أنّ "...عدم قبول ومحبة الخبث، والقذارة... الحسن والقبح بمعنى ملاءمة الطبع، ومنافرته، وصفة الكمال والنقص، ممّا يقضي بها العقل سنة واعتزالا شرعيان أيضا، فما حسّنه أو قبّحه العقل باتفاقهما، فهو حسن أو قبيح عند الله، فيستفاد أنّ المستحسن في جميع الطباع حلال، والمستقبح في جميعها كالدخان حرام..."[1074]، واستعمال هذا الفقيه للقياس، دليل على بلوغه درجة الإجتهاد، ولمستواه المعرفي الواسع.

[1068]ـــ من الباحيثن الجزائريين الذين تناولوا موضوع التدخين، بكير يحي الشيخ بالحاج، الذي درس هذه الآفة، في موضع رسالة ماجستير المسومة بـــ" آفة التدخين بين العلم والشرع"، تحت إشراف الدكتور: غازي عنابة، بالمعهد الوطني العالي لأصول الدين، بالجزائر، ونوقشت هذه الرسالة خلال السنة الدراسية: 1413 هــ/ 1992ـــ 1993م.

[1069]ـــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 14.

[1070]ـــ هذا الكتاب قام بدراسته وتحقيقه الدكتور عبدالله حمادي، وأخرجته دار الغرب الإسلامي ببيروت في طبعته الأولى سنة1997.

[1071]ـــ عبد القادر الراشدي، تحفة الإخوان في تحريم الدخان، ص: 105.

[1072]ـــ سورة: لقمان، آية: 18.

[1073]ـــ مسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب وترتيبها، رقم: 1015، ص:391.

[1074]ـــ عبد القادر الراشدي، المصدر نفسه، ص ص: 125ـــ 126.

وكذلك عبد الكريم الفكون الذي حارب التدخين، فأفتى بحرمة تعاطيه[1075]، وألّف كتابه المسمى بـــ: " محدد السنان في نحور إخوان الدخان "[1076] يشمل على عدة كراريس، وقد ضمّنه مباحثا إجتهادية، ونقولا من الفقهاء، وهاجم فيه متناولي الدّخان، وحكم بتحريمه، لأنه في نظره يحدث نشوة وطربا كالحشيشة، وبيّن الأسباب الأخرى التي تدخل في تحريمه، كقوله: "...وشرب الدخان يجب تركه...وأنّ مجامعهم (شاربي الدخان) عند ذلك مشحونة بهتك الأعراض، التي طلب الشرع توقيرها، وحرّم تناولها..."[1077].

ووقف الفكون ضدّ العلماء المتساهلين في مسائل الدخان، وخصّ بالذكر أبا الحسن الأجهوري، الذي قال عن التدخين أنه "ليس بمسكر قطعا، لأن المسكر ما غيب العقل، دون الحواس، مع نشوة وطرب، مع أنه يغيب العقل فليس مع نشوة وطرب ...فهو يجيز على حكم المفسد والمرقد ..." [1078]، وهكذا فمسألة الدخان عند الأجهوري تتعلق بأمزجة الأشخاص، فإن أسكر فهو حرام، وإن لم يسكر فهو حلال[1079].

وفي نواحي منطقة الغاسول، سُئل أبو العباس الهلالي السلجماسي لما كان في ضمن وفد الحجيج الذي نزل بهذه المنطقة، لقضاء ما يحتاجونه من الزّاد، عن حكم بيع عُشبة تسمى عند أهل هذه المنطقة " تبغى"، فهل تجوز التجارة فيها؟ وقد ذكر المفتي أن حكم التجارة بهذه العشبة ينبني على حكم استعمالها، وبيّن اختلاف الفقهاء بين المنع والجواز، وختم قوله بقول أبي سالم العياشي: " أنّ أكثر العلماء قالوا بتحريمه، وهو الصحيح لما اشتمل عليه

[1075]ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 82.

[1076]ــ هذا الكتاب لازال مخطوطا، توجد نسخة منه في مكتبة وزارة الشؤون الدينية للأوقاف، بالجزائر العاصمة، تحت رقم: 707، عدد أوراقه:30.

[1077]ــ عبد الكريم الفكون، محدد السنان في نحور إخوان الدخان، مكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، مخطوط رقم 707، ص: 43.

[1078]ــ عبدالكريم الفكون، المصدر نفسه، ص: 02.

[1079]ــ يحي سعيدي، جهود الجزائر في خدمة الفقه المالكي إبان الحكم العثماني، ص: 263.

من المفاسد، ولا منفعة فيه أصلا، كما اتفق أرباب القلوب شرقا وغرابا على التنفير منه، وكراهته"[1080].

كما اهتمّ أبوراس بهذا الموضوع، وأدلى برأيه في حكم شرب القهوة، وتعاطي التدخين، حينما سُئل عنهما، وهو بالمجلس العلمي بمدينة الجزائر سنة 1214هـ/1799م، وقد بدأ بشرب القهوة وبيّن أقوال العلماء فيها، ثمّ تطرق لموضوع "الدخان" وذكر أقوال علماء المغرب والمشرق فيه، وحتى علماء الجزائر أمثال عبد الكريم الفكون الحفيد، والفقيه عبد القادر الراشدي، فبيّن حكمهم على هذا السلوك، بين الحلّة والتحريم، ولكنه خلص في الأخير أنّ مفاسده كثيرة، وبالحرمة به قال الكثير من العلماء[1081].

ولأبي راس رسالة فقهية أجاب عن نازلة عصرية، موضوعها: هل الجدري ـــ المرض ـــ عيب يرد به االرقيق، أم لا؟ و" أبو راس لم يكن في هذه الرسالة مجرد ناقل ـــ وإن أكثر النقل عن غيره ممّا يدّل على سعة اطلاعه ـــ أو مقلد بل كان محتجا مؤصلا، مجتهدا، وناقدا لمن سبقه، مستدلا بأقوال الأطباء، ووقائع الناس، وأعرافهم، بحيث ظهرت شخصيته الفقهية المتميزة والمستقلة "[1082].

لقد اتفق كل من عبد القادر الراشدي، وعبد الكريم الفكون، وأبو العباس السلجماسي الذي استشهد بقول العياشي، وأبو راس الناصري وكذا إبراهيم بن بيجمان على تحريم التدخين، لمّا فيه من أضرار كثيرة، والمنع أيضا يُطال حتى بيع عشبته.

كما سُئل السلجماسي أيضا عن البارود أطاهر هو أم نجس؟ وكان الجواب بطهارة البارود مادام أنه يصنع من الملح الذي يطبخ بالماء طبخا ناعما[1083]، كما انتشرت ظاهرة التدخين في المجتمع الميزابي خلال العهد العثماني، ممّا استدعى تدخل العلماء في الوقوف

[1080]ـــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر السابق، ص: 138.

[1081]ـــ أبوراس الناصري، فتح المنّة، صص : 159 ـــ 163.

[1082]ـــ أبو راس الناصري، الكوكب الدري في الكلام على الجدري، ص: 23.

[1083]ـــ أبو العباس الهلالي السلجماسي، المصدر نفسه، ص:140.

لمحاربتها، ومن العلماء الذي تصدوا لها الفقيه الإباضي ضياء الدين عبد العزيز الثميني، الذي آلت إليه مشيخة مجلس بني ميزاب[1084].

بهذه الأسئلة يكون أهل الجزائر غير بعيدين عمّا كان في العالم العربي والإسلامي، من الحديث عن الأمور المستحدثة، وتوجههم إلى الفقهاء بأسئلتهم حول هذه الأمور، دليل أيضا على تمسكهم بدينهم، ومحاولة معرفة رأي الشارع في كل سلوك يسلكونه في حياتهم، كما كان العلماء أيضا بفتواهم، وإبداء أرائهم فيها، في مستوى تطلعات الأمّة، فبيّنوا للنّاس ما أُشكل عليهم من مستحدثات الأمور.

ما ذُكر من الفتاوى التي أصدرها علماء جزائريون وغيرهم، ما هي إلاّ نماذج عن النوازل التي أفتى فيها العلماء في الجزائر العثمانية، من ما تمكن الباحث من الحصول عليها، ومالم يتمكن من الوصول إلى مثل هذه الفتاوى، وهي موجودة أكيد بكثرة، سواء في المكتبات العامة أو الخاصة، في الجزائر وفي خارجها، ولكن ما وصل منها في عصرنا هذا مقارنة بطول الحكم العثماني في الجزائر الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، مع كُثرة الفقهاء الذين أفتوا الناس في مسائلهم، فيعتبر القليل.

ومن جهة أخرى تدلّ هذه النوازل على اهتمام سكان الجزائر بأمور دينهم، فسألوا علماءهم في كل جوانب حياتهم، في العبادات، العقيدة، المعاملات، الأحوال الشخصية، وغيرها كما سبق، محاولين أن تكون حياتهم وفق ما جاء به الإسلام، كما تبيّن أيضا هذه الفتاوى المستوى العلمي الذي وصل إليه علماء الجزائر، فهم لم يكتفوا بالتقليد، والإعتماد على أقوال سابقيهم من الفقهاء، بل منهم من اجتهد، وبيّن الأحكام في القضايا المستجدة في وقتها، من أمثال: عبد القادر الراشدي، عبد الرحمن الأخضري، أبي راس الناصري وغيرهم.

[1084]ــ محمد حسن المهدي، الإباضية: نشأتها وعقائدها، ص ص: 13ــ14.

الخاتمة

لقد استطاعت السلطة العثمانية في الجزائر ضمّ العلماء إلى جانبها، وكسب ودّهم، ممّا ساعد ها على النفوذ في أوساط المجتمع الجزائري، وبسط سيطرتها عليه، من خلال فرض الضرائب المختلفة، ودعاء العلماء للسلطان العثماني على المنبر.

فمنذ سنة 926هـ/1520م والجزائر تحت ظلّ الخلافة العثمانية، تُسير وفق تنظيماتها الإدارية والعسكرية، وقوانينها المختلفة، ومنها ترسيمها لمنصب الإفتاء، فعينت فيه من ترضاه مناسبا له من العلماء، محاولة الظهور للناس بأنها خلافة إسلامية تهتم بخدمة الدين، من جهاد وفتح.

والتوظيف في منصب الإفتاء، لا يشترط فيه دوما العلم، فلمّا تدهورت الآوضاع في الجزائر، وظهر حكام كان همهم جمع الثروات، غاب شرط العلم في تعيين المفتي، وحلّ محلّ الرشوة والمحاباة للحاكم مقابل المنصب، كما سبب هذا المنصب أيضا احتدام التنافس بين العلماء، إلى درجة تدبير المكائد بينهم، والوشاية بهم إلى الحكام، لمّا يجنيه صاحبه من إمتيازات مادية ومعنوية.

ورغم ظهور بعض العلماء ممن يشهد لهم بعلمهم في منصب الإفتاء الرسمي، إلاّ أنّه وُجد غيرهم كمن وصفه عبد الكريم الفكون بـــ"من نال المنصب بما ادعى بالعلم"، وذلك لتدخل عوامل أخرى في التعيين لمنصب المفتي، مثل علاقة العائلة بالسلطة، وغيرها من العوامل التي لها دور في التعيين، كما لها الدور ذاته في العزل، مع الإشارة أنه لم تُحدد مدة التعيين في هذه الوظيفة، فهناك من بقي فيها ستون سنة، وهناك من المفتين من بقي في منصبه أقلّ من سنة، مثلما لم يُحدد السن لشغل هذا المنصب.

وأمّا العلماء الذين لم ينالوا المناصب، ورغم مكانتهم العلمية، إلاّ أنهم يقومون بإصدار فتاوى، لأن الواجب الشرعي يفرض عليهم ذلك، دون انتظار الحاكم، وما معه من امتيازات، ولكن هؤلاء العلماء منهم من بقي في الجزائر خادما للعلم، مدرسا ومفتيا حرا، أو

اختاروا الهجرة نحو البلدان العربية، فنالوا الاحترام من الجميع، ونالوا المناصب العليا، كالإفتاء والقضاء والتدريس.

والإفتاء في الجزائر لم يقتصر على فقهاء الجزائر فقط، أو على علماء المذهب الحنفي الذين كانوا يأتون من اسطنبول فحسب، بل امتدّ إلى علماء المغاربة وغيرهم الذين زاروا الجزائر، عابري السبيل، أو طالبا للعلم، أوالتدريس، فكان للجزائريين الفرصة لاستفتائهم في مسائلهم الفقهية.

كما كان الإفتاء أيضا من طرف شيوخ الزوايا، ومقدمي الطرق الصوفية، حيث مارسوه، فكان الناس يستشيرونهم في قضاياهم، ويستفتونهم في أمورهم الدينية والدنيوية، بحكم أن هذا الشيخ عادة ما يكون حافظا لكتاب الله، وملمّا بالفقه، خاصة في الرّيف الذي كانت تنتشر فيه هذه الزوايا والطرق الصوفية.

وهكذا كان الافتاء في الجزائر العثمانية على نوعين: رسمي وحر، فالنوع الأول هو الذي تتدخل السلطة في تعيينه، مقابل امتيازات معنوية ومادية، والنوع الثاني لا تتدخل السلطة في تعيين المفتي فيه، وقد لا يستفد من الامتيازات كالتي تُمنح للمفتي الرسمي.

والمفتي مهما كانت صفته رسميا كان أو حرا، له مكانة مرموقة في مجتمعه، إذ يحظى باحترام الجميع، وتقديرهم، وتبجليهم أيّاه، يتمتع بنفوذ قوي في أوساط مجتمعه، والسلطة كانت تعلم ذلك، فعملت هي الأخرى على احترامه، ومنحه امتيازات كثيرة، فقد منحت المناصب للمفتي الرسمي ولأفراد عائلته، كما أوقفت ملكيات على بعض الزوايا والأضرحة، وهذا كله قصد كسب ودّ العلماء، لاستغلاله في بسط نفوذ السلطة على المجتمع كله.

وللمفتي في الجزائر العثمانية مكانة سياسية كبيرة، إذ كان يحضر تنصيب أي داي جديد، وهو عضو في مجلس الديوان، والمجلس العلمي، الذي كان يحضره الداي بنفسه للنظر

في القضايا التي طلب أصحابها الإستئناف في الحكم فيها، بعدما لم يقبلوا حكم القاضي فيها، كما كان مستشار سياسيا للحاكم في العديد من القضايا.

ودور المفتي كبير في مجتمعه، فبالإضافة إلى مهمته في إجابة الناس عن أسئلتهم المتعلقة بحكم الشرع فيها، كان له الدور السياسي الكبير، فهو المساعد على توطيد الحكم العثماني بالجزائر، وهو الذي تحالف معهم في محاربة المحتل الإسباني، وطرده من المدن الساحلية، كما ساعده أيضا على إخماد الثوارات، والتمردات التي واجهها النظام العثماني في الجزائر، وخارجيا كانت للمفتي عدة وفادات إلى الخارج، في مهمات متعددة، كالسعي في الصلح بين حكام الجزائر وبين غيرهم من الدول الأخرى، أو لشراء الأسلحة لصالح الجزائر، غيرها من أغراض النشاط الدبلوماسي للمفتي الجزائر خلال العهد العثماني.

كما كان للمفتي أيضا دور اجتماعي تمثل في الصلح بين الناس، وحل مشاكلهم، ومحاربة بعض الأمراض الاجتماعية، ودور ثقافي كبير جدا، من حيث قيامه بالنشر الوعي الديني بين الناس، من خلال إجابته على إنشغالاتهم الدينية، وكذا التدريس، والتأليف، وتسييره للوقف وما تقدمه هذه المؤسسة للحياة الثقافية بشكل عام، إضافة القيام البعض من أهل العلم بنشاطات تجارية، مختلفة.

وحاولت السلطة في الجزائر العثمانية استغلال الفقهاء لبسط نفوذها على المجتمع، فأغدقت عليهم المناصب والهدايا، وأوقفت أوقاف لصالح الزوايا، وغيرها من الامتيازات، مقابل كسب ودّ العلماء، واستثمار مكانتهم في المجتمع، لصالح فرض السيطرة، وإخضاع القبائل تحت حكمها، ولكن العلاقة التي ربطت المفتي بالسلطة العثمانية في الجزائر لم تكن على خط واحد طوال العهد العثماني في الجزائر، فهي أحيانا تكون جيدة، فتكون الهدايا والامتيازات من طرف السلطة، والدعوة للحاكم، والولاء له من طرف المفتي، وأحيانا أخرى

تسوء هذه العلاقة، فيثور المفتي ضدّها، ويدعو الناس لذلك، فيكون مصيره النفي، أو قتله من طرف السلطة.

أدركت السلطة العثمانية خطروة الإفتاء، ممّا قد يسبب لها مشاكل سياسية كثيرة، والخوف من ظهور مفتين أحرار كل يفتي حسب هواه، فتبرز للواقع حركات وفرق جديدة قد تهدد أمن الدولة، وتفكك وحدتها الجغرافية، فسعت إلى تنظيم الإفتاء، وتخصيص له منصبا إداريا له بعض الصلاحيات، لتوحيد الفكر العقائدي في الدولة، ومحاربة الفرق الضّالة الأخرى كالخوارج وغيرها، من جهة، وإظهار للعالم الإسلامي طبيعة الخلافة العثمانية أنها خلافة إسلامية، من جهة أخرى.

ولكن شخصية الحاكم لها دور كبير في رسم طبيعة العلاقة بين الفقهاء وبين السلطة، فكلما كان هذا الحاكم عادلا، كان العلماء في صفه، يقدمون له يد العون، مثل مشاركة العلماء في جهاد النصارى بوهران، وغيرها من المحطات التاريخية التي تبرز تعاون المفتي مع السلطة خلال العهد العثماني، ولكن إن كان الحاكم ظلوما، فلن يستطع المفتي إخماد الثورات التي تقام ضدّه، فهذا الأخير وحده لا يكفي لبسط نفوذ السلطة في المجتمع، وإخضاعه لها، إن لم يكن الحاكم عادلا، وصدق من قال:" العدل أساس الملك ".

شملت أسئلة الناس، وإجابات العلماء عنها في الجزائر العثمانية، مجالات متعددة، مثل العبادات، العقيدة، الأحوال الشخصية، المعاملات، والسياسة الشرعية، وهناك مستجدات حديثة، ونوازل، أجاب عنها فقهاء الجزائر، الذي أبانوا فيها عن مستواهم العلمي الرفيع، وأسلوبهم في التعامل مع المستفتي، وكذا تنوع المستفتين من الجزائر و من خارجها.

ما يؤسف له حقا هو ضياع الكثير من جهد علماء الأمّة، خاصة في مجال الإفتاء والنوازل، فلا يعقل أنّ أحدا كسعيد قدورة مثلا، لا تصلنا إجاباته على أسئلة الناس، والكثير الكثير من هذا الجهد يُجهل مصيره، والقليل ما وصل إلى اليوم، فهو إمّا في رفوف مكتبات

خاصة يُحرم الاطلاع عليها، لسبب أو آخر، فهو محكوم عليه بالسجن المؤبد مع سماح للأرضة فعل فيه ما تشاء، أو في مكتبات عمومية يُصعب الوصول إليه بحجة من الحجج.

وتبقى بعض الجوانب من موضوع الإفتاء خلال الفترة العثمانية لم يتم التطرق إليها، مثل المرجعية الدينية للفتوى، أو خلفية المفتي من خلال فتاويه، موضوع الإفتاء في المغرب الأوسط، منذ الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط الدولة الزيّانية، علما أن البحث فيه وتتبعه خلال هذه الفترة يحتاج إلى الدراسة والبحث، لمعرفة تطور هذا المنصب ورجاله خلال هذه الفترة الزمنية، وكذا معرفة، أو تخصيص موضوع الإفتاء خلال كل مرحلة من مراحل الحكم العثماني، مثلا: الإفتاء في الجزائر خلال عهد الدايات، أو دراسة هذا الموضوع في جهة من جهات الوطن، أو حتى في مدينة من المدن، ليتمّ درسته بكل التفاصيل، وكذا إبراز العلماء الجزائريين الذين مازالوالم يحظوا بالدارسة، مثل مصطفى الرماصي، عيسى الثعالبي، وغيرهما كثير. وهناك موضوع آخر هو العلاقات الثقافية بين الجزائر وبين البلدان العربية من خلال النوازل الفقهية، فالمفتي قد تصله أسئلة من خارج بلده، كما يمكن للناس عامة استفسار فقهاء غير جزائريين.

وهناك موضوع آخر مرتبط بظاهرة أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري" كظاهرة عرفتها الجزائر خلال مرحلة من المراحل التاريخية للجزائر، وذلك لإبراز بعض المظاهر الاجتماعية والثقافية في هذه الجهة، من خلال دراسة هذا الموضوع، مع العلم أنّه لم يسبق دراسته، فقط هناك مذكرة ماجستير وحيدة بعنوان " أضرحة مدينة الجزائر من خلال وثائق الأرشيف".

الملاحق

ملحق رقم[1085] : 01


Année 1080 – 1667

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

Mazouna

وثيقة تعيين السّيد: **أحمد بن خدة بن علي الكتروسي** مفتيا وإماما بمازونة، ومكلفا بأحباسها سنة 1080هـ/1669م.

[1085]ــ هذه الوثيقة ملك جمعية الظهرة للفن والسياحة والأثار، ببلدية مازونة، ولاية غليزان.

ملحق رقم[1086]: 02

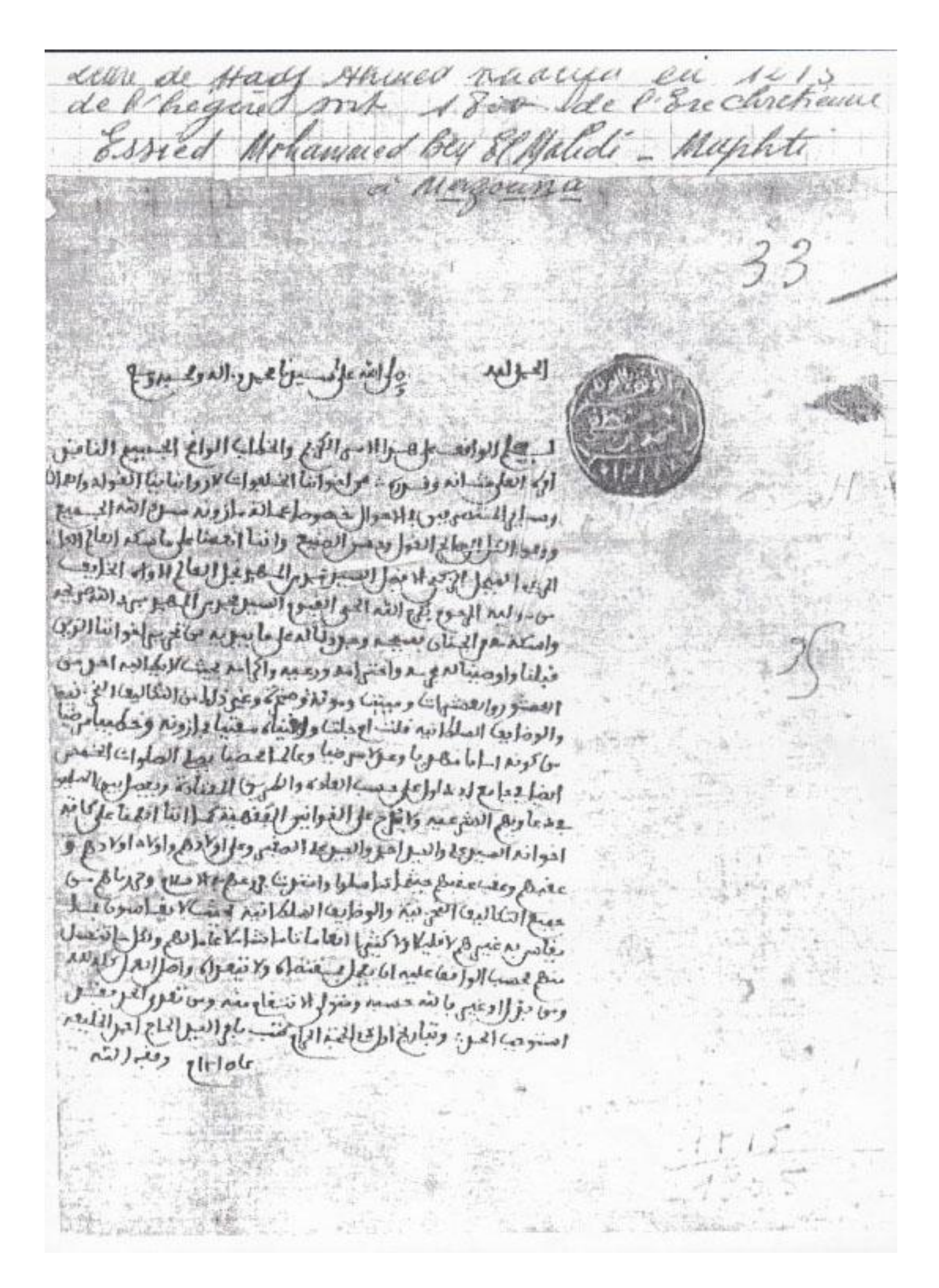
Lettre du Bey Otmane – 1212 de l'hégire
soit 1795

Le savant Si Mohammed ben El Mahdi
Mufti de Mazouna

وثيقة تعيين السيد: محمد بن المهدي مفتيا وخطيبا بمازونة سنة 1212هـ/ 1795م

[1086]ـــ هذه الوثيقة ملك جمعية الظهرة للفن والسياحة والآثار، ببلدية مازونة، ولاية غليزان.

ملحق رقم[1087] : 03



Essied Mohammed Bey El Mahdi – Muphti

à Mazouna

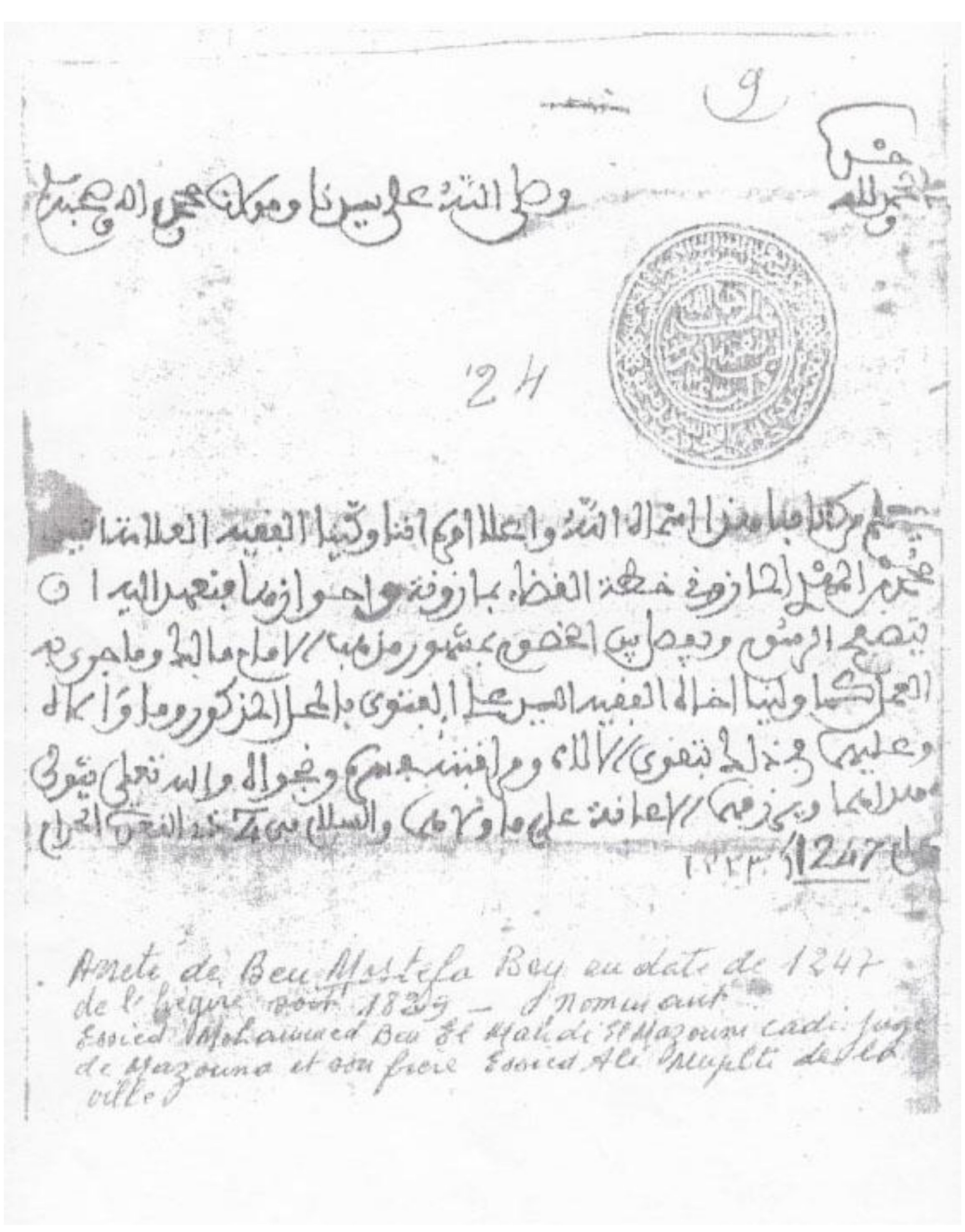
33

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وثيقة تعيين السّيد: محمد بن المهدي مفتيا بمازونة، مع إسقاط عنه وعن إخوانه جميع أنواع الضرائب.

[1087]ــ هذه الوثيقة ملك جمعية الظهرة للفن والسياحة والآثار، ببلدية مازونة، ولاية غليزان.

ملحق رقم[1088] : 04



الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

1247

Arrete de Bey Mostefa Bey en date de 1247 de l'hegire soit 1829 - nommant Essied Mohamed Ben El Mahdi St Mazoum cadi juge de Mazouna et son frere Essied Ali Mufti de la ville

وثيقة تعيين السيد محمد بن المهدي قاضيا وأخيه السيد علي مفتيا بمازونة.سنة

1088ــ هذه الوثيقة ملك جمعية الظهرة للفن والسياحة والآثار، ببلدية مازونة، ولاية غليزان.

ملحق رقم[1089] : 05

هذه الوثيقة تُبيّن راتب أصحاب الوظائف الدينية ومنهم المفتي لسنة 1227هـ/

1089ـ الأرشيف الوطني الجزائري، بيت المال، رقم السجل: 333، ورقة:01.

ملحق رقم[1090]: 06

وثيقة تُبيّن رواتب أصحاب الوظائف الدينية لسنة 1226هـ/1811م

[1090]ـــ الأرشيف الوطني الجزائري، بيت المال والبايلك، سجل: 332، رقم: 01.

ملحق رقم[1091]: 07

تتضمن رواتب موظفي جامع الجديد ومعهم المفتي الحنفي

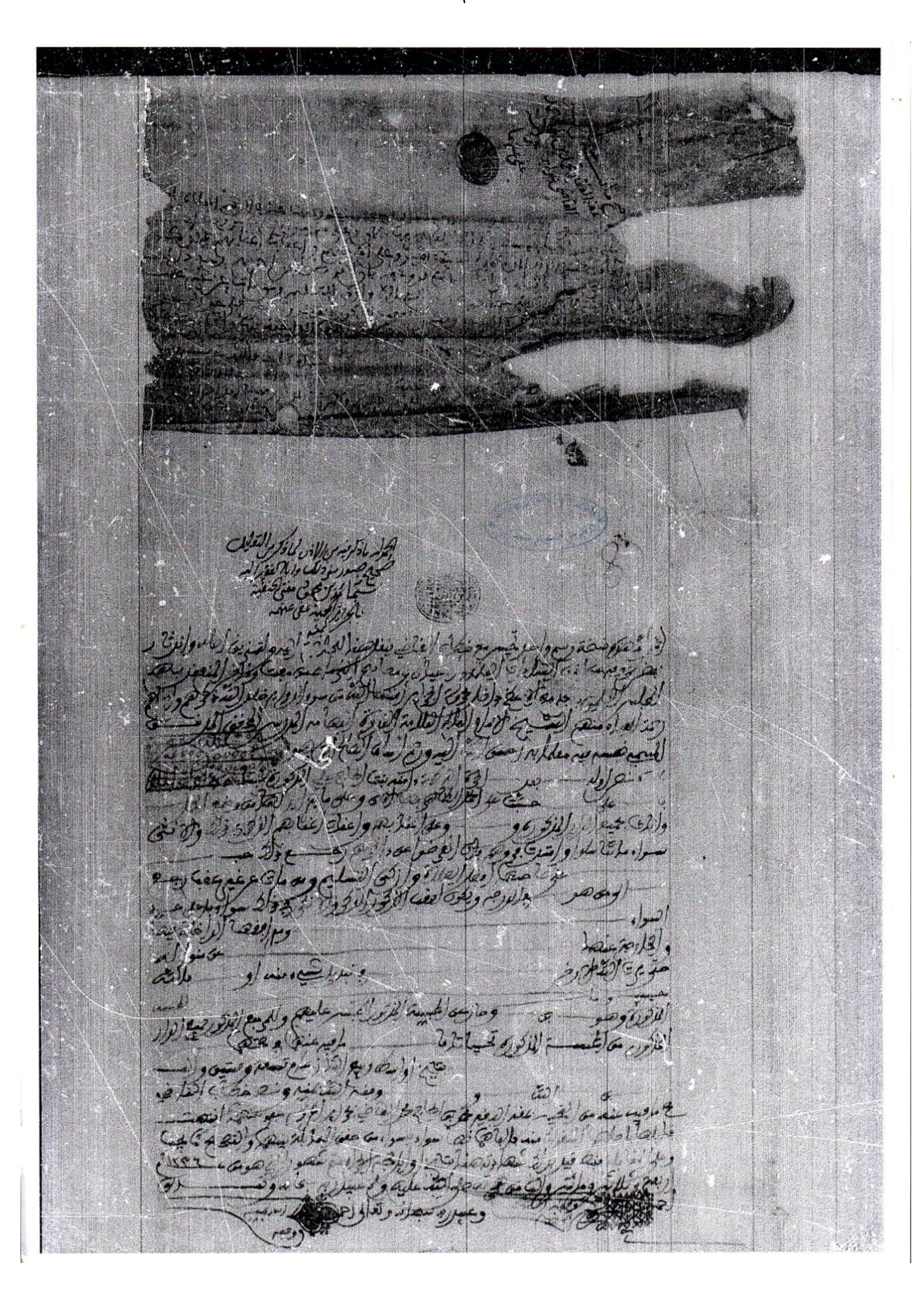
[1091]ــ سلسلة البايلك رقم: 336، ورقة:02.

ملحق رقم[1092]:08

تتضمن رواتب أصحاب الوظائف الدينية لسنة 1229هـ

1092ـــ بيت المال والبايلك، رقم السجل: 332، ورقة:01.

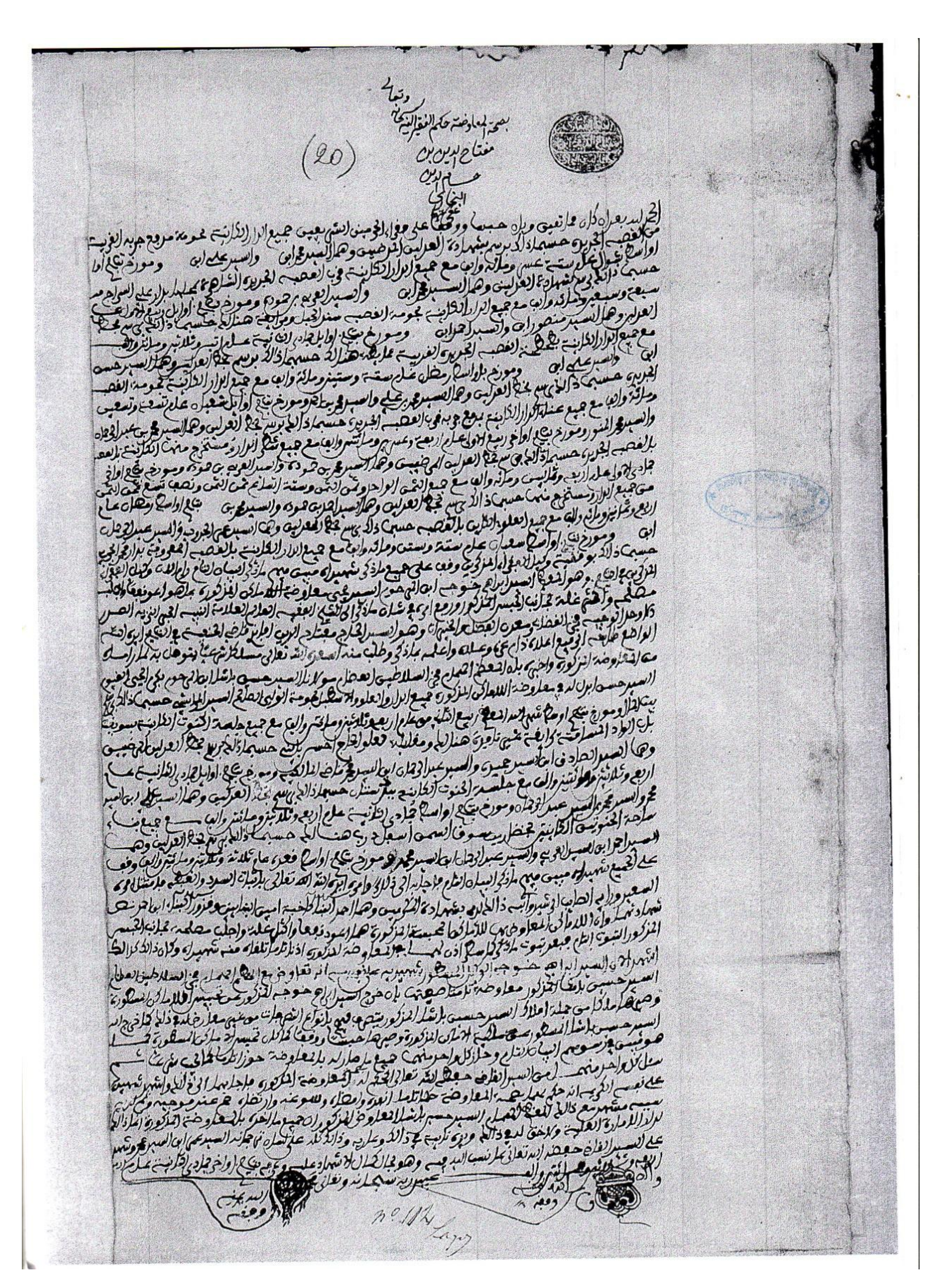
ملحق رقم[1093]: 09



تتضمن هذه الوثيقة رسم تحبيس بإشراف مفتي الحنفية والقاضي بمدينة الجزائر

[1093]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة 7 ــ1 رقم: 8.

ملحق رقم[1094]: 10



تتضمن هذه الوثيقة سؤال وجواب في مسألة شرعية تخص الحبس وفق المذهب الحنفي

[1094] ـــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 6 ـــ 1، رقم: 20.

ملحق رقم[1095]: 11



تتضمن استشارة شرعية في حول وقف معين قرب الضريح علي الفاسي،

والإجابة من طرف القاضي محمد بن مصطفى

[1095]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 4 ــ 1، رقم: 21.

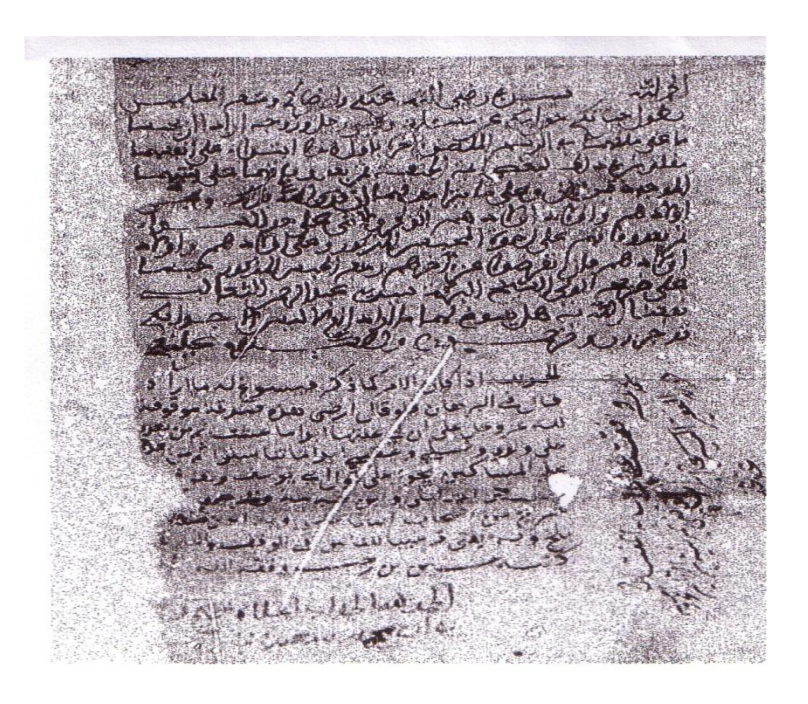
ملحق رقم[1096]: 12

تتضمن هذه الوثيقة نازلة للمدعو محمد بن عبد الرحمن وزوجته، حول: هل يجوز تحبيس ما يملكانه تحبيسا ذريا لصالح ضريح عبد الرحمن الثعالبي؟

مع إجابة المفتي حسين بن رجب بالجواز.

[1096]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، علبة: 132 ــ133، رقم: 06.

ملحق رقم[1097]: 13



تتضمن هذه الوثيقة سؤال من المدعو محمد بن محمد: هل يجوز تحبيس داره تحبيسا ذرّيا لصالح ضريح عبد الرحمن الثعالبي وفق المذهب الحنفي؟

مع إجابة المفتي حسين بن رجب بالجواز.

[1097]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 132 ــ 133، رقم: 03.

ملحق رقم[1098] : 14

اسم العائلة	الحاضرة	اسم أفرادها	الوظيفة
ابن المسبح	قسنطينة	أبو محمد عبد اللطيف المسبح أبو العباس أحمد المسبح أبو محمد بركات المسبح أبو محمد عبد الله المسبح محمد المسبح	الإفتاء الإفتاء الإفتاء القضاء القضاء
قدورة	الجزائر	أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة ابن ابراهيم قدورة أحمد قدورة سعيد بن أحمد قدورة	الإفتاء الإفتاء الإفتاء الإفتاء
العطار		أبو الفضل قاسم العطار أبو عبد الله محمد العطار أبو عبد الله بن العطار أحمد العطار	 القضاء القضاء الإفتاء
ابن العنابي	الجزائر	حسين بن العنابي محمد بن محمود بن العنابي	الإفتاء الإفتاء
الفكون	قسنطينة	قاسم الفكون يحي الفكون أبو الفضل يحي بن الفكون	القضاء القضاء القضاء
الغربي	قسنطينة	أبو العباس أحمد الغربي أبو راشد عمار الغربي	الإفتاء والقضاء الإفتاء

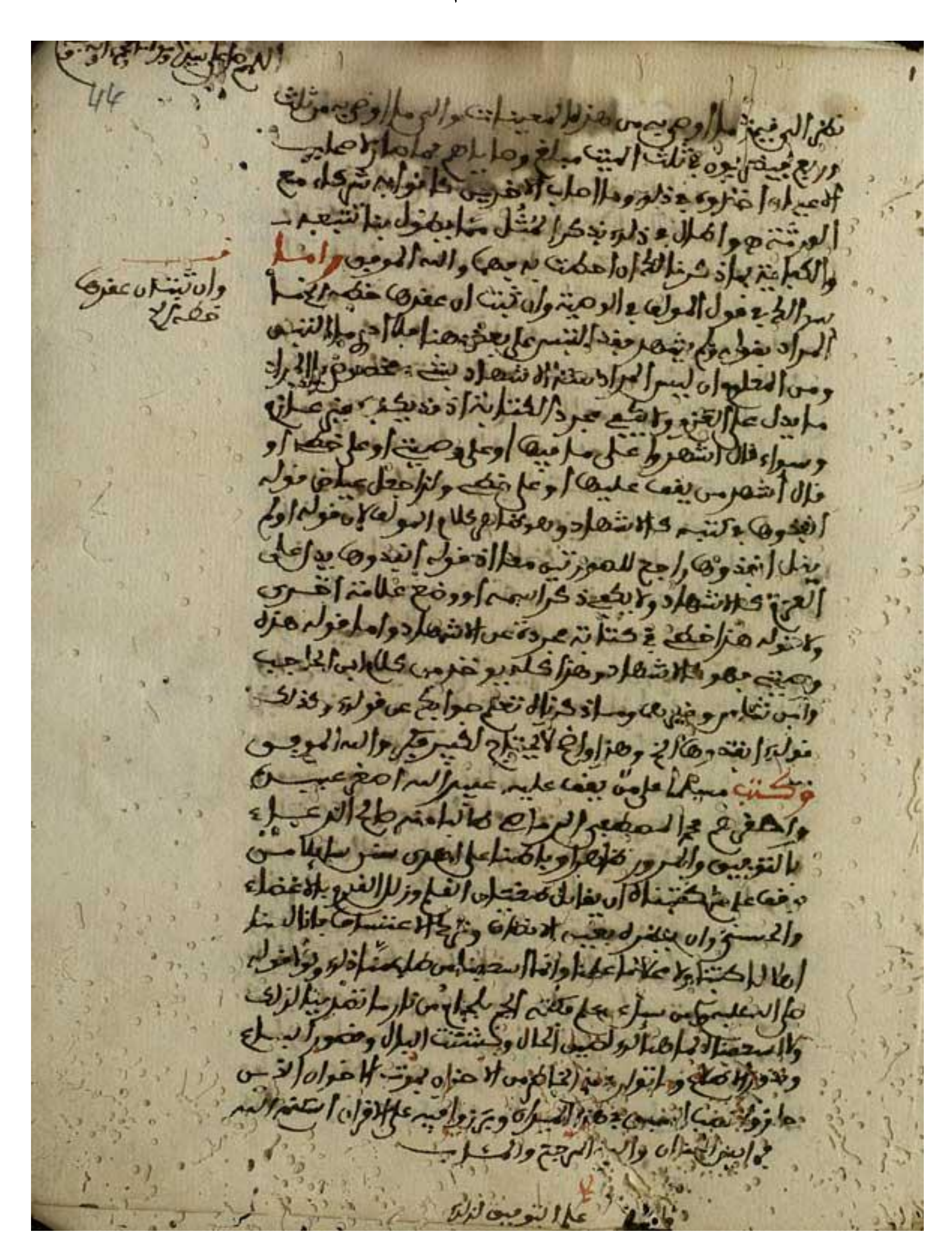
[1098]ــ بوشنافي محمد، القضاء في الجزائر العثمانية، ص ص:168ــ 169.

ملحق رقم: 15



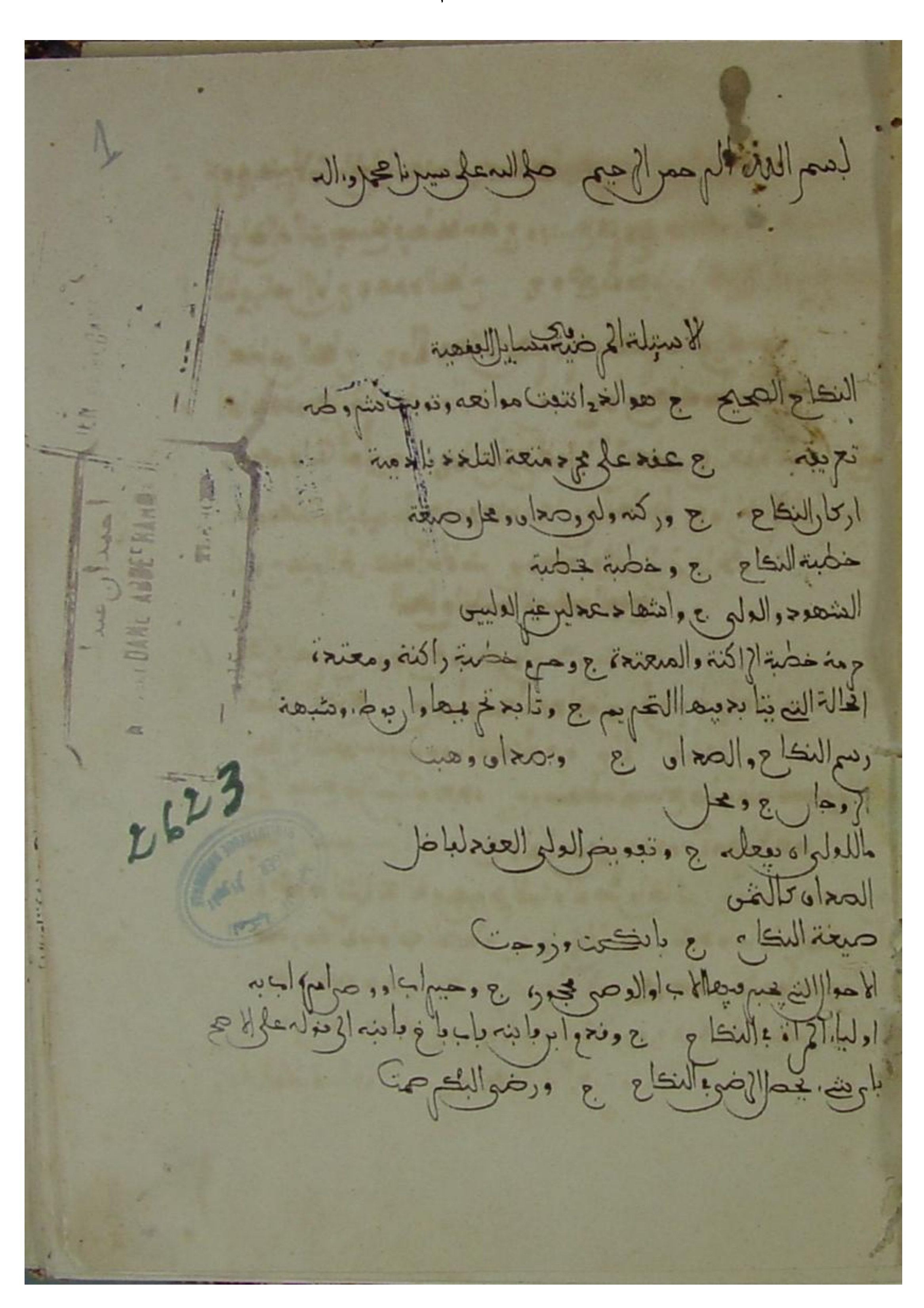
بداية مخطوط أجوبة مصطفى الرماصي

ملحق رقم: 16



نهاية مخطوط أجوبة مصطفى الرماصي

ملحق رقم: 17



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الأسئلة المرضية في مسائل الفقهية

النكاح الصحيح ج هو الذي انتفت موانعه وتوفرت شروطه

تعريفه ج عقد على مجرد متعة التلذذ بآدمية

أركان النكاح ج وركنه ولي وصداق ومحل وصيغة

خطبة النكاح ج وخطبة خطبة

الشهود والولي ج وإشهاد عدلين غير الوليين

حرمة خطبة الراكنة والمعتدة ج وحرم خطبة راكنة ومعتدة

الحالة التي يتأبد فيها التحريم ج وتأبد تحريمها بوطء ولو بشبهة

رسم النكاح والصداق ج وبصداق وهبت

الزوجان ج ومحل

ما للولي أن يفعله ج وتفويض الولي العقد لفاضل

الصداق كالثمن

صيغة النكاح ج بأنكحت وزوجت

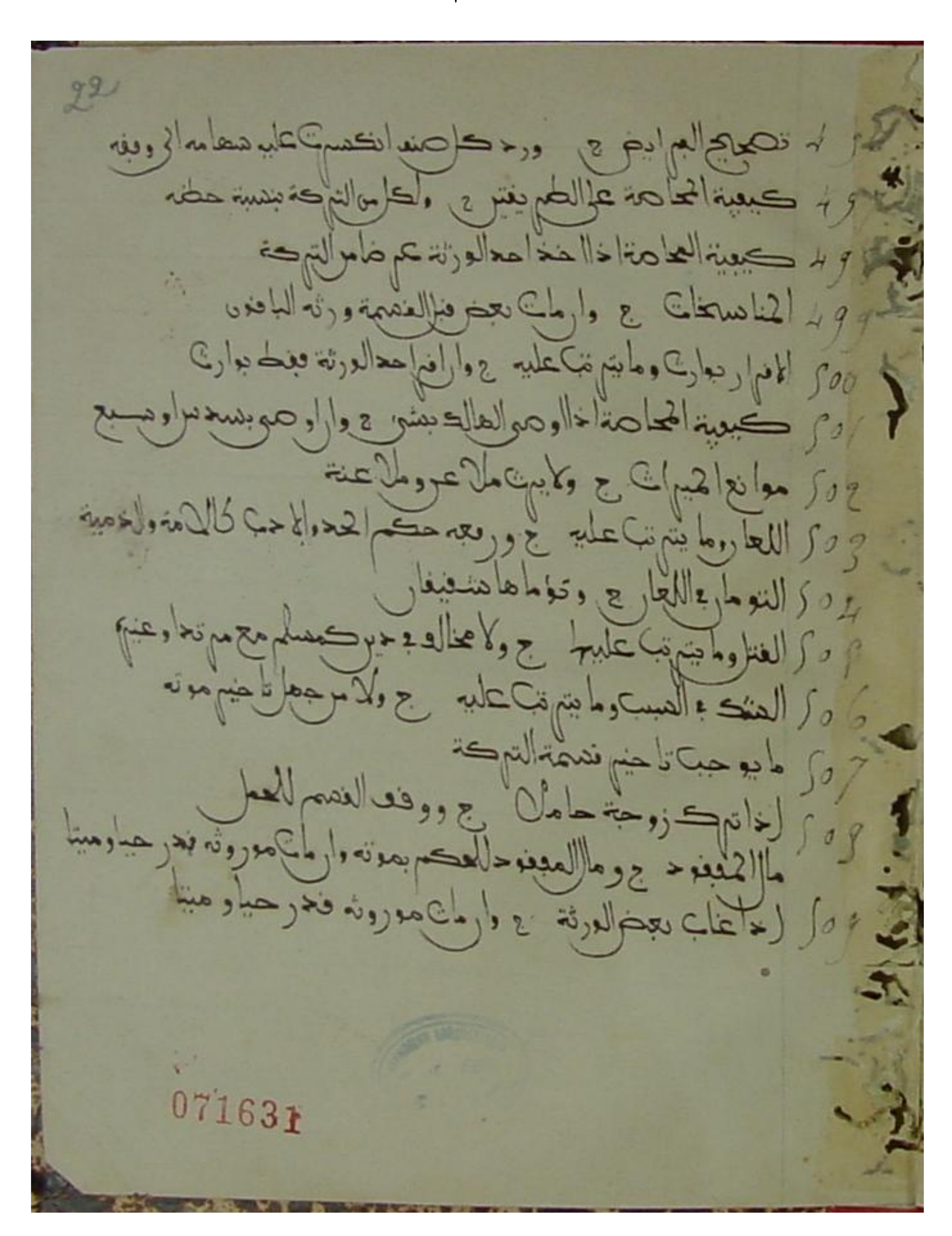
الأحوال التي يجبر فيها الأب أو الوصي المجبرة ج وجبر أب أو وصي أمره أب به

أولياء المرأة في النكاح ج وقدم ابن وابنه فأب فأخ وابنه [illegible] على الأصح

بأي شيء يحصل الرضى في النكاح ج ورضى البكر صمت

بداية مخطوط الأسئلة المرضية في المسائل الفقهية

ملحق رقم: 18



نهاية مخطوط الأسئلة المرضية في المسائل الفقهية

ملحق رقم: 19



246

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

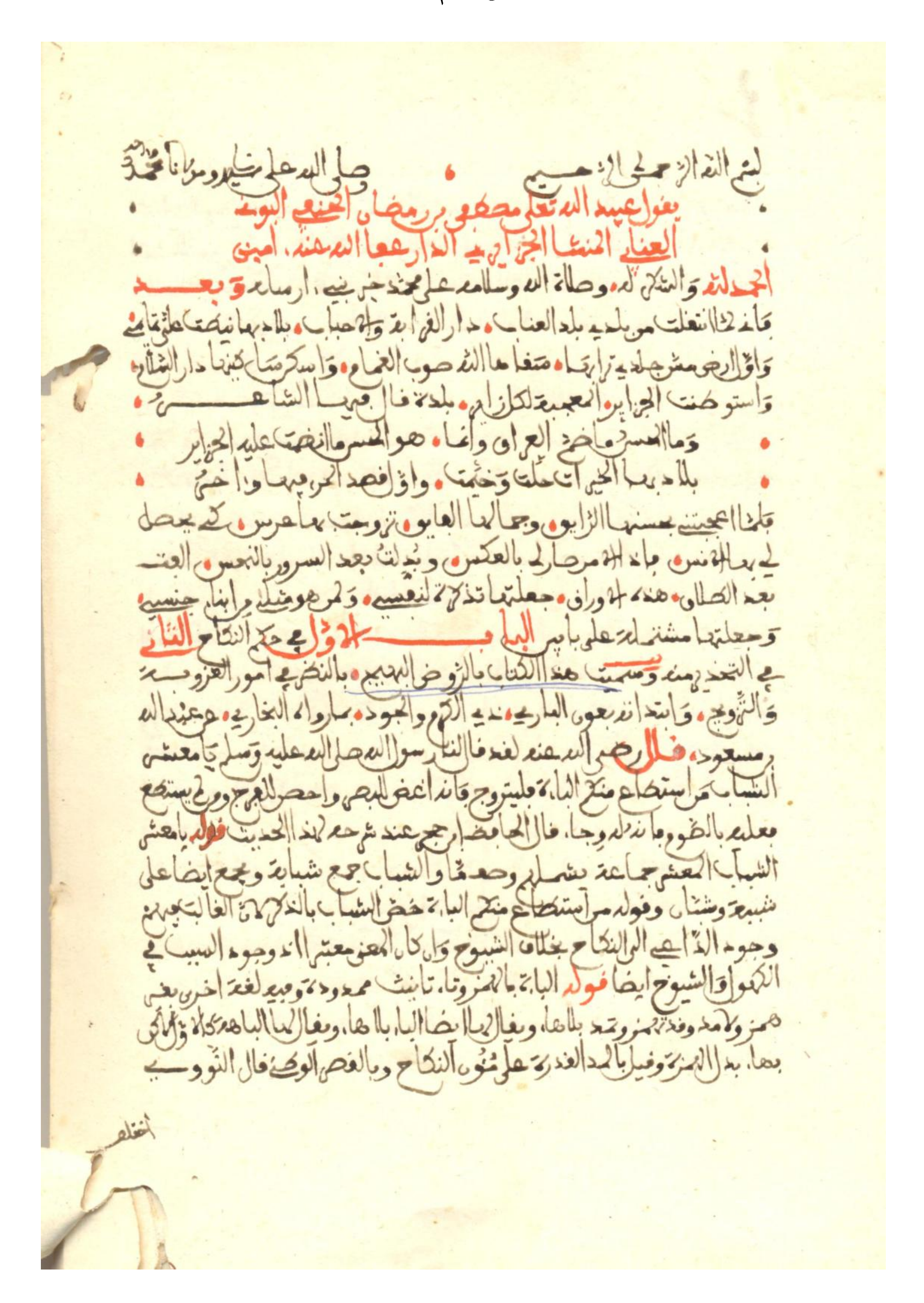
كتاب محدد السنان في نحور إخوان الدخان تأليف الشيخ الفقيه
العالم العلامة الولي الصالح القطب الجامع المتفنن الصدر الشهير أبي محمد
عبد الكريم بن محمد الفكون التميمي القسنطيني رضي الله عنه

بداية مخطوط محدد السنان في نحور إخوان الدخان

ملحق رقم: 20

نهاية مخطوط محدد السنان في نحور إخوان الدخان

ملحق رقم: 21



بسم الله الرحمن الرحيم • صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
يقول عبيد الله تعالى مصطفى بن رمضان الحنفي البوني
العنابي المنشأ الجزائري الدار عفا الله عنه، آمين
الحمد لله والشكر له، وصلاة الله وسلامه على محمد خير نبي أرسله وبعد
فإنه لما انتقلت من بلدي بلد العناب، دار القرابة والأحباب، بلاد بها نيطت علي تمائمي
وأول أرض مس جلدي ترابها، سقاها الله صوب الغمام، وأسكن سكانها دار السلام
واستوطنت الجزائر المعجبة لكل رائي، بلدة قال فيها الشاعر
وما الحسن ماضي العراق وإنما • هو الحسن ما انضمت عليه الجزائر
بلاد بها الخيرات حلت وخيمت • وأول قصد الحر فيها وآخر
فلما أعجبتني بحسنها الرائق وجمالها الفائق، تزوجت بها عرس كي يحصل
لي بها الأنس، فإذا الأمر صار لي بالعكس، وبدلت بعد السرور بالنحس، العتب
بعد الصفاء، هذه الأوراق، جعلتها تذكرة لنفسي، ولمن هو مثلي من أبناء جنسي
وجعلتها مشتملة على بابين الباب الأول في حكم النكاح الثاني
في التحذير منه وسميت هذا الكتاب بالروض البهيج، بالنظر في أمور العزوبة
والتزويج، وابتدأت بقول البارئ، ذي الكرم والجود، بما رواه البخاري، عن عبد الله
بن مسعود، قال رضي الله عنه لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فإنه له وجاء. قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث قوله يا معشر
الشباب المعشر جماعة يشملهم وصف ما والشباب جمع شاب ويجمع أيضا على
شببة وشبان وقوله من استطاع منكم الباءة خص الشباب بالذكر لأن الغالب فيهم
وجود الداعي إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبرا إذا وجد السبب في
الكهول والشيوخ أيضا قوله الباءة بالهمز وتاء تأنيث ممدودة وفيه لغة أخرى بغير
همز ولا مد وقد تهمز وتمد بلا هاء، ويقال لها أيضا الباه بلا هاء، ويقال لها الباهة كالأول
بها، بدل الهمزة وقيل بالمد القدرة على مؤن النكاح وبالقصر الوطء قال النووي
اختلف

بداية مخطوط الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبية والتزويج

ملحق رقم: 22

يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يتمارى في ان النكاح له افضل مع ما فيه
من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة له افضل
وان وجد من كل منهما شيء فحينئذ ينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفوائد
في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فاذا اغلب على الظن رجحان
احدهما حكم به هذه خلاصة ما ذكره الامام وغيره في كتبهم انتهى من اصل شرعة الاسلام
بحذف بعضه واسقط منه اقتصارا على المراد

الباب الثاني

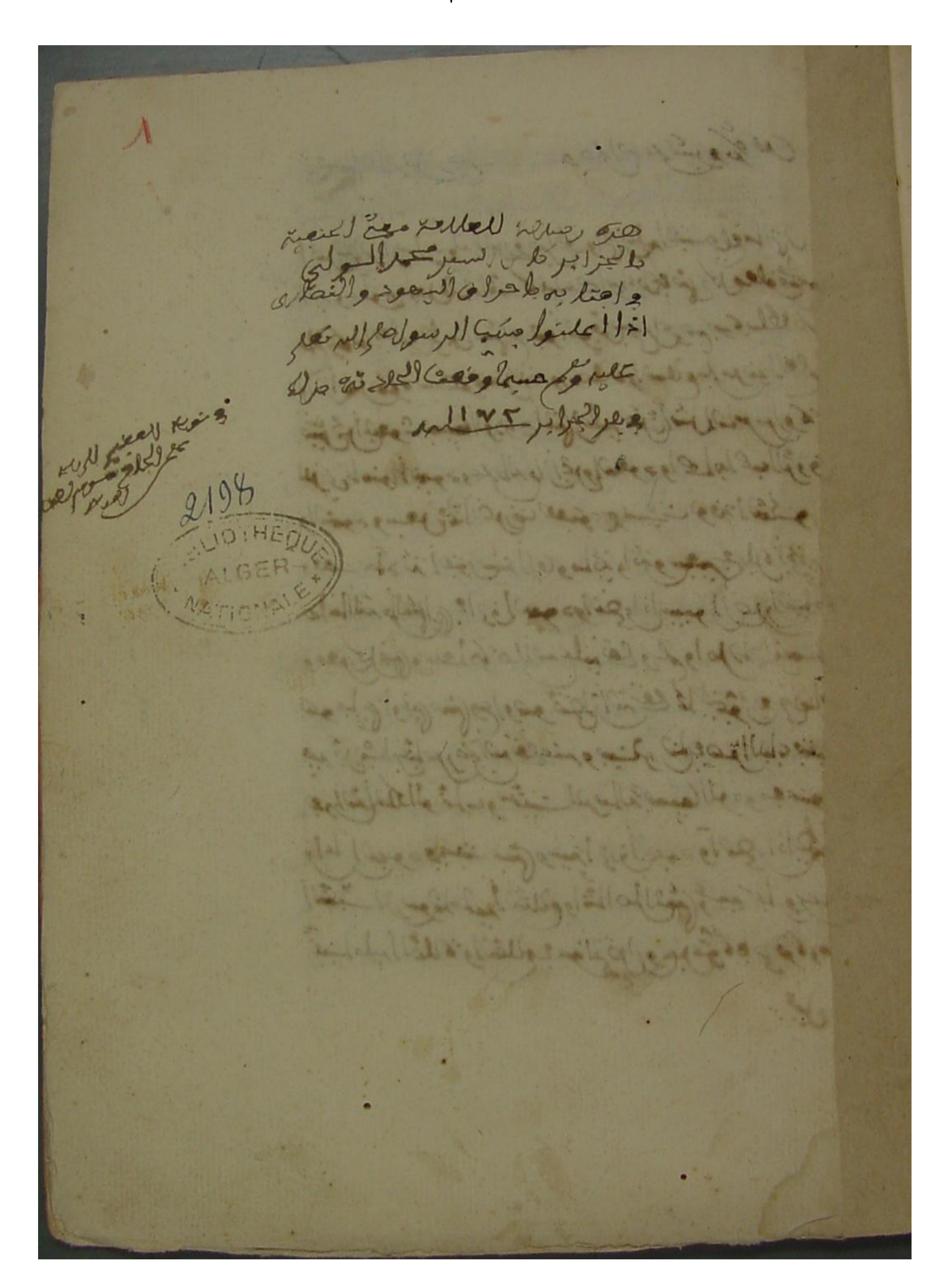
في التحذير من النكاح روى الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين
دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب
الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان
ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج
قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته
وولده فان لم تكن له فعلى يدي جيرانه قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق
اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة انتهى من الاحياء من كتاب العزلة وقد
روى ايضا هذا الحديث البيهقي في الزهد عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ياتي على
الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر
فاذا كان ذلك الزمان لم تنل المعيشة الا بسخط الله عز وجل فاذا كان كذلك كان هلاك
الرجل على يد زوجته وولده فان لم تكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد ابويه فان لم يكن
له ابوان كان هلاكه على يد قرابته او الجيران قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه
بضيق المعيشة فيورد نفسه الموارد التي يهلك فيها نفسه انتهى من الغاية للمسالك
السيوطي رحمه الله تعالى وفيه حذف بعض الكلمات مما في الاحياء.

فصل

ومن كلام بهلول نفعنا الله به قال رحمه الله تعالى. قالوا الوقت اصبح. قلت يا ناس الفصاح.
قالوا اطلب واتفوح. قلت الحاج تفتاح. قالوا ما تتزوج. قلت لهم من يصلح.
قالوا ما عندك باش. قلت الله رزقني. انا ما لي فياش. واش علي حسني.

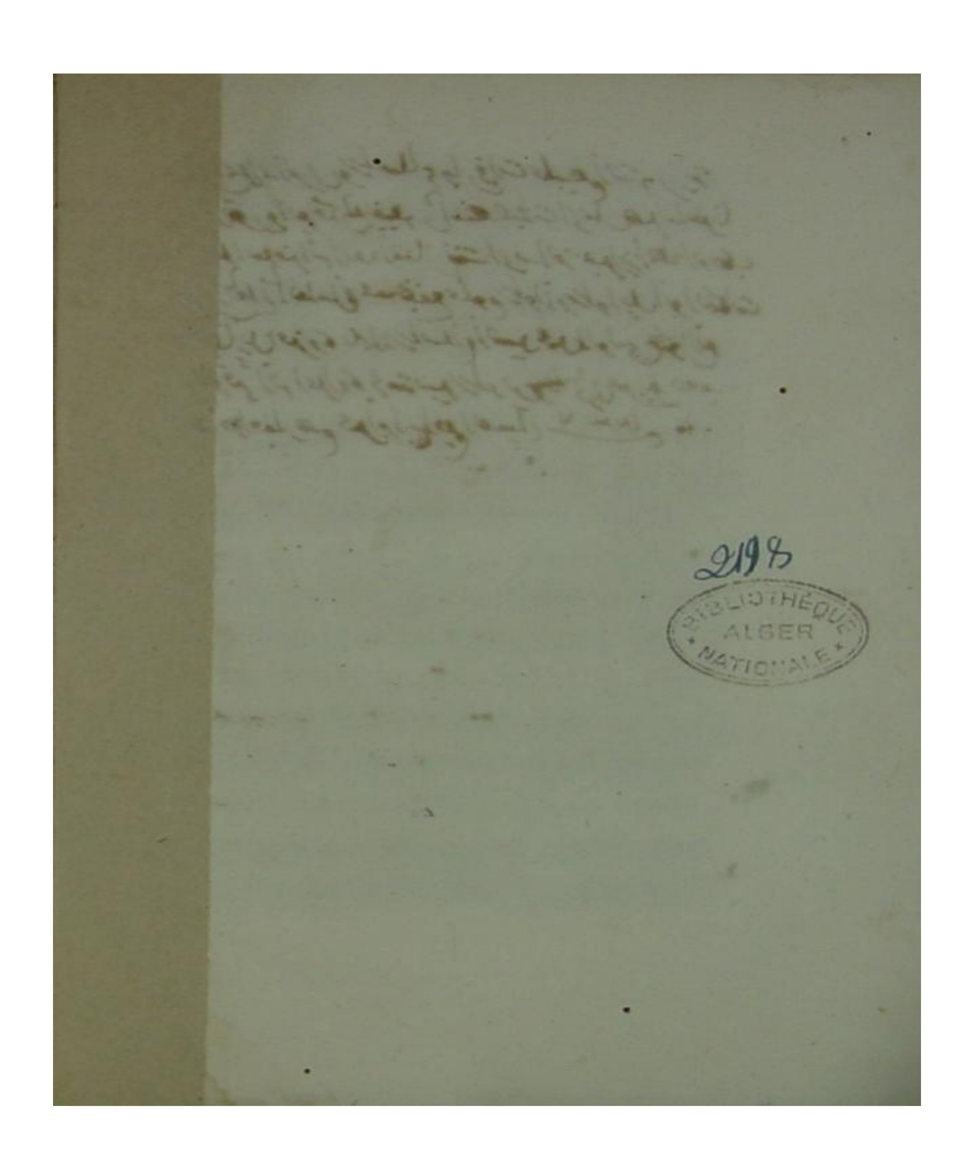
نهاية مخطوط الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبية والتزويج

ملحق رقم: 23



بداية مخطوط سيف الودود في عنق اليهود

ملحق رقم: **24**



نهاية مخطوط سيف الودود في عنق اليهود

ملحق رقم:25

من مسائل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام

سئل الوالد رحمه الله عن قول الشيخ الطريقة عبارة عن نقل شيخ أو شيوخ
بن والمذهب على ما نقلوه مع قول ابن الحاجب وفي إزالة النجاسة ثلاثة
هي والأولى لابن القصار والتلقين والرسالة الثانية لابن الجلاب وشرح الرسالة انظر
كيف نقض بعضه بما قاله ابن الحاجب لأن التلقين هو لعبد الوهاب وهو لا يخفى
الشارح فمرة قال الاختلاف في الوجوب ومرة قال الاختلاف في السنة وابن
الغاية الموصلة فبان بهذا أنها بقول ابن الحاجب وانظر كيف زيد التنبيه
الشيخ ولم يعرج على شيء أصلا ومثلها كثير وكذلك قول ابن الحاجب
النية على الأصح في الوضوء مع ما في الغسل أيضا واجبة وجوبا لا نزاع
فيه والوضوء أقوى تعبدا من الغسل إذ ليس فيه إلا تعميم الغسل من الماء
والوضوء في أعضاء مخصوصة وفي أوقات مخصوصة ولعبادة مخصوصة
ولهذا كان العكس أولى وأيضا النية في باب الوضوء مختلف فيها
وفي باب الزكاة متفق عليها مع أن الزكاة شيء عن لسد الخلة فهي أقوى
المعقولية من الوضوء وإن كان الحنفي يقول لا نية فيه لأنه عنده من باب
النظافة أعني نظافة الأدران والأوساخ ونحن نقول من باب النظافة
أيضا لأن النظافة نظافة الذنوب فهي أقوى فلذلك وجبت النية في
الوضوء وأيضا من شهد له المؤذن الإسلام مع أن الإعلام يقع من الكافر
كالفاسق بالجوارح إن قلنا من باب الخبر لا من باب الشهادة وهذا مسلم
بما قصده ونطق بما يحتمل الإسلام والإعلام كوضوء الكافر وصلاته
وفي قوله المقصود بأنها تدل على الإسلام مثل صلاته إلا أن يدعي الخوف
وأيضا ابن القاسم يقول لو أجمع على الإسلام واغتسل به أجزأه غسله
عبادة إن قلنا بنيت ولا يغتسل لأن رفع حدث الجنابة لا يقع من الكافر
لأن نيته قربة والقربة لا تصح من كافر وأجاب ـــــ رحمه الله وعفا عنه
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما تأملت ما أوردتموه وما عنه سألتم
فاعلم شرح الله صدري وصدركم بأنوار المعارف وفتح بصائرنا بمفاتح المواهب
الربانية والكشف والتبيان أما المسألة الأولى فلا رد على الشيخ خليل

فكون" لمحمد الفكون

هذه بداية مخطوط " نوازل الفكون" وهو مبتور الأول.

ملحق رقم: 26

إليها وحديث حارثة حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم اعرف ما تقول فان لكل قول حقيقة
فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا
وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها الحديث بتمامه وقريب منه او هو قضية معاذ
ابن جبل رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء لما بلغوا الذروة العليا في
الكمال وصاروا من السبق والمشاهدة لذي الجلال صدر ما صدر عنهم من فنون العبر وشا
وشاهدوا من الدارين بمنزلة رأي البصر نفعنا الله بهم وحشرنا معهم واما صاحب معنى
الشطر الثاني فقد سقط في تيه ظلمة الخطايا وترادفت عليه الهموم والرزايا فحجب
عن مشاهدة الحضرة العلية ومنع من الرؤية لعاقبة امره غير المرضية وهذا القريب
ما احقه بأن يهلك وما أكثر اتباعه على حد بعضه فانا لله وانا اليه راجعون ثم اعلم
هؤلاء القسمين مع هذا كله تحت القهر في مشيئة الله لا يستطيعون حولا ولا قوة بغير
ما شاء فعل وما قدر كان انما الاعمال بالخواتم من منكم من احد الا وقد كتب مقعده من
الجنة او من النار او كما قال صلى الله عليه وسلم فلا يستعظم صاحب المنصب الاعلى منصبه
لئلا يوضع منه ولا يتعجب من صاحب المنصب الاسفل لئلا يرفع عنده فالكل تحت قبضة الملك
الجبار مكور الليل على النهار وهذا معنى الشطر الثالث واما الرابع فمعناه ان حكم الله
تعالى يجب الرضا به لانه عادل فيه فما قضاه في البرية عادل فيه لا حيلة لاحد [illegible]
منه قط وكل نفس منه على وجل لكن معنى البرية التي هي الخليقة ثم ختم البيت
بان الانقياد لله تعالى والامر له مفوض والبحث عن افعاله مرفوض لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون واذا ذكر القدر فامسكوا اسأل الله تعالى العظيم بجاه نبيه الكريم ان يلهمنا وإياكم
الرشاد ويسلك بنا سبل السداد ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ويجعلنا من الآمنين
يوم لقائه ونيل الانتفاع والصبر على ما قضاه وهذا ما امكن بحسب الحال مع شغل البال
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نهاية مخطوط " نوازل الفكون"

ملحق رقم[1099]: 27

قائمة بعض المفتين بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني إلى غاية سنة 1245هـ/1830م:

رجال الإفتاء المالكي بمدينة الجزائر/سنة تولي الإفتاء	رجال الإفتاء الحنفي بمدينة الجزائر/ سنة تولي الإفتاء
محمد بن بلقاسم بن اسماعيل سنة 1012هـ	محمد بن يوسف 1022هـ
سيدي عمار سنة 1022هـ	محمد بن حسين 1029هـ
سعيد قدورة بن الحاج ابراهيم 1030هـ	مصطفى بن محمد 1037هـ
محمد بن سعيد قدورة 1066هـ	محمد بن رمضان 1045هـ
أحمد بن سعيد قدورة 1107هـ	حسين بن مصطفى بن رمضان 1069هـ
عبد الرحمن بن أحمد المرتضى 1118هـ	مسلم بن علي 1090هـ
سعيد بن أحمد بن سعيد قدورة 1122هـ	محمد بن مسلم 1090هـ
عبد الرحمن بن أحمد 1124هـ	محمد بن حسين 1101هـ
أحمد بن أحمد (ثانيا) 1140هـ	محمد بن حسين (ثانيا) 1101هـ
المهدي بن صالح 1127هـ	حسين بن رجب 1102هـ
عبد الرحمن بن أحمد المرتضى (ثانيا) 1128هـ	محمد بن مصطفى المدعوابن المستي 1110هـ
عمر بن عبد الرحمن 1135هـ	الشيخ بن حسين بن محمد 1118هـ
عبدالرحمن بن أحمد المرتضى(ثالثا) 1135هـ	محمد بن مصطفى (ثانيا)1122هـ
عمر بن عبدالرحمن (ثانيا) 1135هـ	حسين بن محمد (ثانيا) 1122هـ

[1099]– ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ج2، صص: 326 ــ 328. وينظر، نور الدين عبدالقادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ص: 183. وينظر، أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، صص: 73 ــ 75.

محمد بن مبارك 1147هـ	محمد بن مصطفى (ثالثا) 1122هـ
محمد بن ابراهيم 1151هـ	حسين بن محمد (ثالثا) 1125هـ
أحمد الزروق بن محي الدين 1153هـ	محمد بن مصطفى (ثالثا) 1128هـ
عبدالقادر بن محمد البراملي 1169هـ	الحاج علي بن مصلي 1136هـ
مصطفى بن أحمد المسيسني 1170هـ	الشيخ حسين بن محمد بن العنابي 1148هـ
الطاهر بن محمد 1175هـ	محمد بن محمد بن سيدي ابن علي 1150هـ
عبدالرحمن بن أحمد المرتضى (رابعا) 1176هـ	حسين بن مصطفى 1179هـ
مصطفى بن أحمد المسيسني (ثانيا) 1176هـ	حسين بن فضلي 1170هـ
أحمد بن محمد 1179هـ	محمد بن مصطفى الواني 1171هـ
أحمد بن عمار1180هـ	حسين بن أحمد التفاحي 1173هـ
عبدالرحمن بن أحمد المرتضى 1180هـ	مصطفى بن عبدالله 1180هـ
أحمد بن عمار 1180هـ	محمد بن مصطفى 1180هـ
محمد بن أحمد بن جعدون 1185هـ	الحاج مصطفى بن عبدالله 1180هـ
محمد بن الشاهد 1192هـ	حسين بن أحمد 1191هـ
علي بن عبدالقادر بن الأمين 1206هـ	محمد بن اسماعيل 1200هـ
محمد بن الشاهد (ثانيا) 1206هـ	أحمد بن ابراهيم بن أحمد 1224هـ
محمد بن محمد الخوجة 1207هـ	محمد بن ابراهيم بن حسين 1224هـ
علي بن عبدالقادر بن الأمين (ثانيا) 1207هـ	أحمد بن ابراهيم البابوجي 1226هـ
محمد بن محمد بن علي 1208هـ	محمد بن عبدالرحمن بن راسيل 1232هـ

علي بن عبدالقادر بن الأمين (ثالثا) 1207هـ	أحمد بن حسن 1233هـ
محمد بن أحمد بن مالك 1210هـ	محمد بن محمود العنابي1234هـ
علي بن عبدالقادر بن الأمين (رابعا) 1214هـ	أحمد بن ابراهيم 1235هـ
محمد بن محمد بن علي 1226هـ	محمد بن عبدالرحمن 1244هـ
علي بن عبدالقادر بن الأمين(خامسا)1230هـ	أحمد بن الحاج عمر بن مصطفى 1244هـ
أحمد بن علي بن جعدون 1233هـ	محمد بن محمود 1245هـ
علي بن عبدالقادر بن الأمين(سادسا)1233هـ	
محمد بن إبراهيم بن موسى 1235هـ	
علي بن محمد المانقلاتي 1239هـ	

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قرآن كريم برواية ورش عن نافع

أ.المخطوطات:

1- البوني أحمد بن قاسم بن محمد ساسي، رسالة في الحضانة، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 2160.

2- الجامعي أبو زيد عبد الرحمن الفاسي، فتح وهران، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم:2521.

3- حمو والحاج، رسالة للمزوني أو جواب على أهل مازونة، نسخة مصورة عن مخطوطة موجودة في مكتبة جمعية عمي سعيد بغرداية.

4- الخروبي محمد بن علي أبو عبدالله، الأسئلة المرضية في المسائل الفقهية، المكتبة الوطنية ، الجزائر، رقم: 2623.

5- ابن رقية محمد، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2603.

6- العنابي مصطفى بن رمضان، الروض البهيج في أمور العزوبية والتزويج ، مكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، رقم: 642.

7- الفكون عبد الكريم ، محدد السنان في نحور إخوان الدخان، مكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، رقم 707.

8- // ، نوازل، نسخة مصورة على الورق، ملك الأستاذ: بوخلوة حسين، أستاذ بقسم التاريخ، جامعة المدية.

9-محمد الولي الحنفي، السّيف الممدود في عنق من أعان اليهود، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 2198.

10- المشرفي العربي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3326.

11- مصطفى الرماصي، أجوبة، مركز آل سعود،دار البيضاء،المغرب،رقم: ms460-m1.

12- مؤلف مجهول، الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خيرالدين، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، رقم: 1622.

ب. المصادر باللغة العربية:

13- أحمد بن حنبل، المسند، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1419هـ/1998م.

14- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ/ 1989م.

15- الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق : هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، د.ت.

16- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4 ، 1405هـ.

17- الأغواطي الحاج ابن الدّين، رحتله في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تحقيق: أبوالقاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

18- الآمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية/ دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424/ 2003م.

19- الأندلسي أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، جذوة المقتبس، في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

20- الأنصاري زكريا محمد بن أحمد ، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، المطبعة الميمنية، مصر، 1318هـ.

21- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـ/1998م.

22- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، جامع مسائل الأحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

23- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وَ محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت، ط2، 1403هـ / 1983م.

24- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

25- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، 1414هـ / 1994م.

26- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وعليه العمل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دت.

27- التلمساني أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد، تقييد على قراءة الإمام نافع من رواية قالون وورش، تحقيق: أبوبكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1430هـ/2009م.

28- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط1، 1989م.

29- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق : محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

30- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد، الصارم المسلول على شاتم للرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد عبد الله عم وَ محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1417هـ.

31- الثميني إبراهيم بن بيحمان، أصداف الدّر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، تحقيق وتعليق: إبراهيم محمد طلاي، دط، دت.

32- الثميني إبراهيم بن عبد الرحمن اليسجيني، ديوان ابن بيحمان، دراسة وتحقيق: يحي بن بهون حاج امحمد، دار الهدى للطباعة والنشر ةالتوزيع، ط1، 2007م.

33- الثميني عبد العزيز بن إبراهيم المصعبي، كتاب معالم الدين، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـ/ 1986م.

34- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

35- الجزائري محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، مصر، ط2، 1964م.

36- الجزائري محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

37- الجزري عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: علي محمد عوض وَ عادل أحمد عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

38- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، صفة الصفوة، تحقيق : محمود فاخوري وَ محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1399هـ/ 1979م.

39- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح وتعليق: محمد شرف الدين يالتقايا، رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

40- ابن حبان أبو حاتم محمد بن أحمد، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1395هـ/1975م.

41- *ابن* حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1402هـ.

42- // ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

43- الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، الجزائر،1991م.

44- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م.

45- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980م.

46- الخطيب البغدادي أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت، الفقيه والمتفقه، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.

47- ابن خلدون عبد الرحمن *بن* محمد، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1424 هـ/ 2004م.

48- // ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م.

49- ابن خلدون يحي أبو زكريا، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

50- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.

51- الخنقي محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك، مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي أو عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام، تنظيم وتقديم وتعليق: محمد موهوب بن أحمد بن حسن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

52- الدارمي عبد الله بن عبدالرحمن أبو محمد، سننه، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وَ خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1407هـ.

53- الدردير أحمد بن محمد، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة رحاب، الجزائر، 1988م.

54- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، ترتيب واعتناء: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1424هـ/2004م.

55- // ، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

56- الرازي فخر الدين محمد بن عمر، المحصول في علم أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1408هـ.

57- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق: محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

58- // ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد بن عبد االكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

59- // ، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان، دراسة وتحقيق: حمدادو بن عمر، منشورات دار قرطبة، الجزائر، ط2، 1433هـ /2012م.

60- // ، الكوكب الدري في الكلام على الجدري، تحقيق: بوكعبر بلقرد،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1425هـ / 2004م.

61- الراشدي أحمد بن محمد بن علي سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبغة البعث، الجزائر، 1973م.

62- الراشدي عبد القادر ، تحفة الإخوان في تحريم الدخان، دراسة وتحقيق: عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 19997م.

63- الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: لجنة علماء من علماء الأزهر، دار الكتبي، القاهرة، ط1، 1414هـ / 1994م.

64- السلجماسي أبو العباس الهلالي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، رحلة أبي العباس الهلالي السلجماسي، دراسة وتحقيق: محمد بوزيان بن علي، مطبعة الجسور، المغرب، ط1، 2012م.

65- السليماني أبو عبد الله الأعرج، تاريخ الجزائر عن كتاب الشماريخ، تحقيق : حساني مختار، د.ت.

66- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الرّد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد كل في عصر فرض، تحقيق: خليل الميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

67- الشاطبي أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت ، دت.

68- الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصرالدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

69- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعد، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيالي، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، ط1، 1412هـ/1992م.

70- الشهرستاني أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ/2005م.

71- الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1970م.

72- ابن صغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وَ إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.

73- ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، أدب المفتي والمستفتي، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الوفاء للنشر والتوزيع، المدية، الجزائر، دت.

74- الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك عبيد وسيرهم، تحقيق: تهامي نقرة وَ عبد الحليم عويس، د.ط، د.ت.

75- طاشكيري زاده، الشقائق النعمانية في علماء العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1395هـ/1975م.

76- ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق : محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، ط3، 2003م.

77- ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

78- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661م ــ 1663م، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006م.

79- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة، تحقيق: محمد بن شنب، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م.

80- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق وتعليق: محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر بيروت/دمشق، ط3، 1419هـ/ 1998م.

81- الغزي نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ/1997م.

82- الفراهيدي الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن،كتاب العين،، تحقيق: مهدي المخزومي وَ إبراهيم السامرئي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط2، 1409هـ.

83- الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م.

84- القاسمي محمد جمال الدين، الفتوى في الإسلام، تحقيق: محمد عبد الحكيم عبد الحفيظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ/ 1986م.

85- القرافي أبو االعباس أحمد بن إدريس المالكي، الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام و تصرفات القاضي والإمام ، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،1416هـ/ 1967م.

86- // ، الفروق، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

87- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت ، 1973م.

88- الكعاك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة: أبوالقاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني ومحمد البشير الشنيتي وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

89- الكوفي أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

90- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1421هـ/2000م.

91- المتليلي محمد الطاهر، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري المتوفي 1207هـ/1792م، تحقيق: أبوالقاسم سعد الله، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2010م.

92- المحبي محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

93- المراكشي ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق: كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1980م.

94- // ، البيان المعرب في أخبار المغرب والأندلس قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ دار الثقافة، الدارالبيشاء، ط1، 1406هـ/1985م.

95- ابن مريم محمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، منشورات السهل، الجزائر، 2009م.

96- المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

97- مسلم بن الحجاج أبو الحسين، الصحيح، اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الريّاض، دت.

98- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق: رابح بونار، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1394هـ/1974م.

99- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من بني الأعراب كبني عامر، تحقيق : محمد بن عبدالكريم، د ت.

100- المقري أبو العباس أحمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1425هـ/2004.

101- ابن منظور جمال أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ط1، 1424هـ / 2003م.

102- الناصري أحمد بن خالد أبو العباس، الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري وَ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، 1955م.

103- النمري أحمد بن حمدان الحراني أبو عبد الله، صفة الفتوى وآداب المفتي والمستفتي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1397هـ.

104- النووي أبو زكريا يحي بن شرف الدين الدمشقي، أدب الفتوى المفتي والمستفتي، بعناية : بسام عبد الوهاب الجالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1408هـ/ 1988م.

105- الورثيلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1429هـ/2008م.

106- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

107- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

108- // ، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، لافوميك، د.ط، د.ت.

109- الوهراني محمد شقرون، الجيش والكمين لقتال من كفّر عامة المسلمين، تحقيق ومراجعة: قسم التحقيق بدار الطبع، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، مصر، ط1، 1412هـ/1992م.

110- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط1، 1986م.

111- يحي الشاوي، التحفة الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية، تحقيق: جمعة مصطفى الفتيوري، دار المدار الإسلامي، طرابلس الغرب، دت.

ج. المراجع باللغة العربية:

112– إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2005م.

113– إبراهيم محمد الحريري، القواعد والضوابط الفقهية لنظام القضاء في الاسلام، دار عمار، الأردن، ط1، 420هـ/1999م.

114– أحسن زقور، أصالة المذهب المالكي في الجزائر ومراكز مخطوطاته، منشورات دار الأديب، وهران، ط1، 2007م.

115– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492، 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

116– // ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار،1168ـ 1246هـ/1754ـ 1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980م.

117– // ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1791/1766م، سيرته،حروبه،أعماله،نظام الدولة والحياة العامة في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

118– أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

119- أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضاة الاسلامية: تايخ التشريع الاسلامي وتاريخ النظم القضائية في الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976م.

120- أحمد صديقي علي شقيرات، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (828ـ 1341هـ/1425 ـ 1922م)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002م

121- .أرجمونت كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970م.

122- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1416هـ/1996م.

123- ابن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ت.

124- أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة: هاشم الأيوبي، منشورات جرس برس، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.

125- أكمل الدين إحسان أُوغلي وآخرون، الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة، تعريب: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، 1999م.

126- أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991م.

127- بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية (160ـــ 296هـــ/ 777ـــ 909م) دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، المطبعة العربية، غرداية، ط2، 1414هـــ/ 1993م.

128- بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي الشهير بالشيخ حمو والحاج حياته وآثاره، دط، دت.

129- بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، منشورات وزارة الثقافة، ط2، 2009م.

130- بومدين بوزيد، حمدادو بن عمر، أصول الطريقة الطيبية وسيرة الصوفي سيدي الحسني الوهراني، دار الأديب، وهران، ط1، 2007م.

131- جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي وإشعاع حضاري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1،1426هـــ/2005م.

132- حسن الضيقة، الدولة العثمانية: الثقافة، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1417هـــ/1997م.

133- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح على الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1412هـــ / 1991م.

134– حسين محمد الملاح، الفتوى: نشأتها ــ تطورها وتطبيقاتها، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.

135– ابن حسين بن ناصر عسيري، مسؤولية إمام المسجد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـــ.

136– حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م إلى 1962، دار الكروان، باريس، 1984م.

137– رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.

138– رشيد محمد الهادي بن تونس، نيل المغانم من تاريخ مستغانم، المطبعة العلوية، مستغانم، ط1، 1998م.

139– الزركلي خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم للرجال والنساء من العرب والمتعربي والمتشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

140– سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأموين ورسومهم في الأندلس، مؤسسة فؤاد يعنبو للتجليد، بيروت، ط1، 1424هــ/2003م.

141– سعيد أبو جيب، القاموس الفقهي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1408هــ / 1988م.

142- سليمان الأشقر محمد عبد الله، الفتيا ومناهج الإفتاء(بحث أصولي)، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1396هـ/1976م.

143- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

144- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514ـ 1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

145- صالح بن عثمان بن عبد العزيز الهليل، توثيق الديون في الفقه الإسلامي، الإدارة العامة للثقافة والنشر، الرياض، 1421هـ/2001م.

146- صالح بن عُمى أسماوي، العزّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1426هـ/ 2005م.

147- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، ط1، 2002م.

148- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700ـ 1830) مقاربة اجتماعية ـ اقتصادية، منشورات ANEP ، الجزائر، ط1، 2007م.

149- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

150- عامر النجار، الطريقة الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها: الرفاعي، الجيلاني، البدوي، الشاذلي، الدسوقي، دار المعارف، مصر، ط5، د ت.

151- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1415هـ/ 1994م.

152- عبد العزيز بن محمد العبلاوي، إمامة المسجد، فضلها وأثرها في الدعوة، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ.

153- عبد القادر عثماني، مجموع محاضرات ومقالات وفتاوى، جمع وتنسيق : عبد الحليم صيد، مطابع عمار قرفي، باتنة، ط1، 1426هـ/ 2005م.

154- عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هـ/2005م.

155- عبد المحسن بن محمد المنيف، أحكام الإمامة والإئتام في الصلاة، مطابق الفرزدق، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ/ 1987م.

156- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط1، 1427هـ.

157- عبد الناصر موسى أبو البصل، نظرية الحكم القضائي في الشريعة والقانون، تقديم: محمد نعيم ياسين، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420/ 2000م.

158- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989م.

159- علي جمعة، الإفتاء بين الفقه والواقع، الوابل الطيب للإنتاج والتوزيع والنشر، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م.

160- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

161- عمر إسماعيل آل حكيم، الإمام ضياء الدين عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه: معالم الدين في الفلسفة، وأصول الدين، نشر جمعية التراث، ط1، 1428هـ/2007م.

162- عمر سليمان بن حمو سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان ورقلة من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراتة، منشورات مديرية الثقافة لولاية ورقلة، دت.

163- عوض محمد خلفيات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية، عمان، 1982م.

164- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830،1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م.

165- فيصل بن بلعيد، القول التمام في مسائل الإئتمام وتصرفات المأموم والإمام، مراجعة وتقديم: محمد طاهر آيت علجت، دار ابن جزم، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م.

166- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1500ـ 1830م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

167- // ، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون، داعية السلفية،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

168- // ، محمد ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990م.

169- // ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

170- // ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،دار الرائد/دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

171- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997.

172- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510، 1541، ترجمة: جمال حمادنة، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

173- لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1429هـ/2009م.

174- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، ط1، 2009م.

175- محمد البشير الإبراهيمي، آثاره، ، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.

176- // ، الطرق الصوفية، مقتطفات من تصدير نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تقديم: مشهور حين سليمان، مكتبة الرضوان، الجزائر، ط1، 1429هـ/ 2008م.

177- محمد بغداد، تماسين جوهرة الصحراء، دار الحكمة، الجزائر، 2010م.

178- محمد حاج صادق، مليانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

179- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، 1976م.

180- محمد حسن المهدي، الإباضية: نشأتها وعقائدها، الأهلية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011م.

181- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ،17 ، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م

182- محمد رياض، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1998م.

183- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.

184- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الموافقين للثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

185- محمد بن صالح العثميين، كتاب العلم، د.ت، د.ط.

186- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

187- // ، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

188– محمد عدنان كابتي، تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء، مكتبة دار الحديث، حلب، ط1، 1424هـ/2003م.

189– محمد العروسي المطوي، السلنطة الحفصية: تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

190– محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م.

191– محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة ، بيروت، ط1، 1971م.

192– محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، د.ت.

193– محمد مفلاح، أعلام من منطقة غليزان: سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864م، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

194– محمد منصور، المختصر المفيد في النظم الإسلامية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 1417هـ/1998م.

195– محمد بن موسى بابا عمي وَ مصطفى بن صالح باجو وَ مصطفى بن محمد شريفي وَ إبراهيم بن بكير بحاز، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، عالم المعرفة، 2009م.

196- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1406هـ/1985م.

197- مسعود كواتي وَ محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2، 2010.

198- مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296 ـ 442هـ/909 ـ 1058م) المطبعة العربية، غرداية، نشر جمعية التراث، القرارة، 1417هـ/1996م.

199- مسفر بن علي القحطاني، مناهج الفتيا في النوازل الفقهية المعاصرة، دار الأندلس الخضراء، جدة/ دار ابن حزم، بيروت، 1431هـ/2010.

200- مصطفى حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2010م.

201- مصطفى الخن وَ مصطفى ديب البغا وَ علي الشربجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 1413هـ/1992م.

202- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار والمداخيل، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

203- المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

204- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الاسلامي، بيوت، ط1، 2001.

205- // ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

206- // ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985م.

207- // ، ورقات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.

208- // ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

209- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م.

210- واشنطون ايرفينج، سقوط غرناطة، ترجمة وتعليق : إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

211- وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م.

212- وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1406هـ/1986م.

213- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلّته، دار الفكر، بيروت، ط4، 1418هـ/1997م.

214- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.

215- // ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500، 1830 م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.

216- // ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م.

217- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية،1427هـ/2006م.

218- يوسف القرضاوي، من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000م.

219- // ، الفتوى بين الانضباط والتسيب، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.

220– الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الكويت، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1404هـ / 1983م.

د. الأطروحات الجامعية:

221– أحمد بحري، الحياة الإجتماعية بالجزائرفي عهد الدايات، إشراف: د. دحو فغرور، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001 / 2002م.

222– الأمير بوغدارة، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا)، اشراف: د.أحميدة عميراوي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، 1428ـ1429هـ/ 2007ـ 2008 م.

223– آل سيد الشيخ سعاد، رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق، إشراف: أ.د.بن نعمية عبد المجيد، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1428ـ 1429هـ/ 2007 ـ 2008م.

224– بكير يحي الشيخ بالحاج ، آفة التدخين بين العلم والشرع، إشراف: د. غازي عنابة، رسالة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ، 1413 هـ/ 1992ـ 1993م.

225– بوركبة محمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري المعسكري (1165 ـ 1238هـ/ 1755 ـ1823م) دراسة وتحقيق،

إشراف: أ.د. عبد المجيد بن نعمية، رسالة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1427 ــ 1428هــ/ 2007 ــ2008م).

226– بوركبة محمد ، الحياة الإجتماعية على عهد الدولة الرستمية (160ــ 296هــ/ 777ــ 909م)، إشراف: أ.د. عبد المجيد بن نعمية، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1420 ــ1421هــ/ 1999 ــ 2000م).

227– بوشمة خالد، التسيير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتضيير أو التمريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج، لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري، دراسة وتحقيق، إشراف:نور الدين عباسي، رسالة ماجستير، قسم أصول الفقه، جامعة الجزائر، 1430هــ/1999م.

228– بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر العثمانية خلال العهد العثماني (10 ــ 13هــ/16 ــ19م)، إشراف: أ.د. بلقاسمي بوعلام، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة وهران، 1428ــ1429هــ/2007 ــ2008م.

229– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، إشراف: أ.د.كمال فيلالي، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1428 ــ1429هــ/2007 ــ 2008م.

230– حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 ــ 1830م، إشراف: د.فاطمة الزهرة قشي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 1428ــ1429هــ/ 2007 ــ 2008م.

231– حمدادو بن عمر، المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين (11ــ12هــ/17ــ18م)، إشراف: أ.د.عبد المجيد بن نعمية، رسالة دكتوراه ، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2012 ــ 2013م.

232– حمدادو بن عمر، أبو راس الناصري المعسكري، إشراف : أ.د.بن نعمية عبد المجيد، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003/2002.

233– حنيفي هلايلي، المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و17م، إشراف: د. عبدالحميد حاجيات، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 1999م /2000م.

234– رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، فترة الدايات 1671 ــ 1830م، اشراف: د. فلة موساوي القشاعي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005/ 2006م.

235– زقاوي ياسمين، القضاء والقضاة في الجزائر خلال عصر الدايات، إشراف: أ.د. بن نعمية عبد المجيد، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005/2004م.

236– سامية مقري، التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296 ـ 409هـ/909 ـ 1018م)، إشراف: أ.د. مجاني بوبة، مذكرة ما جستير، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1426ـ1427هـ/ 2005 ـ2006م.

237- سعاد رباح، منهج الإمام المقري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي، إشراف: أ.د. سعاد سطحي، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبدا لقادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، 1427ـ1428هـ/2006ـ2007م.

238- شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524 ـ 667هـ/ 1126 ـ 1268م)، إشراف: أ.د.عبد العزيز محمود لعرج، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1428ـ 1429هـ/ 2007ـ 2008م، ص: 95.

239- فاطمة الزهرة جدو، السلطة والتصوف في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479ـ 635هـ/ 1086ـ 1238م)، إشراف: د.إبراهيم بكير بحاز، مذكرة

ماجستير، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1428ــ1429هــ/2007ــ2008م.

240- قفاف عبدالرحمن، مرجعية الإفتاء على نوازل ابن الفكون من خلال مخطوط النوازل بين القرنين 10 - 11هــ،دراسة وتعليق، إشراف: د.حساني مختار، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

241– لطرش حنان، السلطة والمجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، إشراف : د.عميراوي احميدة، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2006/2005م.

242– محمد لعباسي، الأعمال العسكرية لخيرالدين بربروس في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط " خبر قدوم عروج وأخيه خير الدين " ، إشراف: أ.د. الجيلالي سلطاني، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1426-1427هــ/ 2005- 2006م.

243– ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، إشراف: د. عائشة غطاش، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2007/2006م.

244– يوسف بلمهدي، البعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى، إشراف: أ.د. إسماعيل يحي رضوان، رسالة ماجستير، معهد الشريعة، جامعة الأمير عبد القادر، 1417 ــ1418هــ/1996 ــ1997م.

هـ- المقالات باللغة العربية:

245- إدريس مقبول، الوسطية عند علماء الجزائر، قراءة في كتاب " الجيش والكمين لمن كفّر عامة المسلمين" لأبي عبد الله محمد شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعه الوهراني، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، عدد: 06، 2010م.

246– أحمد محمد عزب، الفتيا: مسائل وأحكام، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جدة، ع1، 1430هــ/2009م.

247– بلبروات بن عتو، إستراتيجية الباي محمد الكبير في فتح وهران والمرسى الكبير، مجلة الثقافة الإسلامية، نصف سنوية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد: 06، 2010م.

248- بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر (ق10ــ 13هــ/ ق 16ــ 17م)، مجلة عصور جديدة، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، عدد:02، 1432هــ/2011م.

249- بوشنافي محمد، دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الاسباني عام 1792م، مجلة الثقافة الإسلامية، نصف سنوية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد: 06، 2010م.

250- تالية سعدو، الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، مجلة عصور الجديدة، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، العدد:01، 2011.

251- سلطاني الجيلالي، مشاهير فقهاء مشذالة تراجمهم ومكانتهم العلمية، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 13، 1428هــ/2007م.

252- سلطاني الجيلالي، المذهب المالكي على عهد الدولة الموحدية بالمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 06، رمضان 1420هــ/1999م.

253- الشيباني بلغيث، أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر لكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الحديثة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، عدد:12، شوال1416هــ/مارس1996م.

254– الشيخ بوقربة، الحياة الثقافية والفكرية على عهد الرستميين، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 12، 1426هـ/2005م.

255– عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، العدد: 06، تونس، جويلية 1976.

256– محمد بوركبة، جوانب من مخطوط:" قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطاتالحضارة الإسلامية شمال إفريقيا العدد:01، 1424هـ/2003م.

257– محمد بوركبة، الشيخ أبوطالب المازوني من خلال مخطوط الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران ، الجزائر، العدد: 05، 2008م.

258– محمد بن معمر، الحياة العلمية في تيهرت إلى منتصف القرن السادس الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 08، 1423هـ/2002م.

259– محمد نذير أوسالم، مساهمة علماء بجاية في خدمة المذهب المالكي، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد: 14، شعبان 1431هـ/2010م.

260- محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، لأبي راس الناصري، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 2، 1986.

261- ناصر بلحاج، جوانب من المعاملات المالية بوادي مزاب في القرنين 18ــ19الميلاديين من خلال دفاتر بعض التجار،أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ــ13هــ/18ــ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012.

262- يحي بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد:53ــ54، جويلية 1989م.

و- المؤتمرات:

263- بشير بن موسى الحاج موسى، ملامح عن الحياة الاجتماعية بواد ميزاب في القرن 13هــ من خلال نوازل عمر بن يوسف بن عدون اليسجني، أعمال الملتقى الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ــ13هــ/18ــ19م من خلال المصادر المحلية، المنعقد يومي: 24ــ25 جانفي 2012 بالمركز الجامعي بالوادي.

264– عاشوري قمعون، التعليم في منطقة سوف خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (خليفة بن حسن القماري أنموذجا)، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ـــ13هـــ/18ـــ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012م.

265– محمد حوتية، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن ادريس التنلاني إلى ثغر الجزائر المحروسة، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12ـــ13هـــ/18ـــ19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الوادي، 2012م.

266– صالح بن عبد الله بن حميد، الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر، مؤتمر الفتوى وضوابطها، المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، أيّام 20 ـــ 23 محرم 1430هـــ/ 17 ـــ20 جانفي 2009م.

267– يحي سعيدي، جهود الجزائر في خدمة الفقه المالكي إبان الحكم العثماني، أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي، المدرسة المالكية الجزائرية، تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة ، ولاية عين الدفلى أيام 18ـــ19ـــ20 ربيع الثاني 1430هـــ/ 14ـــ15ـــ16 أفريل 2009م.

ز ـ الوثائق الأرشيفية:

268- الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 332، ورقة: 01سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور.

269- الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 333. ورقة: 01 سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور

270- الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 334. سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور

271- ــ الأرشيف الوطني، الجزائر، سلسلة بيت البايلك، رقم: 336، ورقة: 02، سجل يتضمن رواتب رجال الدين حسب الشهور.

272- الأرشيف الوطني الجزائري، بيت المال والبايلك، سجل: 100، ورقة: 58.

273- [1]ــ الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 4 ــ 1، رقم: 21.

274- المركز الوطني للأرشيف، الجزائر، سجلات المحاكم الشرعية،،علبة 4 ــ 2 رقم:32، يتضمن رسم تحبيس بإشراف مفتي الحنفية بالجزائر.

275- الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة: 6 ــ 1، رقم: 20.

276- المركز الوطني للأرشيف، الجزائر، سجلات المحاكم الشرعية،، علبة 7ــ 1رقم: 8، يتضمن رسم تحبيس، بإشراف مفتي الحنفية والقاضي بالجزائر.

277- المركز الوطني للأرشيف، الجزائر، سجلات المحاكم الشرعية، علبة 28، وثيقة:10

278- الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة : 129، الوثيقة: 11.

279- الأرشيف الوطني الجزائري، المحاكم الشرعية، علبة:132ــ133،وثيقة:03 وَ06.

280- مجموعة وثائق ملك جمعية الظهرة للفنّ والسيّاحة والأثار، ببلدية مازونة، ولاية غليزان

ح- المصادر والمراجع والمقالات باللغة الأجنبية:

281- Albert Devoulx ; notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d’Alger ; R. A ; n’ 10 ; 1866 ; et n’11 ;1867 .

282- Braudel.F. La Méditerranée et le monde mediteraneen à l’époque de Philipe 2 ; Paris . 1949.

283- BERBRUGGER, LOUIS, "Un cherif kabyle en 1804" in **R.**A, N°3, 1858.

284- Colombe .M.L’Algerie Turque in initiation d’Amérique et d’orient. Paris. 1975.

285- De GRAMMONT HENRI, histoire d’Algérie sous la domination Turque (1515-1830), E.Leroux, Paris, 1887

286- DERMENGHEM, EMILE, Le culte des saints dans l’Islam Maghrebin, Gallimard, Paris, 1951.

287- DIEGO DE HAEDO – Histoire Rois des D'Alger –traduit de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, revue Africaine, ALGER – 1880 .

288- E.Duchenne Prostitution Dans La Ville D'Alger Depuis La Conquête, Paris**,** 1853.

289- Ernest Mercier ; Histoire de Constantine ; J.Marle et F .Biron ;Imprimeurs –Editeurs ; constantine ;1903.

290- Emerti Marcel ;L'Alegérie d'Abdel Kader ; Paris ; Editios la rouse ; 1951.

291- FERAUD, "Zebouchi et Osman bey" in **R.A**, N°6, 1862.

292- FERAUD (C.H), Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Arnault, Paris, 1869, p16.

293- Hammar .V.DE .Histoire de L'Empire Ottoman depuis son origine Jusqu'à nos gours. Trad de l'Allemand pae J.Halbert..(1520 – 1547) Bossange. Bellirard et cie .Paris Londres . 1836.

294- F. Braudel ;Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577. in R .A ; 1928.

295- Lucien Raynaud ;Hygiene et Pthologie Nord Africaines ; Masson et Cce éditeurs Libraires de L'Académie de médicale ;Paris ; 1898

296- Laugier de Tassy ; Histoire du royaume d'Alger ; paris ; ed Loysel ; 1992 .

297- MERCIER, Histoire de Constantine, S.N.E.D, Alger, 1903.

298- Mercier. E. Histoire de l'Afrique Septentrionale (Barbarie) depuis les temps les plus recules jusqu'à la conquête .Française .1830 .T3 .E.Leroux. Paris .1891.

299- M.Leon Galibert ;LAlgerie ancienne et moderne ; Paris ; Furnes et Cie éditeur ;1846 .

300- Thomas Shaw ;voyage dans la régence d'Alger au XVIIIsiecle ;traduction :MacCarthy ;Marlin éditeur; Paris ;1830

301- Vayssette ;Histoire des Derniers Beys de Constantine ; R-A1859 .

الفهرس

الموضوعات	رقم الصفحة

الإهداء

التشكرات

المختصرات

مقدمة .... أ

مدخل: الوجود العثماني في الجزائر

أسباب الوجود العثماني في الجزائر.................... 03

المؤسسات الرسمية في الجزائر العثمانية.................... 10

الفصل الأول: الإفتاء: تعريفه، تاريخه، أهميته

تعريف الإفتاء.................... 21

لغة.................... 21

اصطلاحا.................... 24

الفرق بين الإفتاء والقضاء.................... 26

أركان الفتوى.................... 29

المستفتي.................... 29

المفتي.................... 30

الفتوى.................... 34

تاريخ الإفتاء 35

الإفتاء على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.................... 35

الإفتاء على عهد الصحابة رضوان الله عليهم.................... 37

الإفتاء على عهد التابعين 41

الإفتاء في المغرب الأوسط.................... 56

أهمية الإفتاء.................... 56

الفصل الثاني: الإفتاء الرسمي في الجزائر العثمانية

تعريف الإفتاء الرسمي.................... 67

صيغة التعيين..... 71
شروط التعيين وعوامله..... 73
المواصفات العلمية..... 73
المواصفات الشخصية..... 76
عوامل التعيين..... 76
شهرة العائلة وولائها للدولة..... 76
التوريث..... 78
تدخل أهل البلد..... 79
الرشوة..... 81
شرط السّن..... 85
أسباب العزل..... 86
الوشاية وتآمر العلماء على بعضهم البعض..... 86
تدخل أهل البلد..... 89
الخوف من شعبية المفتي..... 90
معارضة المفتي لسياسة السلطان أو ظهور التمردات وأثرها.. 92
قرارات الحكام..... 94
وباء الطاعون..... 97
مدّة التوظيف..... 98

الفصل الثالث: الإفتاء الحر في الجزائر العثمانية

تعريف الإفتاء الحر..... 101
الإفتاء عند شيوخ الزوايا والطرق الصوفية..... 101
الإفتاء عند العلماء..... 119
الإفتاء عند الميزابيين..... 129
الإفتاء الحر والسلطة..... 137

الفصل الرابع: مكانة المفتي في المجتمع

واجبات المفتي............ 141

أداء مهمة الإفتاء............ 141

الولاء للسلطة............ 142

حقوق المفتي............ 143

الامتيازات المعنوية 143

الامتيازات المادية............ 149

علاقة المفتي بمحيطه............ 154

علاقة المفتي بالسلطة............ 55

علاقة المفتي بزملائه المفتين............ 160

علاقة المفتي بالقاضي............ 161

علاقة المفتي بعامة الناس............ 163

المستوى المعيشي للمفتي............ 167

المكانة العلمية للمفتي............ 170

المهام الأخرى للمفتي............ 173

الفصل الخامس: دور المفتي في المجتمع

دوره السياسي............ 181

دوره الاجتماعي............ 199

دوره الثقافي............ 204

دوره الاقتصادي............ 222

الفصل السادس: مجالات الإفتاء في الجزائر العثمانية

العقيدة والتصوف............ 224

العبادات............ 229

المعاملات المالية............ 233

الأحوال الشخصية............ 240

السياسة الشرعية 243
الحدود 247
المستجدات 248
الخاتمة 253
ملاحق 257
المصادر والمراجع 286
فهرس الموضوعات 330

ملخص

تعالج هذه الدراسة جانبا مهما من جوانب تاريخ وحضارة الجزائر خلال العهد العثماني، كما أن الموضوع المتناول هو الآخر جدير بالدراسة والبحث، الا وهو الإفتاء في الجزائر العثمانية، فموضوع الفتوى موضوع له أهمية خاصة، لما لها من خطورة على الفرد والمجتمع، زمن هنا جاءت الإشكالية على النحو التالي: كيف كان حال الإفتاء خلال العهد العثماني، وكيف كان المفتي خلال هذا العهد، وما هو دوره؟ وغيرها من الأسئلة التي حاول الباحث تسليط عليها الضوء، علما ان هذا المجال من البحث لم يحظ بالدراسة من قبل الباحثين الأكاديميين.وكانت خطة البحث مقسمة إلى مقدمة ومدخل وستة فصول، ففي المدخل تطرق الباحث إلى أسباب دخول الأتراك إلى الجزائر مع ذكر العوامل المساعدة على ذلك، مع التطرق إلى المؤسسات التي اعتمد عليها العثمانيون في التسيير.وفي الفصل الأول تمّ تعريف الإفتاء وتاريخه، ثم أهميته الفتوى وخطورتها، أما الفصل الثاني فكان للإفتاء الرسمي في الجزائر، مع إبراز العوامل المساعدة في تنصيب أو تعيين الفقيه في منصب الإفتاء الرسمي، كما ذكر الباحث أيضا أسباب العزل التي بها تنتهي مهمة المفتي المعين.وفي الفصل الثالث الذي سُمي بالإفتاء الحر، وتمّ فيه إبراز هيئات هذا الصنف من الإفتاء، مثل: الطرق الصوفية والزوايا، والعلماء الأخرين، وبني ميزاب، مع التركيز على علاقة الفقهاء مع السلطة، وفي الفصل الرابع خصص لمكانة المفتي في المجتمع، وقد ركّز الباحث على واجباته وحقوقه المادية والمعنوية، ثم علاقاته المختلفة مع محيطه بدءا من علاقته بالسلطة ثم بالمفتيين فيما بينهم، فعلاقته بالقاضي فعلاقته بعامة الناس،ُم بيان مستواه العلمي، وذكر المهام الأخرى التي تولاه الفقهاء إلى جانب منصبه المتمثل في الإفتاء، وإجابة الناس عن أسئلتهم، أما الفصل الخامس فعنوانه هو دور المفتي في مجتمعه، مبرزا دوره السياسي والاجتماعي، والثقافي والاقتصادي، وفي الفصل الأخير فكان لمجلات الإفتاء، منها العقيدة، المعاملات المالية، الأحوال الشخصية، السياسة الشرعية، وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث والدراسة.

كلمات مفتاحية:

الفتوى؛ العلماء؛ الفقهاء؛ الزوايا؛ السلطة؛ الجزائر؛ السلطة العثمانية؛ الوظيفة؛ اسطنبول؛ التعيين؛ المنصب؛ الطرق الصوفية.

2013/06/25